# الكوفة عاصمة الايمان والحضارة

## اعمال

## المؤتمر العلمي الدولي السابع عشر

## الذي أقامه مركز دراسات الكوفة

## بالتعاون مع أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به

## لسنة ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

## الجزء الخامس

## محور التراجم والاستشراق


## اعداد واشراف

## أ.د.عدي جواد الحجار

# فهرس البحوث


| ت | اسم الباحث | اسم البحث | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ١. | ا.د. حسين عبد حسين الوطيفي | مواقف المرأة الكوفية وقيمها ( طوعة أنموذجا ) | ١ |
| ٢. | أ.د.مُحمَّد عويّد مُحمَّد الساير | أبو المَحاسن الشوّاء الكوفي الحُسيني الحلبي (ت٦٣٥هـ) حياته وشعره دراسة تحليلية نقدية في نصّه الشعري. | ١٤ |
| ٣. | أ.د عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي<br>م.م. احمد محمد علي | مؤرخي الكوفة ومروياتهم ( ابن اعثم الكوفي) انموذجا | ٦٢ |
| ٤. | أ . م . د . خالد أحمد المشهداني | أَعْـــلامٌ كُوفيـــونَ مُغْتَربـونَ خَلَّدَهُمْ التَّأريـــخُ | ٨٤ |
| ٥. | أ.م.د جاسم رشيد العتبي<br>أ.م.د رحيم راضي الخزاعي | عدي بن حاتم الطائي: سليل الكرم... وشجاعة الثبات على المبدأ. | ١١٤ |
| ٦. | أ.م.د عباس سليم زيدان | الاصول الفكرية لابن أعثم الكوفي واثرها في منهجيته في كتابة التاريخ | ١٣٥ |
| ٧. | أ.م.د. شفاء رشيد حسن | مقرئ الكوفة الفقيه زر بن حبيش الأسدي الكوفي ـ حياته وفقهه ـ | ١٥٠ |
| ٨. | د. بيداء حيدر علي حسان العبودي | مدينة الكوفة في كتابات المستشرقين لويس ماسنيون انموذجا | ١٦٧ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٩. | م.د.حسن جاسم محمد حسين الخاقاني | الكوفة موطن التشيع، والثورات إبان الحكم الاموي في الدراسات الاستشراقية (المستشرق الألماني هاينس هالم Heinz Halm) أنموذجاً | ١٨٥ |
| ١٠. | م.د. علي زهير هاشم الصراف | جهود الشيعة في كتابة التاريخ، مؤرخ الكوفة أبان بن عثمان الأحمر البجلي أنموذجاً | ٢١٠ |
| ١١. | م.د.محسن عدنان صالح الجشعمي | الجهود العلمية لمحمد بن عبدوس الكوفي المعروف بـ(الجهشياري) | ٢٣٠ |
| ١٢. | م.م مها محمد أحمد | ميثم التمار ... حواري أمير المؤمنين عليه السلام | ٢٦٦ |
| ١٣. | دينا فؤاد جواد | الكوفة من زاوية نظر الرحالة والمستشرقين | ٢٧٩ |

# مواقف المرأة الكوفية وقيمها ( طوعة أنموذجا )

ا.د. حسين عبد حسين الوطيفي
جامعة الكوفة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الخلق والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

وبعد .

يخضع الإنسان ـ في كثير من الأحيان ـ الى مواقف واختبارات متعددة تشكل بمجملها نقطة تحول في مسار حياته ، ولعل موقفا واحدا يواجهه بعزم وحزم وإرادة ، كفيل بأن يرتقي به سلم المجد ، فيعلو نجمه ويخلده التاريخ ، وتذكره الإنسانية جمعاء ، أو يتقاعس عنه ويتردد فيهوي ويتلاشى ذكره .

والسيدة ( طوعة ) كانت من الأنموذج الأول[١] ، فقد وجدت هذه المرأة الكوفية نفسها أمام موقف عظيم يقف أمامه الفرد متحيرا مترجحا بين الإقدام عليه أو الإحجام عنه، إنه إيواء مسلم ابن عقيل (ع ) سفير الإمام الحسين ( ع ) الى الكوفة ، بعد أن تخلى الناس عنه ، وتقاعسوا عن نصرته ، وخذلوه رجالا ونساء ، وغدا مطلوبا ومطاردا من السلطة الظالمة ، وما قد يستتبع ذلك من العواقب والمتاعب والويلات ، لكنها آثرت نصرة الحق وأهله ، والوقوف بوجه الظلم والطغيان إيمانا منها بأهل البيت ( ع ) وولاء لهم .

وقد جاء البحث لرصد طبيعة هذا الموقف العظيم وتحليله ، وتبيان ما انطوى عليه من قيم خلقية كان لها صدى في المجتمع الإسلامي عموما والكوفي خصوصا.

توطئة :

شهدت الكوفة عبر تاريخها سطوع نماذج مشرفة ـ من الرجال والنساء على حدّ سواء ـ جسدوا صورا رائعة في الشجاعة والتضحية والجهاد ، وتركوا بصمات خالدة ، فغدوا عنوانا يستضاء بهم ، ويقتدى بمواقفهم [٢] .

وما يعنينا من أصحاب هذه المواقف السيدة ( طوعة ) التي سجل لها التاريخ حضورا متميزا في صفحاته المشرقة ، بما أقدمت عليه هذه المرأة الكوفية من إيواء مسلم بن عقيل

( ع ) في قصة معروفة تناقلها المؤرخون والكتاب بتفاصيل مختلفة [٣]، وليس من وكد البحث إعادة الحديث عنها وإنما تسليط الضوء على ما تمخض عنه ذلك الموقف ، وما يستشف منه من دروس وعبر تشكل بمجملها منابع ثقافية وتربوية تخدم المجتمع وتعمل على تنميته وإصلاحه ، وتشجيعه على الوقوف أمام التحديات المختلفة التي تستهدف مبادئه وقيمه .

ـ مواقف السيدة ( طوعة ) :

١ـ عدم البحث عن ابنها :

قد يبدو للوهلة الأولى أنّ موقف هذه المرأة الجليلة تجاه مسلم ( ع ) قد ابتدأ بإيوائه ، وحسن ضيافتها له ، ولكن حقيقة الأمر أنّ موقفها قد سبق ذلك ، فمنذ اللحظات الأولى بدت مظاهر نصرتها وجهادها ، حينما وقفت بباب دارها تنتظر ولدها بلالا الذي خرج مع الناس [٤] ، ولنا أنْ نتسألَ لِمَ لَمْ تذهب للبحث عنه ولاسيما أنه ولدها الوحيد ، ولابد من أنّ القلق قد دبّ في نفسها بعد أن تأخر الوقت ولم يعد الى المنزل ، وخافت عليه من الأحداث الملتهبة الجارية في الكوفة ؟ .

إنّ طوعة لم تلتفت الى تلك المشاعر والأحاسيس الكامنة في نفسها ، وبدر منها موقف مغاير لما يعهده المرء ، من ضرورة الخروج للبحث عن ذلك الانسان العزيز على النفس ، وهو ما اتخذه أهل الكوفة رجالا ونساء تجاه ذويهم ، فقد حرصوا على حثّهم على الانصراف عن نصرة مسلم ( ع ) ومشايعته ، حتى أنّ (( المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول : انصرف ، الناس يكفونك ، ويجيء الرجل الى ابنه أو أخيه فيقول : غدا يأتيك أهل الشام ، فما تصنع بالحرب والشرّ ؟ انصرف )) [٥] ، فتفرقوا عنه جميعا ، لكنها لم تفعل فعلتهم تلك وآثرت الانتظار.

وهنا قد يتبادر الى الذهن أنها لم يساورها الشّك قطّ من أنّ ولدها لم يخرج مع الناس لمناصرة مسلم ابن عقيل ( ع ) ، وإنما كان خروجا عابرا ، شأنه في ذلك شأن سواه ، ممن التزم جانب الحياد ، ومن ثمّ فلا مسوغّ للخوف عليه ، أو لأنه قد خرج بالضّد منه ، متأثرا في ذلك بفكر أبيه ومشايعا له في موقفه تجاه أهل البيت ( ع ) [٦]، مما أثار في نفسها الهواجس والتساؤلات ، والحيرة والقلق من المصير المجهول الذي قد رافق خروجه .

وثمة أمر آخر لا بد من الالتفات اليه وأخذه في الحسبان ألا وهو أنها كانت امرأة كبيرة طاعنة في السّن [٧]، ومن ثمّ فهي عاجزة عن الاتيان بما يقدر عليه سواها من الذهاب الى أزقة الكوفة للبحث عن ولدها ، فما كان منها الا أن تترقب الطريق وتتسقط الأخبار[٨] ،علّها تضفر بخبر عنه يهدئ من روعها ، ويخفف من توجسها .

٢ـ الوقوف بالباب :

إنّ المسوغات التي قد أثيرت آنفا قد تكون مقصودة لذاتها ، بمعنى أنّ الانتظار بحدّ ذاته كان مقدمة لغاية أكبر وهي الوقوف بالباب [٩]، على أنّ هذا الوقوف لم يكن من أجل ابنها وإنما كان لشخص آخر هو مسلم بن عقيل (ع ) ، مفترضين أنها قد أحيطت علما بمجيئه اليها إذا لم تجرِ الأمور في الكوفة كما هو مخطط لها ، بوصفها أحد أنصاره [١٠]، ولاسيما أنّ بيتها كان مهيأ لمثل هذا الأمر[١١] ، مع إمكان أن نضع افتراضا آخر وهو أنّ الله سبحانه وتعالى قد هيّأ الأسباب والظروف المناسبة التي قادت مسلما (ع ) الى ولوج ذلك الزقاق من دون سواه ، والالتقاء بطوعة ، ولاسيما أنّ ما صدر من أهل الكوفة كان أمرا مفاجئا قد خالف توقعه ، وحالة مغايرة تماما لما كان في ذهنه من تصورات عن ذلك المجتمع [١٢]، فوجد نفسه أمام واقع جديد ، قد فرض عليه أن يغير مسار تفكيره باتجاه جديد (( فمضى على وجهه يتلدّد في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب ، حتى خرج الى دور بني جبلة من كندة ، فمشى حتى انتهى الى باب امرأة يقال لها طوعة ))[١٣] ، إذا ما أخذنا بصحة كلمات الرواية ولم ندقق كثيرا في تفصيلاتها ، أو نعرض لمناقشتها [١٤]، وهو أمر قد يبعدنا عن غاية البحث وأهدافه .

٣ـ إيواء مسلم بن عقيل (ع ) :

لا بدّ من الإشارة هنا الى أنّ طوعة لم تلتقِ بمسلم (ع ) سابقا ، وإنما تعرف اسمه فقط ، ولعل ما يؤيد هذا القول ويؤكده ، طبيعة الحوار الذي دار بينهما في أثناء وقوفه على بابها ، وسقايته الماء ، فقد تضمن إشارتين تنبئان بعدم المعرفة تلك ، الأولى قولها : (( يا عبد الله الم تشرب ))[١٥]، والثانية قوله : (( أنا مسلم بن عقيل ، كذّبني هؤلاء القوم وغرّوني ، قالت : أنت مسلم ؟ قال : نعم ، قالت : أدخل ))[١٦]، مما يشي بأنها كانت مستعدة ومتهيئة أصلا لاستقبال هذه الشخصية، ولم يكن يمنعها من ذلك الأمر سوى

الاسم؛ لذا نراه يعرف بنفسه (أنا مسلم بن عقيل) وهي قد عمدت الى التأكد من هذا التعريف ( أنت مسلم ) ، من هنا سارعت الى إدخاله الى بيتها حالما اطمأنت وتيقنت من حقيقته .

لقد سعت هذه المرأة الكوفية الى تذكير المجتمع عموما والنساء خصوصا بأن المرأة تستطيع (( أن تسجل اسمها في التاريخ إذا ما سجلت موقفا شجاعا في أوقات الشّدة ، أو قامت بأدوار متميزة )) [١٧] ، وبطولية تسهم في إشاعة روح المقاومة والجهاد في مجتمعها.

ولعلها أرادت أن توصل رسالة مؤداها أنّ المواقف العظيمة والخالدة ليست حكرا على الرجال فقط ، فالنساء قادرات ومؤهلات لتحمل أعبائها إذا ما أردن ذلك ، ولاسيما (( أنّ نظرة الرجل اليها لا تزال محكومة بالمفهوم الذكوري الذي أقرب ما يكون منه الى النظرة الجاهلية التي جاء الإسلام لتغييرها ))[١٨] ، وتصحيح مسارها ، بوصفها نظرة خاطئة وقاصرة .

وقد تجلت هذه النظرة بشكل جليّ حين عمد عبيد الله بن زياد الى ترهيب المجتمع الكوفي تارة وترغيبه تارة أخرى في سبيل الإيقاع بمسلم ( ع ) ، فراح يوجه تهديدا شديدا لهم ، محذرا إياهم من مغبة إيوائه ، ومتوعدا كلّ من يأتي ذلك بالقتل والتنكيل (( فبرئتِ الذمةُ من رجل وجدناه في داره ))[١٩]، مع ملاحظة أنّ كلامه قد خصّ به الرجال من دون النساء ( من رجل ) ، وكأنه بذلك يستبعد أن يصدر مثل هذا الموقف ـ إذا ما صدر ـ من المرأة ، وهو ما خالفته طوعة بفعلها هذا .

فضلا عن تخصيصه جائزة مالية لكلّ من يلقي القبض أو يدلّ عليه (( ومن أتانا به فله ديتُهُ ))[٢٠]، وتوجيه الشرطة بتفتيش المنازل بحثا عنه [٢١] ، وهو أمر يدعو ـ بطبيعة الحال ـ الى إثارة الخوف والرّعب في نفوس الناس ولاسيما أنه سيؤدي الى الهلاك لا محالة ، لكنّ طوعة لم تأبه بذلك ، ولم تُعِرْ أهمية للعواقب التي يمكن أن تطالها ، فأدّت ما عليها من واجب الايواء تجاه مسلم ابن عقيل( ع ) ـ في مجتمع تخاذل عنه ، ونكص على الأعقاب ـ وهو واجب لا يتأتى إلا لمن كان يؤمن بقضيته إيمانا مطلقا ، ويتشح بالولاء الصادق والعميق له ، مجسدة مثالا صادقا لقوله تعالى :{ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ

وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } [٢٢] .

ـ القيم الخلقية :

إنّ المتتبع لموقف طوعة يجد أنه قد اشتمل على جملة من القيم الخلقية التي حرصت على بثّها وإشاعتها في المجتمع ، ولاسيما أنّ (( أبرز ما في الانسان بل أشرف ما فيه من صفات هو قوّة أخلاقه ، فيها يسخّر أسباب المادة، وبغيرها تدوسه المادة وتعود به الى حيوانيّته الكامنة فيه التي تهذّبها قوّته الخلقية ))[٢٣]، فيرتقي بوساطتها المقامات العليا ، ومن دونها يهوي الى أدنى المراتب ولعل من أهم تلك القيم :

١ـ الشجاعة :

تعد الشجاعة من الصفات الخلقية الأساس التي إذا ما اجتمعت مع العقل والعدل والعفة ، كونت ركائز المديح والثناء عند العربي[٢٤] ، وقد أبدت طوعة في موقفها شجاعة منقطة النظير، ووقفت وقفة بطولية عظيمة تجلت فيها ((عزة النفس والاباء عن قبول الخسف والضيم ))[٢٥] فتحدّت السلطة الحاكمة الظالمة التي سعت جاهدة للإيقاع بمسلم ( ع ) بشتى الوسائل والطرائق ، من دون أن تضع في حسبانها المتاعب المترتبة على فعلها هذا ، أو أنْ يدبّ الخوف في نفسها ، فكانت أثبت جنانا ، وأشدّ يقينا بما أقدمت عليه .

٢ـ العفة :

لقد اقترنت شجاعة طوعة بعفة جعلتها في مصاف النساء المميزات ، وقد بدت تلك العفة في الحوار الذي دار بينها وبين مسلم بن عقيل ( ع ) قبل إيوائه وبعده.

أـ قبل الايواء :

فقبل الايواء نجد أنّ طوعة قد سقت مسلما ( ع ) ماء قبل أن تعرف اسمه ، فسقايتها له إنما كانت بوصفه إنسانا غريبا قد طلب الماء فلبت طلبته ، ولم تقصر في ذلك (( فسلم عليها ابن عقيل فردت عليه ، فقال لها : يا أمة الله اسقيني ماء ، فدخلت فسقته ، فجلس وأدخلت الاناء ، ثم خرجت فقالت : يا عبد الله ألم تشرب ؟ قال : بلى ، قالت : فاذهب الى أهلك ، ... ، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ، ولا أحله لك ))[٢٦]

، والملاحظ هنا أنها لم تبقَ واقفة عند الباب تنتظره وإنما تركته ( وأدخلت الاناء ) ، موجهة له استفهاما يحمل في طياته معنى الاستغراب من جلوسه عند بابها مع أنه قد نال مبتغاه ( شرب الماء ) ، ثم راحت توجه له أمرا مباشرا بالمغادرة ( فاذهب ... ) مع نهي عن الاستمرار في ذلك الجلوس ( لا يصلح / ولا أحله ) ؛ لما قد يثيره من ريبة وشك في نفوس الآخرين ، ولتشعره بأنها امرأة عفيفة مصونة ، لا ترتضي جلوس رجل غريب عند بابها ، وتأبى عليه مثل ذلك ، ولئلّا يتبادر الى ذهنه أنّ سقاية الماء هي مقدمة تبيح له الاتيان بذلك الفعل، الذي يتنافى والخلق الإسلامي .

ب ـ بعد الايواء :

لم يتغير سلوك طوعة العفيف مع مسلم ( ع ) حتى بعد أن أحاطت علما باسمه وحسبه ونسبه وقربه من أهل البيت ( ع ) ، فقد ظلت محافظة على منهج العفة الذي تزينت به ، ولم تطرحه بعد إيوائه ، بل زادتْ منه ، فكان أن عمدت الى إدخاله غرفة أخرى غير الغرفة التي كانت تجلس فيها (( فأدخلته بيتا في دارها غير البيت الذي تكون فيه ))[٢٧] ، وكأنها تريد بذلك أن ترسم للمرأة ـ ولاسيما الكوفية منها ـ منهجا قويما في التعاطي مع الرجال الغرباء ، أيّا كانت مكانتهم .

٣ـ الكرم :

الكرم سجية من السجايا التي احتلت مكانة سامية في نفوس العرب ، وغدت طبعا وخلقا متوارثا فيهم ، فسعوا الى المحافظة عليه ؛ ليحفظ لهم مكانتهم بين الأقوام الأخرى.

ولعل من مظاهر الكرم لديهم حسن الضيافة ، والترحيب بالضيف وإكرامه [٢٨]، وهو ما عمدت اليه طوعة تجاه مسلم بن عقيل ( ع ) فقد (( فرشت له ، وعرضت عليه العشاء )) [٢٩] ، فضلا عن أنها كانت تكثر من الدخول الى الغرفة التي هو فيها والخروج منها [٣٠]، سعيا منها لتهيئة وسائل راحته ، ومحادثته ؛ ذلك بأنّ (( الحديث الحسن من تمام القرى )) [٣١]، وقد زادت على ذلك في اليوم التالي فما (( أن طلع الفجر جاءت طوعة الى مسلم بماء ليتوضأ )) [٣٢]، تأدية لحقوقه ، وإيمانا منها بأنّ ذلك من آداب الضيافة وتمامها ، فاستحقت بذلك ما بشّرها به مسلم ( ع ) قائلا: (( قد أديتِ ما عليك من البرّ

والإحسان ، وأخذتِ نصيبك من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ، سيد الأنس والجان )) [٣٣] ، جميعا.

٤ـ الوفاء :

يعدّ الوفاء من القيم التي حرص العرب على التخلق بها واشاعتها في المجتمع ، وإن أدى ذلك الى التضحية بما يملكون [٣٤]، وقد سعى الإسلام الى المحافظة عليها ، بوصفها من أخلاق المسلم الواجب توافرها فيه ، وعدم الانحراف عنها [٣٥]، من هنا وجدنا طوعة قد أدّت ما عليها من حقوق الوفاء تجاه ضيفها ، وحرصت على عدم إبلاغ ولدها ، خوفا من عدم وفائه .

ويبدو أنّ مخاوفها تلك قد تحققت ، فبعد الحاح منه وإصرار أطلعته على سرها (( فقالت: يا بني لا تُخبرنّ أحدا من الناس بشيء مما أخبرك به ، قال : نعم ، فأخذتْ عليه الأيمان ، فحلف لها فأخبرته )) [٣٦] بإيوائها مسلم بن عقيل ( ع ) . لكنه لم يلتزم بأيمانه ، ولم يفِ بوعده الذي أخذه على نفسه ، فكان أن غدر بمسلم ( ع ) ، ووشى بمكانه الى السلطة الحاكمة ، أملا في نيل الجائزة والحظوة عند عبيد الله بن زياد [٣٧] .

الخاتمة :

توصل البحث الى جملة من النتائج التي انطوى عليها موقف طوعة تجاه مسلم بن عقيل ( ع ) منها :

١ـ أرادت طوعة أن تظهر للمجتمع عموما والكوفي خصوصا أنّ المواقف العظيمة ليست حكرا على الرجال فقط ، فالنساء قادرات ومؤهلات لتحمّل أعبائها إذا ما أردن ذلك.

٢ـ سعت بموقفها الى هزّ المجتمع واستفزازه ، واستنهاض عزيمته وهمته ، ومن ثمّ بناء موقف مغاير من الواقع المعيش .

٣ـ إشاعة ثقافة الجهاد والمقاومة في نفوس المجتمع عموما والكوفي خصوصا ، بعد أن دبّت فيه ملامح الجبن والتخاذل والنكوص عن نصرة الحق وأهله ، وإنّ هذا الجهاد لا يقتصر على السيف فقط ، وإنما قد يكون بموقف بطولي ـ أيّا كان ـ تجاه الظلم ، والسلطة الظالمة .

٤ـ تنمية الثقافة الدينية لدى المرأة ، وتوعيتها وإرشادها الى المنهج القويم ، والسلوك السليم ، في التعاطي مع الرجال الغرباء ، أيّا كانت مكانتهم .

٥ـ الحرص على القيم العربية الأصيلة ( الشجاعة ، العفة ، الكرم ... ) التي توارثها المجتمع جيلا بعد جيل ، والعمل على بثّها وإشاعتها بين الناس جميعا .

الملخص :

يخضع الإنسان ـ في كثير من الأحيان ـ الى مواقف واختبارات متعددة تشكل بمجملها نقطة تحول في مسار حياته ، ولعل موقفا واحدا يواجهه بعزم وحزم وإرادة ، كفيل بأن يرتقي به سلم المجد ، فيعلو نجمه ويخلده التاريخ ، وتذكره الإنسانية جمعاء ، أو يتقاعس عنه ويتردد فيهوي ويتلاشى ذكره .

والسيدة ( طوعة ) كانت من الأنموذج الأول ، فقد وجدت هذه المرأة الكوفية نفسها أمام موقف عظيم يقف أمامه الفرد متحيرا مترجحا بين الإقدام عليه أو الإحجام عنه ، إنه إيواء مسلم ابن عقيل (ع ) سفير الإمام الحسين ( ع ) الى الكوفة ، بعد أن تخلى الناس عنه ، وتقاعسوا عن نصرته ، وخذلوه رجالا ونساء ، وغدا مطلوبا ومطاردا من السلطة الظالمة ، وما قد يستتبع ذلك من العواقب والمتاعب والويلات ، لكنها آثرت نصرة الحق وأهله ، والوقوف بوجه الظلم والطغيان إيمانا منها بأهل البيت ( ع ) وولاء لهم .

وقد جاء البحث لرصد طبيعة هذا الموقف العظيم وتحليله ، وتبيان ما انطوى عليه من قيم خلقية كان لها صدى في المجتمع الإسلامي عموما والكوفي خصوصا.

الهوامش :

---

[1] لم يقدم لنا المؤرخون معلومات وافية وكافية عن هذه المرأة الجليلة، ولم يشيروا الى نسبها أو انتمائها العائلي او اسم أبيها أو تاريخ وفاتها ، مكتفين بانها كانت جارية للأشعث بن قيس الكندي ـ وهو أمير كندة في الجاهلية والإسلام ، وفد على النبي ( ص ) فأسلم ، وشهد اليرموك فأصيبت عينه ، وكان من ذوي الرأي والاقدام ، وهو أول راكب في الإسلام مشت معه الرجال يحملون الأعمدة بين يديه ومن خلفه ، شهد مع الامام علي ( ع ) يوم صفين والنهروان ، توفي في الكوفة سنة ٤٠هـ ـ أعتقها فتزوجها أسيد بن مالك الحضرمي وأنجبت له ولدا يدعى بلالا ، وقد سكنت في دور بني جبلة من

حيّ كندة ، ولعل ذلك بسبب من أنّ (( المؤرخ لا يرصد النساء اللواتي وقفن مع الحق ويلهو عنهن عامدا أو مقصرا أو قاصرا أحيانا )) . مسلم بن عقيل بين المسجد الأعظم ودار طوعة : ٢٥٦ ، وظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٣٧١ ، مقاتل الطالبيين : ٦٦ ، الكامل في التاريخ : ٣ / ٣٤٩ ، الاعلام : ١ / ٣٣٢ ، أعلام النساء المؤمنات : ٤٦٣ .

[٢] من هؤلاء الرجال هانئ بن عروة ، والمختار الثقفي وغيرهم الكثير ممن ضحوا بحياتهم في سبيل مواجهة الظلم وإعلاء كلمة الحق ، ومن النساء الزرقاء بنت عدي الكوفية ، وأم الخير بنت حريش بن سراقة اللاتي وقفن أمام معاوية بن أبي سفيان بجرأة وصلابة وجهرن بولائهن للإمام علي بن أبي طالب ( ع ) . ظ : بلاغات النساء : ٣٧ ، ٤١ ـ ٤٤ ، أعلام النساء المؤمنات : ١٤٤ ، ٣٦٦ .

[٣] ظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٣٥٠ ، ٣٧١ ، مقاتل الطالبيين : ٦٧ ، الارشاد : ٢ / ٥٠ ، ٦٧ .

[٤] ظ : م . ن : ٥ / ٣٧١ .

[٥] مقاتل الطالبيين : ٦٦ .

[٦] وهو أمر قد لاحت نتائجه ـ فيما بعد ـ بالإخبار عن مكان مسلم ( ع ) والوشاية به ،ولاسيما أنّ أباه ( أسيد بن مالك ) كان شرطيا عند عبيد الله بن زياد ، ومن حرسه الخاص ، وشهد حرب الحسين ( ع ) مع عمر بن سعد ، وصدرت عنه كثير من الأعمال الخبيثة لعل في مقدمتها أنه كان أحد الذين داسوا جسد الحسين ( ع ) بحوافر خيلهم ، فضلا عن قتله عبد الله بن مسلم بن عقيل ( ع ) . ظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٤٦٩ ، الكامل في التاريخ : ٤ / ٩٣ .

[٧] ظ : مقاتل الطالبيين : ٦٨ ، الكامل في التاريخ : ٤ / ٣٢ .

[٨] ظ : مسلم بن عقيل (ع) بين المسجد الأعظم ودار طوعة : ٢٩١ .

[٩] أشارت بعض المصادر الى أنّ طوعة لم تكن واقفة بالباب لحظة مجيء مسلم ( ع ) اليها ، وإنما كانت داخل المنزل ، فطرق الباب وخرجت اليه ، واستقبلته في دارها . ظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٣٥٠ ، البداية والنهاية : ٨ / ١٥٥ .

[١٠] كانت طوعة من الموالي الذين أدّوا دورا في الثورة الحسينية ، ولاسيما أنّ هؤلاء كانوا على علاقة وثيقة بالإمام علي ( ع ) أيام خلافته ، وهي علاقة ناشئة من سياسة الامام العادلة تجاههم التي ساوتهم بغيرهم من المسلمين ، فكانوا أكثر رخاء واستقرارا وكرامة من حياتهم في ظل حكم الامويين . ظ : أنصار الحسين : ١٩١ ـ ١٩٣ .

[١١] توافرت جملة من الأمور في بيت طوعة جعلت منه مكانا آمنا ، يمكن أن يُلتجأ اليه ، منها بعده عن مسجد الكوفة المعظم ، ووقوعه في أحد الأزقة وليس في مكان عام ، فضلا عن أن المنزل كان ضخما ، فهو يضم أكثر من غرفة يمكن الإفادة منها ؛ لذا وجدناها تدخله غرفة في بيتها غير الغرفة التي كانت

فيها . ظ : تاريخ الطبري : ٥ / ٣٧١ ، مقاتل الطالبيين : ٦٧ ، مسلم بن عقيل (ع) بين المسجد الأعظم ودار طوعة : ٢٨١ ، ٢٨٦.

[١٢] لعل المفاجأة تكمن في أنّ مسلم بن عقيل ( ع ) حين دخل الكوفة قد أقبلت عليه الشيعة من كلّ حدب وصوب ، وبايعه الناس ، حتى بلغ عدد من بايعه منهم ثمانية عشر الفا ، لم يبقَ منهم واحد بعد ذلك ينصره . ظ : الارشاد : ٢ / ٤١ ، ٥٤ .

[١٣] تاريخ الطبري : ٥ / ٣٧١ ، وظ : الارشاد : ٢/ ٥٤ . التلدد : النظر الى اليمين والشمال .

[١٤] ظ : مسلم بن عقيل ( ع ) بين المسجد الأعظم ودار طوعة : ٦٤ ـ ٦٧ . فقد ناقش صاحب الكتاب هذه القضية مناقشة مستفيضة .

[١٥] تاريخ الطبري : ٥ / ٣٧١ ، وظ: الكامل في التاريخ : ٤ / ٣٢ .

[١٦] م . ن : ٥ / ٣٧١ ، وظ : الارشاد : ٢ / ٥٥ .

[١٧] دور المرأة في النهضة الحسينية : ٤٢ .

[١٨] دور المرأة في الدعوة وإصلاح المجتمع : ١ .

[١٩] الكامل في التاريخ : ٤ / ٩٥ ، وظ : مقاتل الطالبيين : ٦٧ .

[٢٠] م . ن : ٩٥، وظ : الارشاد : ٢/ ٥٧ .

[٢١] ظ : م . ن : ٩٥ .

[٢٢] الأنفال / ٧٤ .

[٢٣] التربية الخلقيّة : ٤٢ .

[٢٤] ظ : نقد الشعر : ٥٩ .

[٢٥] الرحيق المختوم : ٤٧ .

[٢٦] تاريخ الطبري : ٥ / ٣٧١ ، وظ : الكامل في التاريخ : ٤ / ٣٢ .

[٢٧] الكامل في التاريخ : ٤ / ٣٢ ، وظ : الارشاد : ٢ / ٥٥ . وبالإمكان أن نقول إنها قد عمدت الى ذلك ـ فضلا عن عفتها ـ حفاظا عليه ، و ليكون بمأمن من الأعين التي يمكن أن تترصده ، ولاسيما ولدها الذي كانت تتوقع رجوعه الى المنزل .

[٢٨] ظ : بلوغ الأرب : ١ / ٣٧٥ .

[٢٩] تاريخ الطبري : ٥ / ٣٧١ ،الارشاد : ٢ / ٥٥ .

[٣٠] ظ : م .ن : ٥ / ٣٧١ .

[٣١] أمالي المرتضى : ١ / ٤٧٥ .

[٣٢] نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم : ٩٩ .

[٣٣] م . ن : ٩٩ .

[٣٤] كما في قصة وفاء السموأل . ظ : الحياة العربية من الشعر الجاهلي : ٣٥٩ .

[٣٥] ورد عن الرسول ( ص ) قوله : (( علامات المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان )) . صحيح البخاري : ٣٠ ، وظ : من لا يحضره الفقيه : ٤ / ٩ ، وخلافها أخلاق المسلم .

[٣٦] الارشاد : ٢ / ٥٥ .

[٣٧] ظ : مقاتل الطالبيين : ٦٨ ، الارشاد : ٢ / ٥٧ .

المصادر والمراجع :

ـ القرآن الكريم .

ـ الارشاد في حجج الله على العباد ، الشيخ المفيد ( أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري ، البغدادي ٣٣٦ ـ ٤١٣هـ ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م .

ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الزركلي ( خير الدين ) ، مطبعة الكوستاموس وشركاه ، ط٢ ، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

ـ أعلام النساء المؤمنات ، محمد الحسون ، أم علي مشكور ، انتشارات أسوة ـ منظمة الحج والأوقاف والشؤون الخيرية ـ قم المقدسة ، ط١ ، ١٤١١هـ .

ـ أمالي المرتضى ،غرر الفوائد ودرر القلائد ،الشريف المرتضى ( علي بن الحسين ت ٤٣٥هـ )

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

ـ أنصار الحسين دراسة عن شهداء ثورة الحسين الرجال والدلالات ، الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، مكتبة مؤمن قريش ، بيروت ـ لبنان ، ط٣ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

ـ البداية والنهاية ، الدمشقي ( الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القريشي ت ٧٧٤هـ ) ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب ـ بيروت ، ٢٠٠٣م.

ـ بلاغات النساء وطرائف كلامهنّ وملح نوادرهنّ وأخبار ذوات الرأي منهنّ وأشعارهنّ في الجاهلية وصدر الإسلام ، ابن طيفور ( أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت ٢٨٠هـ ) ، شرحه : أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ـ القاهرة ، ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م .

ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الآلوسي ( محمود شكري البغدادي ) ، تحقيق : محمد بهجة الأثري ، دار الكتاب العربي ـ مصر ، ط٣ ( د.ت ) .

ـ تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ( أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ـ مصر ، ط٢ ، ١٩٦٩م.

ـ الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د. أحمد محمد الحوفي ، دار القلم ، بيروت ـ لبنان ، ط٥ ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

ـ دور المرأة في الدعوة وإصلاح المجتمع ، د. طاهر مهدي البليلي ، مقال منشور على شبكة الانترنيت .

ـ دور المرأة في النهضة الحسينية ، د. عبد الله أحمد اليوسف ، مؤسسة البلاغ ، بيروت ـ لبنان، ط١ ، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م .

ـ الرحيق المختوم ( بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام ) ، صفي الرحمن المبار كفوري ، مطبعة أنوار دجلة – بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٣م.

ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ، السندي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر ( د. ت ) .

ـ الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ( أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ ) ، دار الفكر ـ بيروت ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

ـ مسلم بن عقيل (ع ) بين المسجد الأعظم ودار طوعة ، السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني مكتبة الرباب الحسينية ـ قم ، ط١ ، ١٤٣٣هـ .

ـ مقاتل الطالبيين ، الأصفهاني ( أبو الفرج علي بن الحسين ت ٣٥٦هـ ) ، منورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ( د . ت ) .

ـ من لا يحضره الفقيه ، الصدوق ( أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ ) ، تحقيق وتعليق : السيد حسن الموسوي الخرسان ، قام بنشره : الشيخ علي الأخوندي ، دار الكتب الإسلامية ـ نجف ، مطبعة النجف ، ط٤ ، ١٣٧٨هـ.
ـ نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ( أبو الفرج ت ٣٣٧هـ )، تحقيق : كمال مصطفى ،مكتبة الخانجي ـ مصر ، ط١ ، ١٩٤٨م .
ـ نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين المظلوم ، الشيخ عباس القميّ ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيرت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

# أبو المَحاسن الشوَّاء الكوفي الحُسيني الحلبي (ت٦٣٥هـ)
# حياته وشعره دراسة تحليلية نقدية في نصّه الشعري.

أ.د.مُحمَّد عويّد مُحمَّد الساير
كلية التربية الأساسية في جامعة الأنبار

القسم الأول: الشاعر الرجل[١]... حياته وثقافته المعرفية:-

هو يوسف بن اسماعيل بن علي بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم. وأمّا في كنيته، فهي أبو المحاسن.

وأخطأ- على الأغلب- صاحبه، وتربه وصديق عمره ابن الشعّار الموصلي حين سمّاه "محاسن"، وأورد ترجمته في الجزء السادس من كتابه الشهير (قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان)[٢]، ثمّ استدرك على نفسه، وعاد إلى صواب اسمه وكنيته في الجزء العاشر من كتابه الموسوعي هذا فترجم له ترجمة ضافية، وأورد جُلّ شعره، ونفيسه.

وأمّا في لقبه، الشوّاء فقال عنه ابن العديم (ت٦٦٠ه): (كان له بحلب حانوت يشوي فيه الشواء)[٣]، والشوّا أيضاً، وقيل في سبب لقبه هذا، إنّه كان فاضلاً، نضّج قلوب المعاني الشعرية، ونظم كواكب فرقدية من رام مثلها سمّي بالعوّا[٤]، ويلقّب بشهاب الدين أيضاً.

وهو رأيٌّ محقٌّ فهو يشوي المعاني شيّاً غير طبيعي، ويجعلها حارقة قاتلة تُصيبُ من يقرأ شعره، ويبصر فيه حتّى من أول نظرة.

أمّا مذهبه، فكان الشوّاء شيعي المذهب والعقيدة، وكان أحياناً مغالياً في مذهبه هذا، على مذهب آل البيت الأطهار (عليهم السلام)، ولذا لُقّب بالحسيني، في أكثر من ترجم له، وأوردت سيرته وأشعاره كتب الشيعة الإمامية، سواءٌ أكانت هذه الكتب تخصّ الشعر، أم الفكر، أو العقيدة، أم كتّاب التراجم.

والشوّاء كوفي الأصل، حلبي المولد والنشأة والوفاة.

وفاته كانت باتفاق من ترجم له، وأورد طائفة مختلفة ومتنوعة من أشعاره في سنة خمس وثلاثين وستمائة، وكانت وفاته في يوم الجمعة تاسع عشر من محرّم الحرام، ودُفن في يومه بمقبرة باب انطاكية غربي المدينة ظاهرها، تغمده الله برحمته ورضوانه.

من أبرز صفاته، وما قيل فيه، أنَّه كان شاعراً، وأنَّ ديوانه كان في أربع مجلدات، ويحتوي على عشرين ألف بيت من الشعر.

وقيل فيه: إنّه كان متقناً لعلم العروض، فقيل فيه: كان أديباً عروضياً.

وعن أخلاقه وصفاته، يقول فيه صاحبه ابن الشعّار الموصلي: (لم يكن الشوّاء ممن يرتزق بشعره على عادة الشعراء، إلّا إنّه يقول تولّعاً، وكانت نفسه ترفعه عن الاستجداء والاستماحة)[٥].

ويقول فيه صاحبه وصديقه وخليله ابن خلكان (ت٦٨١ه) أيضاً واصفاً أخلاقه وصفاته وسجاياه: (وكان بيني وبين الشهاب الشوّاء مودّة أكيدة ومؤانسة كثيرة... وكان حسن المحاورة مليح الإيراد مع السكون والتأنّي وجميل التأنّي...)[٦].

وقيل فيه أيضاً: (هو من يواقع الشعر والأدب، ولقد أتته الفضيلة من هنا وهناك، فرأيٌّ مسددٌ، وهوًى محبوبٌ، ونزعة شريفة، وقريضٌ رائقٌ، وأدبٌ فائقٌ، وقوافٍ ذهبيةٌ، وعروضٌ متقنٌ...)[٧].

وقال عنه الدكتور عمر فرّوخ: (كان الشوّاء الحلبي أديباً فاضلاً متقناً لعلم العروض والقوافي ولعلوم الأدب واللغة، وكان علم اللغة يغلب عليه، كما كان حسن المحاورة.... وهو كثير الإجادة في البيتين والثلاثة.... وهو مغرمٌ بإدخال المدارك النحوية في شعره)[٨].

لازم الشوّاء الكوفي الحلبي تاج الدين أبي القاسم أحمد بن هبة الله بن سعد بن سعيد بن المُقلّد بن الجيراني الحلبي (ت٦٢٨ه)، وكذلك عاشر تاج الدين أبا الفتح مسعود بن أبي الفضل بن فطيس النقّاش الحلبي الشاعر (ت٦١٢ه)، وتخرّج عليه[٩].

ولا نعرف أشياءً ذات بال عن حياة الشاعر الشوّاء الكوفي الحلبي، إلّا إنّه كان زيّه زيّ الحلبيين الأوائل في اللباس والعمامة المشقوقة، وكان يكثرُ التمشي في الجامع على عادة أهل الشام، وكما كانوا يعملون ذلك في جامع دمشق[١٠].

أمّا عن باقي حياته، وباقي ظروفها فلا نعرف الكثير عنها من جهة العيش والأحوال الاقتصادية، أو الأحوال الأسرية... وما إلى ذلك. وأمّا من جهة ارتباطه بالممدوح، أو بالأحوال السياسية لعصره ومدينته، فيخبرنا ابن الشعار الموصلي أنّه قصد الملك الناصر

صلاح الدين يوسف بن أيوب – رضي الله عنه- مادحاً ومبجّلاً، وبعده قصد شاعرنا الشوّاء ولده عبد الملك الظاهر غازي، ثمّ قصد الملك العزيز ولده[١١]. وفي الدراسة الموضوعية، وفي مجموع شعره بعض من القصائد والمقطوعات في مديح السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي – رحمه الله تعالى-، وأمّا باقي أماديحه في هذه الشخصيات، وغيرها، ربما يكون قد فُقد منّا مع ما فُقد من شعره الكثير، وديوانه الكبير، وللأسف الشديد.

وأمّا في باقي شؤون حياته، وثقافته المعرفية والشخصية، فكلّ من ترجم له وأورد شعره، يقول دراً في الشوّاء ومحاسن أخلاقه وطرافة روحه، وحسن معاشرته، ولطافة محاورته. وعن تمكنه من الشعر والقول فيه، وتمكنه من اللغة والعروض، وأنّه كان يصلح الشعر، ويقوّم العروض، ويصوّب الأخطاء اللغوية، والنحوية والعروضية حتّى على كبار اللغويين والأدباء والنحاة والشعراء، شهد له بذلك أصحاب الصنعة، وأهل البيان والفصاحة في عصره، ومن عاشرهم وعاشروه فكتبوا عنه أسطراً من نورٍ خالد مدحاً وثناءً وتبجيلاً، بقي على مرّ الأزمان.

حول القصيدة المتداخلة في شعر الشوّاء الكوفي الحلبي:-

هكذا هي القصيدة التي سمّاها المرحوم هلال ناجي، وجاءت مع كتابه (دواوين كوفية)[١٢]. وأصل القصيدة منظومة تعليمية ضمّت الأفعال المعتلّة اللام، ومما تقرأ بالواو والياء معاً، ومطلعها هو:

قُلْ إن نسيتَ عزوتُهُ وعزيتُهُ وكنوتُ احمدَ كنيةً وكنيتُهُ

الحقيقة أنّ أبياتاً من القصيدة، ولا سيما في أوائلها نُسبت إلى شاعرنا الشوّاء الكوفي الحلبي، والراجح أنّ عدد هذه الأبيات خمسة عشر بيتاً. وقد شرح الشيخ بهاء الدين بن النحاس (ت٦٩٨ه)، منظومة الشوّاء، وأتبعها بقصيدة له جمع فيها ما فات الشوّاء الكوفي من الأفعال المعتلّة في العربية، ونظمها على روي قصيدة الشوّاء ووزنها، وعدد أبيات منظومة ابن النحاس هذه أربعة وثلاثين بيتاً، جمع فيها تسعة وخمسين فعلاً من الأفعال المعتلّة اللام التي جاء فيها لغتان: الواو والياء، ومطلعها:

وأسوتُ مثل أسيتُ صلحاً بينهم وأسوتُ جرحي والمريض أسيتهُ

ولقد قام الأستاذ الدكتور تركي بن سهو بن نزال العتيبي بتحقيق الكتابين، أو الشرحين للمنظومتين للشوّاء، وابن النحاس، فجاء الشرحان في كتاب واحد وتحت عنوان: (مهاة الكلتين وذات الحُلّتين)، ونشره في طبعتين الأولى في مطبعة المدني في القاهرة، في عام ١٩٩٣. والأُخرى في دار صادر في بيروت، في عام ٢٠٠٩م.

وقد بذل المحقق جهداً طيباً ومباركاً في التحقيق والتعليق، ودراسة حياة الشوّاء وابن النحاس، والموازنة بين المنظومتين. وكذلك عرّف بالأعلام، وخرّج الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والشعر، والأمثال، وصنع الفهارس التفصيلية والتكميلية للكتاب بما يُرضي ويُفرح جميع من أطلع على هذا التحقيق واهتمَّ به.

والحقيقة، الكتاب بحاجة إلى دراسة علمية خاصة تتناول قيمة الكتاب وأهميته، فضلاً عن آراء العلماء من اللغويين والنحويين وأصحاب المعاجم العربية في الأفعال المعتلّة، وما يقرأ منها بأكثر من لغة واحدة.

وكتب الدكتور محمد أحمد الدالي مقالاً[١٣]، نهد فيه لنقد تحقيق الدكتور العتيبي لشرح المنظومتين، وذيّل المقال العلّامة الدكتور شاكر الفحّام، الذي أثنى على عمل المحقق، وعلى عمل الدالي أيضاً. على الرغم من أنّ عمل الأخير لم يقتصر إلّا على سعة الشروح اللغوية، وتخريجات جديدة للأفعال المعتلة باللام، والتعليق على بعض آراء اللغويين من قبل لغويين آخرين، أبدى رأيهم ورأيه في المسائل التي تعرّضوا لها، وجاءت في كتبهم ورسائلهم اللغوية.

وترك الدكتور الدالي والعلّامة الفحّام ومن قبلهما فعل الأستاذ المحقق هلال ناجي الباب مفتوحاً في نسبة الأبيات إلى الشوّاء، ولاسيما في أوائلها، وأثبتوا آراء من قال بتدافع نسبتها بينها وبين ابن مالك الأندلسي (ت٦٧٢ه)، العالم اللغوي والنحوي الشهير صاحب المنظومات التعليمية الكبيرة في علوم اللغة العربية، كما جاءت له في بعض الشروحات الحديثة[١٤]، إلّا أنّ نسبتها للشوّاء أقوى، وصلتها به أكبر حجة ورأياً وأدلة. وأجدني مع هذه الآراء – والله وحده أعلم-، من أنّ الأبيات ولاسيما الأول منها لشاعرنا الشوّاء، كما جاء في شرح ابن النحاس، وفي تحقيق الدكتور العتيبي وبما لا يقبل الشكّ والتأويل. هذا فضلاً عن ذكرها في أمّات الكتب والمراجع التي ترجمت للشوّاء،

وذكرت شعره ومنظومته التعليمية هذه، كالبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة[١٥]، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون[١٦]، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين[١٧]... وغيرها. زد على ذلك تمكن الشوّاء الكوفي من اللغة، والعلم بدقائق تصريفاتها، ولاسيما علم الصرف، مما شهد له بذلك أهل النحو واللغة ومن ترجم له من أصحاب الكتب وأهل الأدب وأصحاب التراجم، وأورد ملاحظه الكثيرة في هذه اللغة على الشعراء والأدباء، واستخدامهم لبعض الألفاظ والأفعال والتراكيب التي لا توافق الاستخدام الفصيح للغة، وما تعارف عليه النحويون واللغويون الأوائل في هذا الاستخدام، لفظاً ودلالة ومعنىً.

ومن هنا، وبعد هذا كلّه، نؤكد أنّ الشاعر الشوّاء الكوفي الحلبي شاعرٌ متمكن من ناحية الأدب، والإبداع في النظم والإنشاد، فضلاً عن أنّه ناظمٌ تعليمي بارع، وله هذه المنظومة – وإن قلّت–، أو ضاع أغلبها، كما ضاع أغلب شعره، إلّا إنّ الواصل إلينا منها، يُخبرنا عن عقلية علمية ولغوية وأدبية كبيرة عاشت في القرن السابع، وأفعمت الحركة الشعرية والأدبية فيه إفعاماً كبيراً، على الرغم من ظروف هذا العصر القاسية، ومحنه الكبيرة التي تعرّض لها الجميع ممن عاش فيه، وأولهم العلماء والشعراء والأدباء والمفكّرون، في العلوم كلّها....

وبانتظار القادم من الأيام والأزمان، وما يخرج من نفائس المخطوطات والآثار العلمية العربية، علّها تطلعنا على مزيد من نتاج الشوّاء الكوفي الحلبي الأدبي والعلمي، ولاسيما منظومته التعليمية في الأفعال هذه، والتي أظنّها من روائع المنظومات التعليمية، ومن ألطفهنّ موضوعاً وابتكاراً، ولو قدّر الله ووصلت إلينا كاملة.

القسم الثاني: موضوعات الشاعر الشعرية:-

نظم الشوّاء في أكثر الأغراض الشعرية التي كانت بارزة ومشهورة في عصره، وكان سبب النظم في هذه الأغراض التي جاءت في شعره في مناسبات شتّى، ومن البداهة أن تكون من ظروف العصر، ومظاهر الثقافة فيه وفي مكانه هي التي فرضت على شاعرنا الكوفي الحلبي بعضاً من الأغراض والموضوعات الشعرية التي جاءت في شعره بكثرة ملفتة، كوصف الغلمان، ووصف الجواري.

وأمّا في باقي الأغراض، فالوصف أول هذه الأغراض وأهمها وأكثرها فنية وصنعة في شعر الشاعر الشوّاء، وقد نظم في مظاهر الوصف كلّها في المظاهر الصامتة، والمظاهر المتحركة، والمظاهر الحضرية، وفي المظاهر الجسدية الخاصّة بما فيها من قبح ونبوٍّ عن الذوق[١٨]،.. وغير تلكم الأوصاف.

وفي باقي أغراض الشاعر الشوّاء، جاءت في المديح، وفي الغزل، وفي الهجاء، وفي وصف الذات وحال الدنيا والناس معها، وله في الخمرة، وله مقطعات في الزهد، وله في النصح والإرشاد.

إذا عدنا إلى غرض الوصف عند الشاعر الشوّاء، وجدنا أكثر الأغراض شهرة ونظماً في خارطة الشاعر الشعرية. فأوصافه كثيرة ومستملحة، فلم تقع عينه على منظرٍ، أو شخصٍ، أو مكانٍ، أو حدثٍ، إلّا ووصفه وأحسن فيه الوصف. فوصفُ الغلمان، هذا الوصف الشاسع المتسع، كانت له مساحة كبيرة في شعر الشوّاء، آية ذلك أنَّ له كتاباً كاملاً في هؤلاء الغلمان كان اسمه: (وصف الجُمان في وصف الغلمان)، يحتوي على التغزل بالغلمان المبدعين حُسناً وظرفاً، ونعت صنائعهم ووصف أحوالهم.

فهو لم يدع شاردةً ولا واردة في هذه الأحوال والهيئات والحركات والأشكال إلّا ووصفها، وأتقن فيها الوصف، لفظاً وصورة وحيوية وجمالاً وتأثيراً. ومن ذلك قوله في وصف غلام جميل الصورة ارسل أحد صُدغيه، وعقد صُدغُهُ الآخر:

ارسل صـدغاً ولوى قاتلي صُدغاً فأعيا بهما واصفَهْ
فخلـتُ ذا في خـدِّه حيَّةً تسعى وهذا عـقربٌ واقفَهْ
ذا ألفٌ ليستْ لوصـلٍ وذا واوٌ ولكن ليست العاطـفَهْ[١٩]

نلحظ كم جمع الشاعر الشوّاء بين لطافة الوصف، ودعابة المنظر. وكما أفاد من ثقافته النحوية في إكمال الأبيات الشعرية، فتركها في لطافة محمودة، وابتكار مؤثّر.

وله في مغامرة الوصف مع هؤلاء الغلمان الشيء الكثير من هذه الدعاية، والأكثر من ذلك الابتكار، وذلك التأثير. ومن ذلك ما وصف به غلماناً وقد دخلوا الحمّام، ذلك المكان الحضري الجميل الذي أتاح للشاعر هذه الأوصاف كلّها، وفتح له باب الحركة والحيوية والخيال في الوصف لهؤلاء الغلمان، ولما يفعلوه في هذا المكان. يقول الشوّاء:

شدُّوا المآزر فوقَ كُثبان النقا خفراً فَحلّوا عقد نُسكي والتُّقى
وتجرّدوا فرأيتُ لينَ معاطفٍ نشروا ذوائبهم عليهِ فأورقا
وبدوا فاطلع كُلُّ وجهٍ منهمُ بَدراً واضحى كُلُّ قطرٍ مُشرقا
من كلّ أهيفَ حلَّ عُقدةَ بنده غدا بلحظ عيوننا مُتمنطقا
خالستُهُ نظراً لأقطفَ وردةً من روضِ وجنتهِ فأغضى مُطرقَا
فكأنَّ في الحمامِ سربَ جآذرٍ نظرَ القنيصَ فطلَّ منهُ مُشفقا[٢٠]

ويخوض مغامرة وصفية أيضاً في وصف غلام أسود وقد شيّع جنازة وشقَّ ثوبه. والموقف على ما فيه من مصاعب، وعلى ما يثير من أشجان، إلّا إنَّ الشوّاء قلب هذه المعاني من خلال الوصف لهذا الغلام الأسود، وخرج بالقارئ من الحزن إلى تأمّل أوصاف لهذا الغلام، ومشاعره في مثل هذه المواقف. يقول:

وغلامٍ رأيتُهُ وهو يبكي خلف مَيْتٍ فبتُّ أسبابَ نُسكيْ
عجبي من دموعهِ وهي ماءٌ كيفَ راحت لنارِ وجدي تُذكي
أسودَ اللون كالدُّجى فإذا افتـ ـرَّ أراكَ الصباحَ من غيرِ شكِّ
شقَّ للحُزنِ ثوبَهُ مثلَ ما تُفْـ تقُ في شمألٍ قسيمةُ مسكِ[٢١]

وأمّا الرقص والغناء، فلا أدلَّ على الحركة والحيوية والنشوة والإطراب. فإذا كان الشوّاء مكثراً في وصف الغلمان، وفي محبتهم، وفي الحديث عن كلّ ما يتعلّق بهم حتّى في الجنائز والبكاء والحزن، كما رأينا في المقطوعة السابقة، فما بالك بالغناء والرقص والطرب؟ حتماً إنَّ مثل هذه الصور ستكون في بال الشوّاء، ومن بين أفكاره، وموضوعات الوصف عنده. ومن ذلك قوله يصف غلاماً يرقص ويغني:

أشرقَ من طلعتهِ المنزلُ لّما بدا واضطربَ المحفلُ
علقتُ منه شادناً شادياً كأنّما نكهتُهُ مُندلُ
يكادُ فوقَ الأرضِ أن لا تُرى من سُرعةِ الرقصِ لَهُ أرجلُ
لولم تكن هزّةُ أطرافهِ موزونةً قلتُ به افكلُ
فلو تراهُ إذْ شدا وانثنى لقُلتَ غُصنٌ فوقَهُ بلبلُ[٢٢]

كم نلحظ لهذه الأوصاف المتتابعة في رسم هذا الغلام، وكم جلب له الشاعر الشوّاء من الأوصاف المضيئة والبهية ما يُستحق له الوصف، من الاشراق، والشدو، والرقص، والخفة، والصوت واللون(البلبل)... وغيرها. لقد ترك المقطوعة الوصفية هذه في سحر التأثير على القارئ، وأبقى على معانيه، وعلى صوره في تجدد وتميّز على الرغم من كثرة أوصافه لهؤلاء الغلمان، وكثرة ما قيل في وصفهم!

ولا ينسى الشوّاء وهو في معرض وصف الغلمان والحديث عنهم – شعراً- أن يعرّج في أوصافه على الساقي، وهو – الشاعر- الذي طرق باب الخمرة، ووصفها كثيراً في شعره. ومن ذلك قوله يصف غلاماً ساقياً:

وأغنَّ ممشوقِ الحشا مُتمائـلهْ كالغُصنِ بين جنوبهِ وشمـائلهْ
حيّا بكأسِ مُدامةٍ قد خَضَّـبتْ بشعاعها الواري رُؤُوسَ أناملِهْ
كرضابهِ وكطرفهِ وكلفظهِ وكنشرهِ وكخدِّهِ وشمائلِهْ[٢٣]

ولا نعني من كلّ تلك الأوصاف التي قدمنا فيها القول، والذي نظمها وأنشدها الشاعر الشوّاء، أنّه ركّز على الأوصاف المادية، أو الدعابة والظرافة، وأحياناً المجون في أوصاف هؤلاء الغلمان الكثر الذين جاؤا في أشعاره فقط، وإنّما كان يصف الغلام الواعظ، والغلام الداعية، والغلام الطيب، والغلام الوفي... وغير ذلك من الأوصاف والقيم النبيلة والجميلة التي كانت تشيع في بعض الغلمان، وتأتي بين أوصاف الشوّاء. ولعلَّ من ذلك قوله يصف غلاماً واعظاً:

بـأبي واعظٌ لطيفُ السجاياعلقتْهُ النفوسُ علقاً نفيسا
قمرٌ حلَّ أُفـقَ نادٍ يُضاهي فلك الشمسِ للنجومِ جليسا
خلتُهُ وهـو ناطقٌ وقد استجليتُ فوقَ الكرسيِّ منهُ عَروسا
يَوسفاً فوقَ عرشِ بلقيسَ في صر ح سُليمانَ مالياً صُحف موسَى[٢٤]

أيضاً، وبكلّ وضوح، وبما لا يقبل الشكّ من قريب أو بعيد، كم كان مؤثّراً هذا الغلام في نفس الشوّاء ومشاعره، فجاء له بكلِّ هذه الصفات والدلالات لهذا الغلام الواعظ، في مثل سنّه، وفي مثل شبابه. أيضاً زاد التنوير الديني من خلال القرآن الكريم وآياته وقصص الأنبياء –عليهم السلام-، هذا الاتجاه الديني الوعظي، وترك المقطوعة في

انسجام دلالي، ولفظي وموضوعي قلَّ نظيره في الوصف، وفي مناسبة الوصف لدى شاعر كالشوّاء، وكالظروف التي عاش فيها، وعاش فيها أبناء جيله.

وصلة مع هذه الأوصاف الايجابية المحببة إلى النفس الإنسانية الخيرة، وإلى عموم المجتمع، للشاعر الشوّاء وصف في غلام متمكن من علمي النحو والعروض. هذا التمكن الذي فصّل فيه الشوّاء قليلاً، والذي سمح لغلامه بالخروج على قواعد هذين العلمين وما تعارف فيهما من أصول يعرفهما أصحاب الصنعة، وأهل المهنة. فلنبصر غلام الشوّاء هذا وعلمه وأدبه من خلال وصفه له، والذي يقول فيه:

وطارحني في النـــحو يوماً شُويدنٌ لَهُ منطقٌ حلوٌ يدلُّ على الظَّرفِ
فتى نسخَ الإضراب والحجرُ وعدُهُ وأعرضَ عن جمعِ السلامةِ والعطفِ
وقد منعتني علّتانِ لصُدغهِ وطُرّتهِ فرعيتانِ من الصّرفِ
عروضي إعراض لتقطعِ مُهجـــتي أبى البسطَ إلّا أنْ يرى القبضَ في الكفِّ
فلو بيتُ وصلٍ حازَهُ وابنُ أحمدٍ لباتَ يُجيزُ الضـــمَّ في ألـــفِ الردفِ[٢٥]

هذه نظرة في أوصاف الغلمان عند شاعرنا الشوّاء الكوفي. وهي أوصاف كثيرة، ومختلفة، كما سيأتي في مجموع شعره – بإذن الله تعالى-، إنّه شاعر أضاف إلى الوصف في عصره الشيء الكثير، والشعر الكبير، فاستحقّ جدارة ومدحاً ولاسيما في وصف الغلمان المتفرد هذا، الذي يعدُّ باباً جميلاً في ذكره، لطيفاً في نظمه، فريداً في لطافته ودعابته... وهذا ما يكون عليه الوصف، وما كان عليه شعر أبي المحاسن في الكثير من أشعاره.

وأمّا عن وصف الجواري، فهو الآخر لا يقلُّ منزلة، ونظماً وأهمية وإبداعاً في شعر شاعرنا الشوّاء الكوفي، عن وصف الغلمان وأهميته ومنزلته في شعره. وله كتاب عارض به كتابه الأول في وصف الغلمان، سماه بـ: (النُكتِ السواري في صفة الجواري). كما يقول تربه وصديقه ابن الشعّار الموصلي.

ولا تبعد أوصاف الجواري في شعر الشوّاء عن أوصاف الغلمان في شعره، فهو لم يترك هيأة، أو حالة، أو صفة، أو صوتاً، أو لوناً، في جارية إلّا وصفه، وكتب ونظم فيه الشعر. ومن ذلك مقطوعته في وصف جارية مطربة:

يا مَن غدا الإحسانُ من دأبِها في ضربِها من دونِ إضرابِـــها

ومن إذا غَنَّتْ وعَنَّتْ زهَتْ مأدبةُ الشربِ بآدابها
ألم تري عيسَ كؤوس الطلا مُعيبةً مـــن طُولِ تجوابِها
فرددّيْ الألــحانَ موزونةً في حُللٍ من وشي إعرابِها
فالخمـرُ ما لم تُجلَ أقداحُها على الغِنا فالرَّنُّ أولى بِها(٢٦)

واللون وتأثيره وسحره، كان له نصيبٌ من أوصاف الشوّاء وهو ينظر إلى الجواري وحليهن، وألوانهن، كما كان معه تأثيراً أو سحراً في وصف الغلمان، وحلاهم، وألوانهم. يقول الشاعر الشوّاء في وصف جارية سوداء:

عشقتُها سوداءَ تعنُوا لها سُمرُ القَنَا خوفاً وبيضُ الصـفاحْ
من مُهجِ الأنفسِ قد صُوّرتْ فراحَ للناسِ إليها ارتياحْ
فوجهُها كالروضِ يختالُ في بنفسجٍ نرجسُهُ والأقاحْ
يا حُسنها من ليلةٍ لم تزلْ من ثغرِها يطلُعُ فيها صباحْ(٢٧)

فالشاعر هنا، بحنكته وبراعته، أضفى كلّ هذا البريق، وكلّ هذه الألوان، من الروض إلى البنفسج إلى النرجس إلى الأقاح، ليضفي جمالاً على جاريته على الرغم من سوادها، وليترك النص في مغامرة غزلية، تصل إلى الجسدية، والتكشفية في هذا الغزل، كما يتضح ذلك جلياً في البيت الشعري الأخير من المقطوعة. وهنا أفعم الشاعر الوصف، صورة، وجمالاً، وبريقاً، على الرغم من أنّها جارية سوداء، قد لا تعجب الكثيرين. وهذه هي مهنة الشاعر المتمكن، وهذا هو هدف الوصف وغايته في تقريب الأوصاف، وتجميلها عند القارئ والمتلقي، وعكسها عمّا كانت عليه في الواقع والحقيقة.

ومن أوصافه الأُخرى التي جاءت في شعره للجواري، قوله في جارية نشرت شعرها:

ناديتُ إذ نـشرتْ غرائرَهَاوحسبتُ أنّ الليلَ مُعتكرُ
مالي ضللتُ بليلِ طُرَّتهاولوجهها في جُنحهِ قَمـرُ(٢٨)

إنّه يرسم لوحة أنيقة جداً لشعر هذه الجارية، وهو طويل أسود فاحم، كأنّ شاعرنا ضلَّ فيه – بالمفارقة- لطوله وسواده. ويبقي الشاعر الشوّاء على جمال هذه الجارية. وعلى وجهها المضيء بوصفه بالقمر. وهنا أسبغ الشاعر على جاريته هذه مقوّمات الجمال

عامّة، وخصائص التفرد في هذا الجمال من خلال الشعر الطويل، الأسود الكثيف، وهي مما تثير الرجل العربي، وتثير الرجل الحلبي، ومن سمات بنات الشام، وهنّ أجمل الجواري، وأرقّ النسوة.

وله يصف جارية راقصة، وقد أفعم صورته ووصفه هنا بالحركة والحيوية، متناغماً مع هذا الرقص، ومع هذا الطرب، وما تكون عليه الجارية أو أية امرأة فيه. يقول:

رقصت فترجمَ قدُّها عن عُجمِ الـ سنةِ المثاني والبُموم مشافِها
وغدت تميسُ وأدركت أفهامنَا كَيميةَ الفقراتِ من أطرافِها
فبرقصها أملتْ على عوّادِها نُكتاً رواها الزّمرُ عن دفّافِها
فمتى أخلَ وقد حكتْهُ بنهزةٍ ظهرتْ وقد فتُرت على أعطافها[٢٩]

وهكذا تمضي أوصاف الشوّاء في هذي الجواري. بين الحركة واللون والجمال. أوصافه كانت متميزة، ومعانيها وأفكارها بيّنة، ولو قدّر الله – سبحانه- ووصل إلينا شعره كلَه، لم يبرّز عليه شاعر في هذا الغرض، لا من قريب ولا من بعيد... والله وحده أعلم.

لا نعني بذلك أنّ أوصاف الغلمان والجواري فقط هي التي كانت في أوصاف شاعرنا الشوّاء، وبين عنايته... وإنّما – وكما أسلفت القول في ذلك- له أوصاف في كلّ شيء. وفي أيّ شيء، وهذه نظرة عجلى على باقي أوصاف الشاعر الشوّاء التي جاءت في شعره، ومن بين أوصافه.

ومن ذلك قوله يصف الحيوان، ومنه في وصف فرس:

وادهم لو جارى الرياحَ لفاتها يروقُ جمالاً بل يروعُ صهيلا
كقطعِ الدُّجى لوناً وكالنجمِ غُرَّةً وكالبرقِ جرياً والصباحِ خَجولا[٣٠]

هنا يرسم الشاعر الشوّاء في هذين البيتين صورة مزخرفة لفرسه هذه. ونلحظ تكاتف الحواس ولاسيما النظر والسمع في رسم البيتين، هذا فضلاً عن التشبيه المكرر المبتكر وحشد الصورة التشبيهية في بيت واحد، يذكرنا بشعراء العرب الكبار في هذا الفن، كامرئ القيس، وبشار بن برد(ت ١٦٧ه)... وغيرها. ولا أنسى اللون ومؤثراته في اتقان الرسم، وإجادة الوصف لهذا الحيوان، الذي ركّز على وصفه ورسمه الكثير من الشعراء العرب من الجاهلية إلى الشوّاء وزمانه ومكانه.

ويفعم الشوّاء في الاستعارة، وتنهض مقوّمات التجسيد ومفاهيمه في رسمه صورة أُخرى من صوره في الوصف. وهذه المرة قالها الشاعر يصف روضة، وأظنّه أجاد وأفلح ووفّى. يقول:

وروضةٍ رُضتُ فيها الهمّ مُستمعاً لوُرقِها هزجاً في البانِ أو رملا
على مكمّم زهرِ الأقحوانِ بِها أفواهُ حُوٍّ اشارتْ تبتغي قُبلا[٣١]

لا نبعد كثيراً في هذا الوصف عمّا قدّمنا فيه القول في أوصاف المقطوعة السابقة في الفرس. وهذه أنامل مبدعة، تركت الوصف في شمول وتأثير لا يوصفان.

وله من الأوصاف لمظاهر الطبيعة، ولاسيما في مظاهرها الفلكية التي تنزل فجأةً وتختفي في وقت معين، ولكن سحرها وذكرياتها، لا يمكن أن ينسيان أو أن يهملان بدون وصف وشعر من شاعر وصّاف، عليم بهذا الغرض وأهميته وغايته. كقول الشوّاء في وصف الثلج وقد نزل به يوماً:

رُبَّ يومٍ حليتْ اطرافُهُ لسقوطِ الثلجِ في بيضِ المُلاءِ
خلتُهُ إذ لاحَ في اللوحِ لنا من خلالِ الخالِ يهوي في الهواءِ
ورقاً من ورقٍ تنثرُهُ راحةُ الريحِ لتفضيضِ الفضاءِ
لو تَرى الروضةَ لمَّا راضَهَا خصرٌ جَمَّدّ أمواهَ الإضاءِ
قُلتَ بسطٌ من حريرٍ أخضرٍ مخملاتٍ وُضِعت فيها مرائي[٣٢]

ولا ينسى الشاعر الوصّاف الشوّاء أن يصف الفارس وما يجب أن يكون عليه، أو ما رآه عليه بعد أن وصف الفرس وما كانت عليه، أو ما يجب أن تكون عليه. يقول في هذا الفارس:

إذا سرى ونجومُ الليلِ ترقبُهُ واربدَّ من هبواتِ النقعِ اشهبُهُ
أراكَ ليثاً بغابرِ السمرِ مُعتقلاً للصِّلِّ يضبحُ في اللَّباتِ ثعلبُهُ
في متنِ عبلِ الشوى تغدو الجفونُ لهُ عبرى إذا راحَ يومَ الحرب يركبُهُ
جناحُهُ إن يطر كالصـــقرِ مُنصلُهُ والرّمحُ منسرهُ والسهمُ مخلبُهُ[٣٣]

ومن المؤكّد أن المقطوعة لوحة تشكيلية مزخرفة بإتقان، ولا تحتاج إلى كثير شرح وتأويل، فهي واضحة وضوح الشمس في كبد النهار الصافي، ووضوح أوصاف الشوّاء التي لا تملُّ قراءةً، وانشاداً، ودراسةً.

والسُّماني، ذلك الطائر الجميل، صاحب الصوت الرخيم المتفائل، له وقعٌ طيب في أوصاف شاعرنا الشوّاء، ومن ذلك ما قاله يصفه، ويحكي صوته أوزان الخليل وأعاريضه وأضربه:

كأنّ السُّماني عروضيةٌ تُقطّعُ سالمَ بيتِ الغريبِ
نردّدُ وزناً أحلّ الخليلُ بهِ في أعاريضهِ والضَروبِ[٣٤]

فنلحظ كم هو رشيقٌ هذا الوصف في الرسم والتعبير. وكم هي ثقافة الشاعر وتمكنه في المزج بين العلوم والفنون في مختلف الأغراض الشعرية التي طرقها، ونظم فيها.

وله مقطوعة أُخرى في وصف هذا الطائر، ويرافقه في هذا الوصف "الديك" وأيضاً يسبغ عليهما الشوّاء المظاهر الحيّة، والصفات القوية بما عُرف عليهما من نعمٍ وهيئات ظاهرة وباطنة. يقول الشاعر الشوّاء في وصف الديك والسماني:

كأنَّ السُّماني إذا أُطلقتْ وجاوبَها ديكُنَا فارتجلْ
فصيحانِ قد مهرا في العروضِ وبينهما طالَ فيهِ الجدلْ
فتلكَ تقطّع بيتَ الغريبِ وهذا يقطعُ بيتَ الرملْ[٣٥]

تلحظه متمكناً في وصفه، ورسم صوره من خلال هذا الغرض. أمّا عن ثقافته العروضية فهي بادية عليه بما لا يقبل الشكّ، وبما لا تتحمل التأويل، وهذا ما شهده له من ترجم له وأورد سيرته وتفاصيل حياته، ولاسيما تربه وصديقه المقرب ابن الشعار الموصلي إذ شهد بتمكنه العالي لعلم العروض ومعرفته الدقيقة والواسعة بأوزان الشعر.

"الدواليب" تلك الثيمة المكانية الحضرية، وما يُعرف عنها وما فيها من صفات كانت شائعة في أوصاف الشعراء العرب، ولاسيما في أشعار الشعراء الأندلسيين[٣٦]، كانت أيضاً من بين أوصاف شاعرنا الكبير الشوّاء الكوفي. ولكنه في وصفه لها يركز على حركتها، وفعلها ووظيفته في نقل الماء وتوزيعه بين الحقول والمزارع، أكثر من تركيزه على صوتها، أو شكلها، وعناصر الصناعة فيها. يقول الشوّاء في وصف الدولاب:

دَولابُنا فلكٌ يجري وانجمُهُ تسري وكُلٌّ إذا انقضتْ لَهُ ذنبُ
كأنّها وبطا في حوضِها زَبدٌ خناجرٌ في دروعٍ حينَ تنسكبُ
يُديرهُ جدولٌ ينسابُ مُنعطفاً كالأفعوانِ حياهُ الرقشَة الحببُ
يهوي فيشربُهُ جزعاً فيدفعُهُ منعاً فمن حُزنهِ يبكي وينتحبُ(٣٧)

لقد تعددت أوصاف الشاعر الشوّاء في شعره كثيراً، فهو – كما أسلفت- شاعرٌ وصّافٌ بامتياز، خبرته الطويلة في الشعر والأدب، وحياته الكبيرة في السنوات والعيش، وحلب الشهباء وما فيها، وما يحسب عليها، أتاحت لهذا الشعر الكثرة والاتساع والإفراط في هذا الغرض، حتّى جاء الأول والأكبر والأهم من بين أغراضه الشعرية، ولا أُغالي إن لم أقل إنّه أكبر شاعر وصّاف في عصره، وفي زمانه، وفي مكانه.

ومن أوصافه الأُخرى، وصفه للشمعة وما فيها من سمات ووظائف، ووصفه للرياض، ووصفه للسفينة، ووصفه للزهور والنبات، ووصفه للفواكه والثمار، ووصفه الليل، ووصفه النجوم، ووصفه الحمّام، ووصفه القمر والثريا، ووصفه بعض الألعاب، ووصفه البساتين، ووصفه الأنهار... وغيرها كثير. إنّه شاعر مصوّر، وملتقط بارع للطبيعة وللحياة وللمدينة وما فيهما، لذا فشعره في هذا الجانب بحاجة إلى دراسة أكبر، وأشمل وفي شعره ما يكفي الدارس، وما يستوعبه البحث العلمي الأصيل، تحليلاً، ومنهجاً، ونتائج.

إذا ولّيت وجهي شطر الغرض الثاني من أغراض شاعرنا الشوّاء، فسيكون حديثي فيه عن الغزل، ذلك الغرض الرقيق المحبب إلى النفس البشرية، وألصق الأغراض الشعرية بالغريزة الإنسانية. وشعر الشوّاء في هذا الغرض يتسع على قصائد، ويتداخل فيها غرضان شهيران بالتداخل فيه هما الخمرة ووصف الطبيعة. أحياناً لا تفرّق في شعر الشوّاء بين هذه الأغراض، وهذا من حقّه، وما جاء عليه سائر الشعر العربي، وما تعارف عليه الشعراء العرب، من تداخل وتمازج بين هذه الأغراض الثلاثة في المضمون والمعاني، والبناء الفني والهيكلي للنص الشعري. ناهيك عن قوله أو وصفه للغلمان، وما فيه أيضاً من غزل، ولوعة، وصد، وفرقة، وبكاء على المحبوب، وهذا ما يحسب على غرض الغزل أيضاً.

لكنّي سأركّز حديثي عن لوحة الغزل بأدقّ تفاصيلها، أو مقطوعات الشاعر الغزلية، تاركاً الحديث عن الأغراض الأُخرى المتداخلة في مكانها وموضعها من هذه الدراسة، أو في لوحات القصائد الأُخرى التي ستتضح من خلال جمعنا وصنعتنا وتحقيقنا لشعر الشاعر كاملاً، إن شاء الله.

في الغزل، تبدو أوصاف من تغزل بها الشوّاء واضحة جلية. وصفات الشوق والهجر والبعد بادية أيضاً. ومن ذلك قوله في قصيدته في الغزل:

يا أيها الرّشا الغادي بل الأسدُ الـ عادي بل القمرُ البادي لرائيهِ
فاتَ الظنونَ فقد دقَّت محاسنُهُ عن أنْ تُحدَّ بتكييفٍ وتشبيهِ
ورفقاً بصبٍّ جفاكَ المُرُّ ممرضُهُ ووصلُكَ الحلُو بعدَ الله شافيهِ[٣٨]

ويقصُّ علينا مفارقة شيقة في أفكاره الغزلية في مقطوعة، غايتها وصف مشاعره أمام المعشوقة، وأيهما المهجور، هو أم من تغزل بها؟! فضلاً عن معاني الغزل وأمراضه الأُخرى التي عُرفت عند الشعراء، وغيرهم من أقدم العصور. يقول الشوّاء في مقطوعته الغزلية هذه:

وغزالٍ من عُجبهِ نشرَ العتبَ سروراً في طيَّهنَّ سرورُ
لو جنى غضَّ وردَ وجنته باللَّـ حظِ غيري لَغضَّ منهُ الغيورُ
أرهفتْهُ الحُمَّى فأصبحَ منها لونُهُ وهو للنُّظارِ نظيرُ
لو تأمَّلنا نـــحيفينِ مُصفرَ ينِ لم يُدرَ أيُّنا المهجورُ[٣٩]

وأحياناً تصل المغامرة الغزلية بشاعرنا الشوّاء إلى مبالغ موغلة في الاسفاف والتكشف والتصريح، بل والوقوع في المحاذير الشرعية والأدبية والخلقية في مثل هذا الغرض. كما نلحظ ذلك في نصه الشعري الذي يقول فيه:

تَهْ دلالاً فإن ظلمك عدْلُ كلّ صعبٍ سوى فراقكَ سهلُ
وتأملْ حالي تجدهُ عجيباً غيثُ دمعي لَهُ بجسمي مَحلُّ
يا هلالاً لَهُ دلالٌ وعُجبٌ في هواهُ ولي خضوعٌ وذُلُّ

هذا الوصف للمحبوب، المصاحب للجمال والدلال والرشاقة، وهذا الخضوع والذل من جهة الشاعر العاشق، هيّأ للشاعر الولوج إلى الإسفاف، وهي قمة البوح عن مشاعر الذات، وكنه عواطفها في هذا الغرض تجاه هذا الإنسان الجميل المترف المتنعم المدلل، لنواصل قراءة الأبيات:

في قضيبٍ تكادُ قامتهُ تُعـ ـقدُ من فرطِ لينهِ وتحلُّ
زُدتُ حُزناً وفقتَ حُسناً فأضحى ما لحُزني وما لحُسنكَ مثلُ
وخلعتُ العذارَ فيك فأضحى بعذاريكَ لي عن اللومِ شُغلُ[٤٠]

وله قصيدة طويلة نسبياً في الغزل، وفيها لوحات عدّة من شكوى الحبيب والصدود عن العاشق، وأيضاً وصف للمتغزل وصفاً يقرب إلى العموم، وليس فيه تفصيل دقيق، أو تركيز على شيءٍ محدد وواضح ومخصوص به هذا المعشوق، وكذلك من لوحات هذه القصيدة الحديث عن الوشاة والعذّال وفضلهم(؟!) في الفرقة، وزرع الشكوك بين المحبين.... تنتهي القصيدة بإضاءة قرآنية دينية عميقة، وتحكي قصص الانبياء في محبة سيدنا يعقوب لسيدنا يوسف (عليهما السلام). النص – القصيدة- على ما فيه من لوحات كثر إلّا إنها صبّت في الغرض الشعري الواحد، وكذلك كان الترابط الموضوعي قائماً وواضحاً بين اللوحات. والصور ميّزت كلّ لوحة وما فيها عن اللوحة الأُخرى بإتقان احسبه طياً، ومحموداً في الكثير من تفاصيله، وأجزائه. ولكن لغة الشعر في هذه القصيدة انتابها ضعف، وقوافيها كانت قوية وغير متناغمة مع غرض رقيق رشيق لطيف العبارة والمعنى والنظم، كغرض الغزل.

وعلى الرغم مما قدمت فيه القول في غرض الوصف في الغلمان، وما في هذا الوصف من ذكر لمعاني الغزل، وترابطه مع الساقي، وهو الجزء الذي يشمل الغزل والوصف والخمرة- إلّا إني سأذكر مقطوعة أراها من الغزل الغلماني، وأراني مجبراً للاستشهاد بها لبيان أهمية هذا الغرض عند الشاعر، ولاسيما هذا النوع من الغزل، ولمتطلبات البحث والدراسة، ولبيان أثر الشاعر وشعره وأهميته في الأغراض كلّها. يقول الشاعر الشوّاء في غلام اسمه مالك:

يا مَن غَدا لي كاسمهِ وانثنى للحظهِ في القلبِ مقلوبُهُ

ارحم فتًى أنتَ مُناهُ فَمَا يَحلُّ في دينكَ تَعذيبُه[٤١]

تلكم كانت أهم معاني الغزل وصفاته عند الشاعر الشوّاء، لم يخرج عن المعاني التقليدية لهذا الغرض عند الشعراء العرب، وما أرى غزله جاء عن تجربة معيشة، قاسية عانى منها في حياته ومن ثمّ في شعره. ولكنه طرق هذا الباب وفي قصائد ومقطوعات تُحسب له ولشعره، ولشعر عصره، كما أوضحتُ في الدراسة، وكما سيأتي في مجموع شعره ومصنوعه.

وتكادُ تكون الأغراض الأُخرى التي نظم فيها الشاعر الشوّاء لا تشكل إلّا جزءاً يسيراً من شعره، على الرغم من أهمية هذه الأغراض، وكبر مساحتها في الشعر العربي. ومن تلكم الأغراض، المديح، فللشوّاء تركة خفيفة وبسيطة من شعره في هذا الغرض، وهو في هذا الغرض لا يبعد عن معاني المديح كما توارثها الشعراء العرب، من اخلاص ووفاء وشجاعة وكرم، وحسن الموقف في الشدائد وغيرها. وكذلك في اللغة والصور والموسيقى كان مديح الشاعر الشوّاء ذا لغة جزلة وفخمة، وصوره قوية الرسم والتعبير والدلالة، وموسيقاه لا تقلُّ إحكاماً وفنية عن اللغة والصورة، بما ينسجم مع هذا الغرض، ومع ما قيل من أجله، وفي أية مناسبة. ومن شعر الشوّاء البارز في غرض المديح قوله يمدح السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي – رحمه الله- من قصيدة طويلة بعض الشيء يستهلها الشاعر بمقدمة عن النار ووصفها، وما فعلته في الشاعر وفي الأمكنة التي تمرّ بها وهي مقدمة غريبة بعض الشيء، وكذلك ما عرفت مثلها في شعرنا العباسي من قبل. وبعد هذه المقدمة يلج الشاعر إلى الممدوح ليقول فيه:

ملكٌ رصفُ وصف عُرِّ معاليـ ـه اعتقادي ومدحُهُ لي دأبُ
ثابتُ الجأشِ إن تكلَّفَ نقعٌ ثاقبُ الرَّأي إن تنكّر خطبُ
قُضبُهُ البيضُ رُعَّفٌ وقناهُ السُّـ ـمرُ صُمٌّ وخيلُهُ الكُمتُ قُبُّ

على هذه الصورة المجلجلة كانت شخصية هذا الممدوح القوية. ويبدو أنَّ مديح الشوّاء له لإعجاب الشاعر به، ولشكره على مواقف مرّت به، ولذا نراه يسبغ عليه المكرمات كلّها، وأنّه المفضال الكريم، فضلاً عن كونه صاحب الدين، الذي يدافع عنه، ويحفظ هيبته ومكانه دائماً. هاك قوله يمدحه بهذه الخصال:

إنْ أتى سائلٌ فبِرٌّ ولطفٌ أوعتا صائلٌ فطعنٌ وضربُ
فهو للمكرمات خدنٌ وللجُو دِ حليفٌ وللشجاعةِ تِربُ
وهو من أُسرةٍ نداهُم تليدٌ وطريفُ المجدِ إرثٌ وكسبُ
أيها الدهرُ ما لصرفكَ عندي بعدما سرَّني بمرآهُ ذنبُ
قد سما يا غياثةُ بك دينٌ بذُبابِ الحُسام عنهُ تذبُّ

ولا تقلُّ أوصافه وسماته في الشجاعة والحرب، هو ومن معه، عن أوصافه وسماته في الكرم وحماية الدين والحفاظ عليه شأناً ومنزلة ولفظاً وصورة في شعر الشوّاء في غرض المديح، ولممدوحه هذا. ولنستمع أيضاً إلى لوحة أُخرى من قصيدته هذه يمدح فيها الشاعر هذا السلطان وقومه بالشجاعة، وما فعلوه في العدو، وكيف يفخرون بالسيوف والرماح في ساحات القتال، كما فخروا بالمجد والنسب والكرم والخلق من قبل. يقول في مدحه:

فاجلها شرقاً وغرباً فقد أصـ ـبحَ يخشى سطاكَ شرقٌ وغربُ
فالعوالي ظمأى وجن من الخيـ لِ إلى خوّةِ القتامِ الشهبُ
مرحان تُخال في الخالِ والوش ي رياضاً لها الذوابلُ قضبُ
تتهادى تيهاً بكُلّ كميٍّ خدنُهُ الرُّمحُ والحُسامُ العَضبُ
طالما احطمَ الرماحَ بصدرٍ ليسَ في قلبهِ من الموتِ رعبُ
كُلّما شام قتلَهُ بالأعادي رُمحُهُ هزّهُ لذلك عجبُ
وانثنوا للرماحِ في اجماتٍ زرأتْ تحتها ضراغمُ غُلبُ
احدثوا في عداكَ خفضاً وجزماً ولَهم في عُلاكَ رفعٌ ونصبُ

وأمّا عن خاتمة النص، وخاتمة هذه القصيدة المدحية التي أراها محكمة في الصنعة والوحدة ورسم صورة الممدوح وقومه، فجاءت بالتهنئة بالعيد، ويبدو على الأغلب أنّه يوم النحر، أي يوم عيد الأضحى. وفيها يأتي الشاعر الشوّاء بمفارقة محمودة ومتوقعة بين نحر الضحايا وبين نحر الأعادي، ويدعو له بالبقاء عزة وسلاماً ورفعة، وسواءٌ أكانت هذه المناسبة حقيقة الوقع، والمكان، واليوم... أم كانت من خيال الشاعر، وما يُعرف

في هذا اليوم العظيم من النحر وتقديم الضحايا واللحوم لله – سبحانه- فإنّ الشاعر احسن المناسبة بينهما، واحسن الخاتمة ليترك هذا الممدوح في صفات أبدية، واخلاق سرمدية. يقول في خاتمة قصيدته المدحية هذه:

فتمتَّع بالعيدِ وانحر اعادي كَ بماضي عزيمةٍ ليسَ تنبو
وابقَ في عزّةٍ لكَ الدهرُ سلمٌ والليالي لمن يُعاديكَ حَربُ(٤٢)

ويأتي المديح في شعر الشاعر الشوّاء الكوفي على شكل مقطوعات أيضاً. وهو في مثل هذه المقطوعات يستوفي الفكرة كاملة بأبيات شعرية قليلة، ويلجأ إلى التكثيف في الصورة، وحشد وسائلها البيانية والحسية ليكمل الأفكار، ويستوفي خصائص الممدوح وصفاته. كما في قوله مادحاً الإمام علي – عليه السلام- من مقطوعة:

فتًى فاقَ الورى كرماً وبأساً عزيزُ الجارِ مُخضرُّ الجنابِ
ترى في السِّلمِ منهُ غيثَ جودٍ وفي يومِ الكريهةِ ليثَ غـــابِ
إذا ما سلّ صارِمهُ بحربٍ اراكَ البرقَ في كفِّ السحابِ(٤٣)

ومن مثل هذه المقطوعات يقول في شجاع:

قَسَم العُلا شطرينِ بينَ سماحةٍ وحــسامُهُ يومي ندًى وجلادِ
فتراهُ في حالي رضاهُ وســخطهِ ليثاً وغيثاً في الوغى والنادي(٤٤)

ويستغل بعض ثقافته الأدبية في اتمام معاني المقطوعات في مديحه. كما نلحظ في مقطوعة مدح بها رجلاً جواداً ركب فرساً، وشبّهه الشاعر الشوّاء بحاتم الطائي وفرسه، فاحسن المزاوجة وتتميم المعنى، واستغلّ تلكم الثقافة العالية التي كان يعرف بها في شعره وأدبه. يقول:

جوادٌ إذا أجرى الجوادَ إلى مدًى أراك براقاً طارَ منهُ ببارقِ
فديتُهُما من شازبٍ تحتَ واهبٍ لقد أرياني حاتماً فوقَ لاحقِ(٤٥)

وأحياناً يجمع بين غرضين في مقطوعة شعرية واحدة، كان للمديح نصيبٌ طيبٌ من هذين الغرضين. ومن ذلك قوله يصف زورقاً ركبه الملك عبد العزيز غياث الدين، وقد جمع بين الوصف ومدح هذا الملك بشكل معجب مطرب، وحلّت الأوصاف في

المدائح، والمدائح في الأوصاف، وفي مقطوعة؟ هذا قد لا يتأتى إلّا لشاعر أحكم الصنعة، واتقن الحرفة، واطلع على ناصية الأدب العربي وأغراضه كشاعرنا الشوّاء. يقول في هذا الوصف والمديح معاً:

حلَّ العزيزُ غياثُ الدينِ مُذهبَةً من سُقمِها لا يهابُ الموجَ عائمُهَا
كالبحرِ يخرقُ تيّارَ الفراتِ بهِ نارٌ تاجّجَ فوقَ الماءِ جَاحمُهَا
كأنّ زورقَهُ من فرطِ سُرعتِهِ وقد جرى بين أمواجٍ يُصادمُها
نسرٌ تطيرُ بهِ في الماءِ اجنحةٌ من المقاذيفِ من تبرٍ قوادِمُها[٤٦]

هذه كانت أغلب صفات وخصائص غرض المديح في شعر الشاعر الشوّاء الكوفي. نعم إنّه أجاد في التعبير عن صفات الممدوح ومآثره ولاسيما في هذا الملك أو السلطان عبد العزيز غياث الدين، أو في أُناس ورجالٍ أُعجب بهم ولم يذكر أسمائهم. وأمّا قلّة هذا الغرض في شعره، وهو الغرض الأثير والكبير والمتميز عند الشعراء العرب، وفي عموم الشعر العربي، فلربما لتخصص شاعرنا الشوّاء بالوصف، أو للظروف التي عاشها، وعاشتها المدينة التي حلّ بها، فلم يجد إلّا هذا الرجل الذي نال اهتمامه واعجابه، وخصّه بشيءٍ من شعره، ولعلّ قابل الأيام تضعنا على كثير من شعر الشاعر المفقود الضائع، ليعرّفنا بشاعر مدّاح، يُشار له بالبيان، كما كان شاعراً وصّافاً، وشاعراً غزِلاً... بامتياز وجدارة.

ونظم الشاعر الشوّاء الكوفي في غرض الهجاء أيضاً. وأهاجيه تقوم على الطرافة والدعابة أكثر من كونها تنمُّ عن عداءٍ وكراهية وخصومة. فهو لا يعدو أن يهجو بعضاً من الأشخاص بالبخل، أو الثقل في الهيئة والجسم، أو عدم حفظ السرّ أمام الآخرين... وغير ذلك. وأغلب أهاجيه تحتضنها المقطوعة القصيرة المركّزة في مثل هذه المعاني الذميمة بين الناس وفي المجتمع. ولنقتطف بعض النماذج من شعره في هذا الغرض، ولنترك الحكم لقارئنا ومتلقي شعر الشوّاء في الحكم عليه، وموازنته مع الشعراء العرب الكبار الذين نظموا في هذا الغرض على مرّ تأريخ الأدب العربي وعصوره.

في مقطوعة بدا الشوّاء فيها انفعالياً وغضباً جداً من شخصٍ ما فهجاه بأقبح الصفات، وألعن المقبوحات. وهو في هذا الهجاء يبدو شاعراً سليط اللسان، ينتهك الأعراض،

ويلج المحظور. ولو علمنا من هذا الشخص؟ وما سبب هجائه من قبل شاعرنا؟ لأدركنا سبب هذا الانفعال، وهذه الثورة العاطفية الغاضبة من الذات← الشاعر على هذا الشخص وما فيه. يقول هاجياً:

الا يا ابنَ العبيدِ الأدعياءِ ويا ابنَ العاهراتِ من الإماءِ
لكَ استٌ قد غدت في الماءِ ذُلّا وانفٌ راحَ كبراً في السماءِ
تركتُكَ لا أُعاتبُكَ احتقاراً لأنَّ العتبَ بينَ الأصفياءِ
لأن اطرقتُ أعملُ فيه فكري لأنتهكنَّ عِرضَكَ بالهجاء[٤٧]

ويرسم صورة هزلية طريفة لصديقه الذي يبوح بأسراره. وهو إن كان صديقاً مقرّباً إلّا إنَّ هذه الظاهرة القبيحة تستحق الهجاء وتستحق الذمّ، كما تستحق الحذر من مثل هؤلاء الأصدقاء، والكشف أمامهم عن كلّ شيء في حياتنا وفي أُمورنا الخاصّة والعامّة. يقول الشوّاء في هذا الصديق(؟!) البائح السرّ:

لي صديقٌ غَدا وإنْ كان لا ينـ ـطقُ إلّا بغيبةٍ أو محالِ
اشبهُ الناسِ بالصّدى إنْ تُحدِّثـ ـهُ حديثاً أعادَهُ في الحالِ!!![٤٨]

وله من المقطوعات في هذا الغرض، في إنسان قبيح الخلق. والشوّاء هنا لا يصرّح بأخلاق هذا الإنسان القبيحة، أو يعرّف بها إلى القارئ وإنّما يوغل في وصفه بالقرد الذي يتلاعب بالأمكنة، وما عُرف عنه من زيغ وهروب من الحيوانات الأُخرى. يقول الشوّاء في هذا الإنسان:

أتى فوقَ بغلتهِ للحسابِ فرُحتُ وقد قلتُ قولَ الصّوابِ
أُشبِّههُ وهو من فوقِها بقردٍ تسنّمَ إحدى الروابي[٤٩]

وكما وصف الشوّاء المغنيين، واطنب في وصفهم بالإحسان، والفن والجمال – لبعضهم–، مثلما ذمّ بعض الآخرين في فن الغناء والطرب. وهو لا يعدو الدعابة، ولا يغادر الطرافة في الوصف أولاً، وفي الهجاء ثانياً. والموضوع هو الموضوع، والمشاعر هي المشاعر. يقول هاجياً مغنياً:

تمنّيتُ إذْ غنّى وصفّقَ لو قضى إلهُ الورى قبلَ السكوتِ بموتِهِ

فيا ليتَ عينيهِ وكفّيهِ أصبحتْ كإيقاعهِ عندَ الغناءِ وصوتِهِ(٥٠)

وأمّا في البخيل وذمّه وهجائه، فالشوّاء يمضي إلى ثقافته العروضية في هذا الذمّ، والمقطوعة أشبه بالأُحجية لهذا العلم، وما في البحر الطويل من خصوصية يعرفها من يتقن هذا العلم، ومن يعرف أعاريض وأضرب هذا البحر. يقول الشوّاء في هجاء بخيل:

أيا مَن هو الوصبُ اللابثُ واطلعتُهُ النصبُ الحادثِ
ومَن كفُّهُ كعروضِ الطـويـ ـلِ فيا ليتها ضـــربُهُ الثالثِ(٥١)

ولا تقف حدود الثقافة والمثاقفة عند شاعرنا الشوّاء على العروض وحده، وإنّما يسخر ثقافته الدينية، واطلاعه على القرآن وآياته في غرض الهجاء. ومن ذلك قوله يهجو بخيلاً آخر، ويستغل مصادر هذه الثقافة الدينية القرآنية أحسن استغلال:

يا باخلاً من لُؤمه قلّما يُلقحُ جوداً وعدُهُ الخُنثى
عرضُكَ مُسودٌّ غدا وجههُ كأنَّهُ بشرٌ بالأُنثى(٥٢)

ومن صوره الطريفة الداعبة في هذا الغرض، قوله يذمُّ عوّاداً، ويوغل في هذا الذم بصفات قبيحة مؤلمة معروفة عند أهل هذا الفن وغيرهم. كما في قوله:

تبّاً لعوّادةٍ قصيرة با عِ الفهمِ جَهلاً طويلة العُمُرِ
خارجةِ الضَّربِ والغناءِ معاً تُريكَ وجهاً من أقبحِ الصورِ
يُذهبُ مضرابُها وأنمُلُها في الحبسِ والضَّربِ لذَّةَ الوترِ
بعُودِها إذ تجسُّهُ لكن يُفضي بجُلّاسِها إلى الضجرِ
كأنّ أوتارهُ إذا قُرِعتْ حبالُ صوفٍ شدَّتْ على حجرِ(٥٣)

وللشوّاء أهاجي أُخرى في شعره ولكنّها لا تخرج عمّا قدّمنا فيه القول، من ذمٍّ الصفات القبيحة، والأخلاق السيّئة، واستغلال الثقافة العروضية والدينية والأدبية في شعره في هذا الغرض. ويأتي دائماً على شكل مقطوعات ترسم الدعابة والتفكّه، مع ما فيها من معانٍ كبيرة، وخطيرة قد تضرُّ بالإنسان والمجتمع، وكما يعلمها الجميع.

ولم تكن أوصاف الخمرة ومعانيها عن أوصاف الغزل، والطبيعة ببعيدة في شعر الشوّاء الكوفي، ولذا جاءت في الكثير من أشعاره، وأحياناً – ويحقُّ لها ذلك- تمتزج مع الغزل

ومع الطبيعة بشكل واحد، ومتكاتف جداً، حتّى لا فرق بينهما، وهذا ما عُرف عنها في عموم الشعر العربي، ولاسيما في شعر العصر العباسي، وبين الشعراء العباسيين بمختلف أماكنهم وأزمانهم. وسيكون حديثي عن الخمرة ووصفها ومعانيها وسماتها في شعر الشوّاء في القصائد والمقطوعات التي استقلت بها، تاركاً الباقي مع مجموع شعره المصنوع المحقق، وهي غير بعيدة عن القارئ اللبيب، والمتتبع لشعر شاعرنا الشوّاء، أو لشعر غيره من الشعراء في هذا العصر. في قصيدة خمرية يفتتح شاعرنا قصيدته هذه بالدعوة إلى السقيا ولاسيما كلّ يوم خميس. أمّا عن الأوصاف، وما تفعله الخمرة، وكيف هي، وكيف كانت. هاك قوله في مفتتح قصيدته هذه:

اسقني الرّاحَ كلّ يومِ خميسِ بينَ مُردٍ شمامسٍ وَقُسُوسِ
من شمولٍ بكأسها تجمعُ الشَّمـ ـلَ وتُنسيكَ كلَّ همٍّ وبؤسِ
لو أطاقت نُطقاً عزت صاحبَ الد يرِ أباً عن أبٍ إلى إدريسِ
عُتِّقَتْ في دنانها حقباً حـ تَّى تلاشتْ إلّا بقايا نُفُــوسِ
وصَفَتْ في إنائِها فهي لا تُدْ ركُ حسّاً كسائرِ المحسوسِ

ويتمم الشاعر الشوّاء الحديث عن الدير، وعن هذا المكان وما فيه من شرب الخمور وصناعتها كما في قوله في قصيدته هذه:

واسقنيها على غنا جاثليقَ الدَّ يرِ من راحةِ ابنةِ القسّيسِ
فهي خودٌ تجلُّ عن أن تُقاسَ الـ يومَ في حُسنِها إلى بلقيسِ

ولا ينسى شاعرنا الشوّاء الحديث عن الندامى في مجالس هذه الخمرة، وهم – عنده- من أبناء النصارى، ومن أبناء هذه الأديرة، كما يوضح ذلك وصفه لهم في قصيدته هذه:

في ندامى من النصارى إذ لا حَ سناها خرّوا لها كالمجوسِ
علّقوا فوقَ دنّها الصلبَ تعو يذاً وقد ألبسوهُ لُبسَ القُسُوسِ
فتراهُم ليلاً يضجّون بالتسـ ـبيحِ من حولهِ وبالتقديسِ(٥٤)

وعلى هذه الشاكلة هي الأبيات في وصف الخمرة، وما تفعله في شاربها، في وصف الندمان وما يفعلونه في تلك المجالس، في مشاعر الشاعر وما تفعله فيه، وما سيتذكره،

وما يتغزل به، وما يصفه. إنَّ النص يذكرنا بشعراء العربية الكبار كأبي نواس (ت١٩٩ه)، ووالبة (ت١٧٠ه)، وسلم الخاسر(ت١٨٦ه)، وهم ينظمون في وصف الخمرة، ووصف مجالسها فتأتي أوصافهم في غاية السحر، وقمة التعبير والدلالة والإحكام في الغرض والفن.

وله إلى جانب القصيدة مقطوعات في وصف الخمرة ولياليها الحلوة، وما تكون عليه هذه الليالي من سحرٍ لا يقاوم، وتأثير لا يوصف لا يمكن أن يغادرها شاعر متمكن كشاعرنا الشوّاء بدون أن يصفها، ويعرّج في الحديث عن تلك الليالي فيها. يقول مثلاً في مقطوعة مسبوكة بعناية وجمالية قلَّ نظيرها عند الشعراء الآخرين في هذا الغرض:

ادرها علينا أيُّها الليل انجما تبيتُ على أيدي السُّقاةِ سواريْ
تحلُّ اباريقاً تخالُ بوارقاً تلوحُ فتكسو الليلَ ثوبَ نهارِ
وقد بُسطت كفُّ الثريا كأنّها بياضُ مشيبٍ في سوادِ عــذارِ
وقد نفختْ ريحُ الصَّبا فحمةَ الدُّجى فاذكتْ من الإصباحِ جذوةَ نارِ(٥٥)

ويأتي إلى القمة في شعره في وصف هذه الخمرة، ويحدّثنا فيها عن الساقي وكيف يجب أن تكون صفاته، ووظيفته. وقولي القمة في شعره، إذ رأيت هذه المقطوعة من أبلغ مقطوعات شعره، ومن أكثرها إحكاماً ونسجاً وصفة وفناً، على الرغم من بحرها الطويل، ومن قافيتها الكافيّة وقوة الضمة. إلّا إنّ الأوصاف، والأماكن، والشخوص، والبديع والبيان والحواس، أسهمت كلّها في كسر رتابة الموسيقى الخارجية (الإيقاع الثابت)، وتركت القصيدة في جمال وجمال وسحر وتأثير لا أظنُّ أنَّ القارئ يخالفني فيهما أبداً. يقول في مقطوعته الخمرية هذه:

ألا سقّيانيها فقد نفحَ المسكُ ولا تحبساها بعدما صدحَ الجُنكُ
وطوفا بها حُبيّةً حُبيّةً مشعشعةً كالتبرِ أخلصهُ السبكُ
إذا كفُّ ساقٍ أو ماتْ نحو شربِها بها لم يـشكُوا أنَّها خمرةٌ تذكو
يُطوفُ بها ساقٍ إذا لاحَ حاسراً لنا قلتُ قولاً لم يشُبْ صدقَهُ إفكُ:
أرى الليلَ لا ريبٌ على البدرِ لامراً على الغصنِ لا خُلفٌ على الحقفِ لا شكُّ

ولا تبخلا افديكما أن تُناديا إذا هزّني سُكري بها لمن المُلكُ[٥٦]

ولعلَّ آخر ما أقف في وصف الخمرة، وفي هذا الغرض عند شاعرنا الشوّاء الكوفي، هو وصف هذه الخمرة في الليالي وبين النجوم. الشاعر الشوّاء الوصّاف أولاً، والمتعلق بالخمرة ومعانيها ثانياً يدرك تماماً أهميتها في هذه الليالي، وبين هاتيك النجوم، ولاسيما أنّ ساقيها الصبي المدلل الجميل، وإنّ فعلها الناري السحري لا يوصف، وأنّ البدر محيط بهم، وأنّ الليل سائرٌ عليهم، ويسمح لكلّ هذه المغامرات وغيرها... يقول الشوّاء الكوفي يصف الخمرة والليلُ والنجم في مقطوعة:

اسهو فيبديك التفكُّرُ نائي فإخالُ أنَّكَ واقفٌ بإزائي
يا شادناً لعبت بمشيتهِ الصَّبا فانهالُ مثلَ الرَّملةِ الوعساءِ
قُم فاسقني صرفَ الدنانِ ولا صرفَ الزَّمانِ فعيشنا لفناءِ تهبْ
كأسٌ تروَّحُ وروحُها ناريَّةٌ والجسمُ نُوريُّ الأديمِ هوائي
بالماءِ طفِّ النارَ لكن نارُها بالضّدِّ يذكو جمرُها بالماءِ
أو ما ترى الليلَ البهيمَ وقد بدا من شهبهِ في لَّةٍ شمطاءِ
والبدرَ تُبديه لعينكَ هالَةٌ كالنُؤي حولَ الخيمةِ البيضاءِ[٥٧]

هذي أبرز الأغراض الشعرية الكبيرة والمتوارثة التي عثرت عليها في شعر شاعرنا الكبير الشوّاء الكوفي، ولمحت لمحاً خفياً بعضاً من الأغراض الشعرية أو ما تحسب على هذه الأغراض في الموضوع والنظم. ومنها في وصف حالة الشاعر، وتعبه من الحياة الطويلة الصعبة التي يبدو أنَّه عاشها، أو مرَّ بظروف صعبة في معيشتها. فشاعر أربى على السبعين من أحواله، وعاش في بلد غير بلده الأصل، ولاحظ تبدّل أحوال الناس، وصفاتهم وطبائعهم، وأخلاقهم... لا بُدَّ أن ينظم في حاله هذه، وفي نفسه وما تتعرضُ له. ومن ذلك قوله في صروف الزمان، ووصف تبدل الزمان وأهله، وهو لا يتناسى ثقافته العلمية، ولكن النحوية واللغوية في هذه المرة، وفي هذه المقطوعة التي يقول فيها:

اصبحتُ مُذ أمسى يُصرّ فني على مرضاتهِ صرفُ الزمان الكابي

كالدّالِ من زيدٍ إذا عبثتْ بها بينَ النحاةِ عواملُ الإعرابِ
فرداً من الإخوانِ تغمضُ قصّتي فكأنني شرطٌ بغيرِ جوابِ(٥٨)

ويقول في معانٍ جميلة يصف بها نفسه، وترفعه عن الناس الذين يسبونه أو يذمونه أو ينبذونه، وإنّه أقدر للمعالي، وأصلح للتجاوز، وليت شعري مثل هذه الأخلاق ومثل هذه الشمائل لا تكون إلّا لرجلٍ شجاع، ولعالم خلوق، ولإنسان صقلته التجارب ومرّ على جور الدهر، وظلم الزمان، فتجاوز عنهما، وتوكّل على الله، وجعله هو حسبه، والآخرون يشاهدون على حسن خلقه، وطيب معشر، وفضله تجاوزه. يقول في نفسه وحاله:

أرى حسناتي عند قومي مساوئا كأن لم اشدْ أركانَ مجدهم وصفا
ولم أكُ اسطاهم إذا حادثٌ عرا وأعفاهم عن جُرمِ جانيهم لُطفا
واسمحهم في كلّ مخمصةٍ يداً وأشمخهم عن كلّ منقصةٍ أنفا
عذرتُهُم لمّا تعذّرَ برَهُمْ وقلتُ: فقيرُ الأهلِ أهلٌ لأنْ يجفى
فإن سبّني منهم جهولٌ فإنني سأثني عليه ما ثنى عطفَهُ عطفا
ولو نبذوني كالحصاةِ مهانةً لكُنتُ بهم منهم بأنفسهم اخفى
ولو نلتُ وافراً وافراً لجعلتُهُ على وفقِ ما يُرضيهمُ أبداً وقفا(٥٩)

وهذه الأحوال، وهذه الصفات في مثل هؤلاء القوم، جعلت الشاعر الشوّاء الكوفي يطرق باب النصح والإرشاد من بين أغراضه، ولا أُجازف كثيراً في جعله غرضاً يُشار له بالدراسة والتبويب، إلّا إنّي استطيع أن أضعه في موضع مستقل، وهو لا يخلو من قيم إيجابية، ومعانٍ سامية يسعى لها الشاعر، ويسعى لها الجميع، بناءً على الوصية الشرعية والدينية والأخلاقية التي جاء بها الاسلام الحنيف، والرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم-. ومما جاء في شعر الشوّاء في هذا الموضوع قوله في مقطوعة:

أيُّها الغافلُ المُصرُّ على الأو زارِ مهلاً فقد تدانى الرحيلُ
خلِّ ظُلمَ الورى فإنّك يومَ الـ حشرِ عن كلّ هفوةٍ مسؤولُ
وتعفَّفْ واقنعْ برزقٍ يسيرٍ ودعْ الحرصَ فالحريصُ جهولُ

فقليلٌ من الحلالِ كثير وكثيرٌ من الحرامِ قليلُ[٦٠]

وأشمُّ في نهاية الأغراض والموضوعات الشعرية التي طرقها الشاعر الشوّاء الكوفي، رائحة الإخوانيات في شعره ومقطوعاته. فيذكر من ترجم له من الأدباء الدارسين وأصحاب الطبقات وكتب التراجم أنّ له بعض الصلات والعلاقات مع أتراب وأصدقاء له، وفي مقطوعاته ما تؤكّد هذه العلاقات والوشائج بين المحبين، إلّا إنّ الشوّاء لا يصرّح بأسماء أترابه ولداته، وكذلك لا يذكرهم في منزلتهم السياسية والأدبية والعلمية. ومن قوله في الإخوانيات، وفي الجيران الذين جاروا عليه ببعدهم عنهم، ورحيلهم من جيرته... يقول في ذلك:

يا جيرةً جاروا عليَّ وسادةً سدّتْ وقد ذهبوا عليَّ مذاهبي
قد صار كالضَّربِ المُرفَّلِ بعدكم ليلي وكان كابترِ المتقاربِ
أملي غدا كغَدي وحُزني قد حكى نَومي وصبري مثلُ أمسي المذاهبِ[٦١]

وفي صنو هذا الموضوع نراه يطنب في صفات من أهداه أُترجَّة، وهذه الصفات كانت محببةً ومقرّبةً إلى النفس وإلى المشاعر، وهي حتماً داخلة في الإخوانيات وموضوع الهدايا الذي يُتبادل بين الإخوان في كلّ مكان، في مناسبة وبدون مناسبة. يقول الشوّاء فيمن أهدى إليه أُترجَّة:

حللتَ مولاي فخرَ الدينِ مرتبةً تسمو بأوصافكَ الحسنى على الرُّتبِ
يا مَن باياتهِ ما زالَ مفتخراً على نُجُوم الدُّجى فضلاً عن العربِ
انفذتَ يا نافذَ الآراءِ لي كرماً أُترجَّةً خلتُها قطعاً من اللهبِ
فاحتْ ذكاءً كما لاحتْ ذُكاً بَردَ الضريبِ وحازت لذَّةَ الضَّربِ وحـوت
تُراكَ أهديتَ لي أُترجَّةً جلبتْ ريَّاك أم صُنعتْ لي تاجاً من الذهبِ[٦٢]

إلى هنا تكون رحلتي قد انتهت مع شعر الشوّاء الكوفي على مستوى الأداء الموضوعي، وفي الأغراض الشعرية التي نظمها وجاءت في شعره، والباقي من هذه القصائد والموضوعات سيكون في شعره المجموع المصنوع المحقق – بإذن الله تعالى-، لقد طرق

الشوّاء الكوفي أكثر الأغراض التي طرقها الشعراء العرب، وأجاد وأحسن في الكثير منها، ولاسيما في الوصف، والغزل، والخمرة. وأحياناً جمع بين أكثر من موضوعي شعري واحد في شعره، حتّى في مقطوعاته التي كثرت، وكوّنت أغلب شعره، وأكثر نظمه. ولذا أتمنى جاهداً أن تكون هذه الدراسة قد أحاطت بأغراضه وموضوعاته، وغطّت حقّه وإبداعه الشعري والأدبي، فهو يستحق ويستحق ويستحق، ولو قدّر الله – عز وجل- ووصل إلينا شعره كاملاً، لكانت هذه الدراسة أكبر بكبير مما جاءت عليه....

القسم الثالث: السمات والخصائص الفنية في شعر الشاعر:-

إذا مضيتُ استنطق الخصائص الفنية التي جاءت في شعر الشوّاء الكوفي الحلبي رأينا هذه الخصائص متعددة المسالك، كثيرة العناوين. ففي بناء النص الشعري عند الشوّاء، بإمكاننا الحديث فيه عن بناء القصيدة وبناء المقطوعة، علماً أنَّ شعره الذي وصل إلينا خالٍ تماماً من الأبيات اليتيمة.

في بناء القصيدة المدحية، والتي قالها الشاعر الشوّاء مادحاً السلطان الملك عبد العزيز غياث الدين، تتكون هذه القصيدة من ثمانية وثلاثين بيتاً، فيها مقدمة غريبة عجيبة عن النار وصروفها، وما تفعله في البشر، وما تؤثّر فيهم. ثمَّ تخلص الشاعر الشوّاء تخلصاً طريفاً خفيفاً ليصل إلى الممدوح ويسبغ عليه أجمل الصفات، وأعزّها، وأعلاها قيمة وأدباً وخُلقاً وديناً.

وأمّا الخواتيم، أو الخاتمة، فحفل بها الشاعر الشوّاء كثيراً حين جعلها في العيد، دلالة أم صدقاً، ولاسيما في عيد النحر وما يقدمه المسلمون من ضحايا قربة إلى الله، وما يقدمه هذا البطل الشجاع من نحر أعاديه، قصاصاً بهم، وأداءً موجباً لهذه القصص.

ولا أنسى أنَّ لوحة المقدمة كانت أكبر من حيث عدد الأبيات الشعرية، منها في لوحة الخاتمة، والتخلص كان سريعاً في بيت واحد، وباقي النص – القصيدة- في مديح هذا الرجل، وعظيم فضله على دينه، وأهله، وأُناسه، ورعيته.

ومن القصائد الأُخرى التي جاءت في شعر شاعرنا الشوّاء الكوفي، قصيدته في الخمرة وهي في أربعة وعشرين بيتاً، كلّها في موضوع واحد، وتكاد تشكّل صورة كلّية في الرسم

والتعبير والأداء الفنّي، أمّا اللوحات التي تداخلت معها، فهي تصبُّ في الموضوع نفسه من وصف الدير – مكان الخمرة-، ووصف الندامى – المجالسة في شرب الخمرة-، والطبيعة – التي تحوي الدير والندمان-، والمطلع مصرّع، والخاتمة بليغة في استمالة الدهر، وجعله في أُنس وعانق مع الشاعر، ومع هؤلاء الندمان، ومع هذه الليالي والمجالس المقمرة المليئة بالمحبة والفرح والتفاؤل.

ومن قصائده الأُخرى التي جاءت في شعره، قصيدته في الغزل، وهي تتكون من أربعة وثلاثين بيتاً. المطلع فيها مصرّع وحسن الابتداء، وكذلك المقدمة جاءت في معاني الصبر والشوق واللهفة إلى المحبوب... وما إلى ذلك من معاني شعر الغزل، وما يكون عليه الشاعر فيه. وباقي لوحات القصيدة تجولت بين الغزل، وبين وصف الساقي للخمرة، وهو غزل أيضاً فيه ميل واضح إلى التكشف وخلع العفاف. أما الطبيعة فحلّت مع هذا الغزل ومع الخمرة، وأكدّت الخاتمة الحب العميق، والترابط الروحي بين العاشق والمعشوق من خلال الإنارة بقصة سيدنا يوسف وأبيه يعقوب – عليهما السلام- وما كانا عليه من حب ووئام ووفاء.

إذن، النص – القصيدة- محبوكة بناءً حبكاً تاماً، ولوحاتها في ترابط موضوعي واحد، لا يخرج عن معاني الغزل، ومعاناة الشاعر فيه، وما يقاسيه، وما يلاقيه من وجع وألم وفراق... وهذه صفات محمودة، ومشهورة، ومتبعة عند الشعراء العرب في هذا الغرض.

في الوصف، رأيت له قصيدة من خمسة وعشرين بيتاً، قالها الشاعر الشواء يصف يوم لذة وخلاعة. ومن البداهة أنَّ الكتاب يُعرف من عنوانه، وإنّ هذه القصيدة أبانت عن مشاعر الشاعر الخليعة – أحياناً-، والضاربة عن الأخلاق والآداب والحشمة – كثيراً-، وهي توافق تماماً مع ما يمكن أن يقال في مثل هذا اليوم، وكيف للشاعر أن يصفه، وأن يحسن الوصف فيه.

وحديثي عن هذه القصيدة لا يتجاوز ما قلته عن القصائد الأُخرى من المطلع إلى الخاتمة، وكثرة فنون البيان، وأنواع الصور الحسية، واللونية مع كلّ لوحة من لوحات القصيدة

التي بدت مترابطة إلى حدٍّ كبير، يجمعها الوصف، ويلمّها شعور الشاعر المفرح في مثل هذا اليوم.

هذه أغلب القصائد التي نظم فيها الشاعر الشوّاء، وهذي هي بناها التركيبية والفنية، فإن وجدت له قصائد شعرية أُخرى في مجموعه، أو في قابل الأيام فمن المؤكّد أنها لن تخرج عمّا قدمت فيه القول.

أمّا باقي نصّه الشعري، فاحتوته المقطوعات الشعرية، وعندي هنا أنّ المقطوعة هي ما دون تسعة أبيات من الشعر. ويلاحظ على هذه المقطوعات النفس القصير في الصورة، والتشبيهات المتتابعة المتصلة كالسلسلة خاصية بارزة في شعراء مصر والشام[٦٣]، في عصر الشاعر، وما جاء أيضاً في الكثير من أشعار شعراء عصره، كشعر سيف الدين المشد (ت٦٥٦ه)، وشعر مجير الدين بن تميم (ت٦٨٤ه)، وشعر ابن النقيب (ت٦٨٧ه)... وغيرهم.

ومقطوعات شاعرنا الشوّاء كثيرة، وهي جلّ شعره، وقد أوفى فيها الحديث عن موضوعات وأغراض مختلفة، كما قدّمنا في ذلك في دراستنا الموضوعية لشعر الشاعر. وأمّا في البناء الفني والهيكلي لجسد المقطوعات في شعر الشاعر الكوفي هذا، فيمكننا القول أن أساليب وسمات كثيرة ومتنوعة اسهمت في بناها، ورسم هيكلها الخارجي. فهناك الوصف العام الذي يكون مبرّزاً للغرض، غير متناسٍ للحالة النفسية والشعورية التي تنظم فيها المقطوعة، ومع الأغراض الشعرية كلّها، كالغزل والوصف والهجاء. الوصف العام هنا لا يعدو أن يكون بوحاً لمشاعر الشاعر في غرض من هذه الأغراض، وفي مقطوعة من مقطوعاته الشعرية. وهنا تتلاحم الفنون البيانية والحواس والألوان والأماكن المختلفة، لإظهار هذا الوصف على أجمله، وعلى أكمله. ولتوافق نفسية الشاعر ومشاعره وهو ينظم المقطوعة، فالأُخرى، فالأُخرى.....

ويأتي الحوار، الموهوم المصطنع في بناء المقطوعة. وهو الذي يفتح الباب الواسع أمام الشاعر ليبوح لنا بحالته النفسية، ومشاعره الشخصية في مقطوعة، أراه أحسن فيها البوح والتصريح، ولاسيما وأنها تتحدث عن حاله، وما يتعرض له في حياته، أو ما تعرض له من قبل. يقول في مقطوعته هذه:

وقائلٍ: كيف أنتَ اليومَ، قلتُ لَهُ: أعُومُ في بحرِ همٍّ مالَهُ شاطي
ما بينَ عشقٍ وإفــلاسٍ هُما احتلبا دمعي كما اجتلبا ضَرَي واسخاطي
قلبي كصاحبةِ النحيينِ مُشتغلٌ والكفُّ افرغ من حجّامِ ساباطِ(٦٤)

وتسهم فنون البيان ولاسيما في التشبيه، والتشبيه الضمني، مع الحوار المتوهم في طرح مشاعر الغزل لدى شاعرنا الشوّاء الكوفي الحلبي في مقطوعة من مقطوعاته الشعرية، وهي قوله:

قالوا حبيبُكَ قد تصوّع نشـرُهُ حتّى غَدا منهُ الفضاءُ مُعطَّـرا
فأجبتُهُم والخالُ يَعلـو خــدَّهُ أو ما تَرونَ النارَ تُحرقُ عَنبرا(٦٥)

وأحياناً يأتي التكثيف في المعاني إلى جانب الحوار في بناء المقطوعة الشعرية عند الشاعر الشوّاء. ولاسيما وأنّ التناص الديني من خلال القرآن الكريم وآياته قد وضح في نهاية هذه المقطوعة. والمقطوعة مع قصرها، وشهرة موضوعها وغرضها، إلّا إنها تنمُّ عن حبكة في النظم، وصنعة في الأداء، وقوة في النظم. في مثل قوله في مقطوعة:

أقولُ لساقينا وقد مالَ سُكرُهُ بجفنيهِ حتَّى حارَ بينهما الحورْ
وللخمرِ جمرٌ شبَّهُ الماءُ فانبرى يَطيرُ عَليهِ من فواقِعها شررْ
رُويدك لا تلثمْ مراشِفَ كأسِهَا فما ينبغي للشمسِ أنْ تُدركَ القمرْ(٦٦)

وأحياناً تؤدي الوسائل الصوتية، ولاسيما في فنون البديع والإيقاع الداخلي المتحرك بناء المقطوعة الشعرية عند الشاعر الشوّاء الكوفي الحلبي. كما في قوله في مقطوعة يصف فيها أعلام جيش الممدوح ورایاته، وجيشه الكبير العرمرم:

وسَارتْ أمامَ الجيشِ وهو عَرمرمٌ تَسُرُّ مُحبّاً أو تَسوءُ مُحابي
بأعلامكَ الحُمرِ التي عذباتُها تصُبُّ على الأعداءِ سوطَ عذَابِ
قلوعُ بنودٍ في صواري ذوابلٍ على سُفنِ جُردٍ في بحورِ سرابِ(٦٧)

وأحياناً أُخرى تقوم المقطوعة كلّها على الألوان ومظاهرها وصفاتها، ولاسيما إذا كان غرضها في وصف أحد الثمار الذي يأتي فيه اللون بشكل ساحر ومؤثر وجاذب للنظر. ومن ذلك، قول الشاعر الشوّاء الكوفي الحلبي في وصف المشمش في مقطوعة:

كأنَّ المُشمشَ المُصفرَّ يبدو مع المُخضرِّ منهُ للعيونِ
كراتُ زُمرُّدٍ خُرطتْ وتبرٍ لترشُفَهَا صوالجةُ الغُضُونِ(٦٦)

هذا كلَ ما وجدناه في بناء المقطوعة الشعرية عند الشاعر الشوّاء الكوفي، والتي هي جلُّ شعره، وأكثره. فيها الحوار، وفيها الصوت، وفيه الثقافة الدينية والعلمية والأدبية والعروضية، وفيها اللون، وفيها التكثيف، وفيها أنواع الخواتيم... وهي لا تخرج عن إحكام بنائي، وتعبير شعوري، وحالة نفسية مرَّ بها الشاعر، ونقلها إلى القارئ في مقطوعات مختلفة، في أغراض عدّة، تصدرها الوصف والغزل والهجاء والنصح... وكلّها سار شاعرنا الشوّاء مع فرضيات النقد الأدبي، وآلياته في بناء المقطوعة وأحكامها، نفسياً وشعورياً ودلالياً.

في لغة الشاعر الشوّاء الكوفي. رأينا تفاوتاً في لغة الشعر عند هذا الشاعر. فأحياناً تأتي لغة جزلة قوية ولاسيما في أغراض المديح، وبعض الوصف عنده، وأحياناً تميل إلى الضعف، وتنتابها الركّة، ولاسيما في الغزل، وفي بعض أوصافه الشعرية أيضاً، ولكن على الاغلب كانت لغة الشاعر الشوّاء الكوفي الحلبي محكمة، وموافقة للأغراض الشعرية التي نُظمت فيها، ولاسيما وأنّ جُلَّ شعره جاء في مقطوعات، وهي ما تستوجب لغة دقيقة وعالية في إتمام الغرض الذي يريده الشاعر، وفي إيصال المعنى والمشاعر إلى القارئ والمتلقي بأقصر الطرق.

ولا أنسى – وأشرت إلى ذلك آنفاً-، أنّ بعضاً من ألفاظه كانت قوية حادّة لا توافق غرض الغزل، أو غرض الخمرة، أو غرض الوصف. فالواجب – نظماً وعُرفاً-، أن تكون الألفاظ سهلة ومأنوسة ورشيقة مع مثل هذه الأغراض، كما يعلم الجميع، وكما هو متعارف ومتداول في معيار النقد الأدبي القديم.

فضلاً عن أنّ لغة الشاعر الشوّاء الكوفي، داخلتها الثقافة العلمية والأدبية والفكرية والعروضية والدينية في الأغراض كلّها، في القصائد والمقطوعات، فهو شاعر مثقف واسع الثقافة والاطلاع على الموروث الأدبي والفكري العربي، ولا سيما في علم الأوزان والعروض والقوافي، ممّا جعل لغته تميل في بعض نصوصه الشعرية إلى مصطلحات، وآراء هذه العلوم، وأسماء الأعلام البارزين فيها. وهي لغة جمعت بين

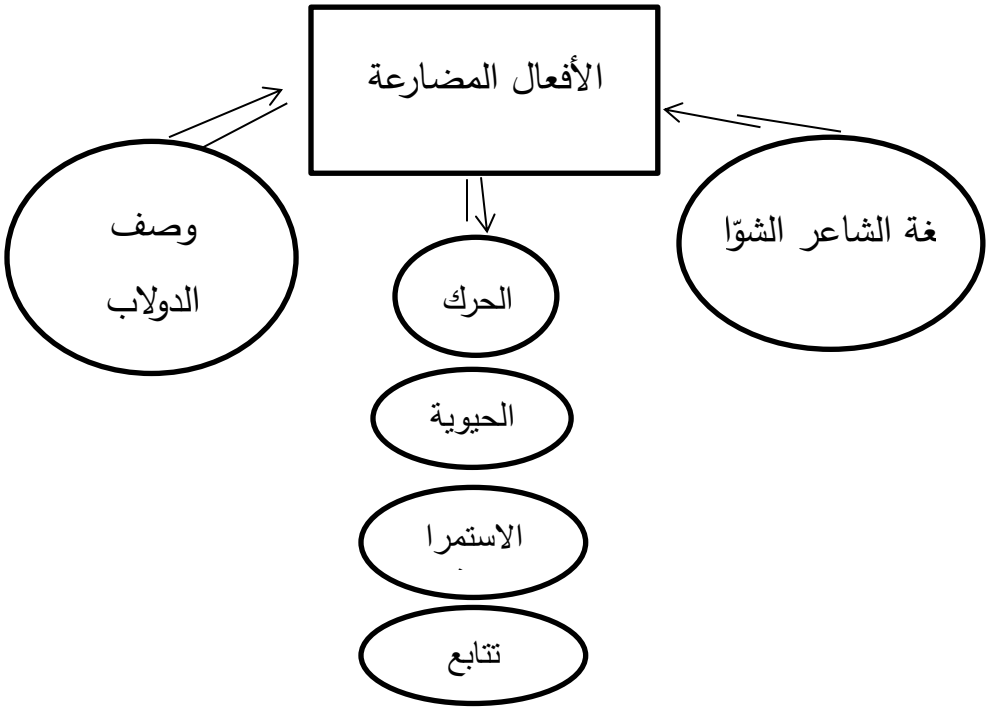
ثقافة الشاعر، واستيعاب المتلقي لها، ومحاولة فكّ رموزها، وفهمها وفهم النص الشعري وغرضه وموضوعه الذي جاءت فيه. وفي شعره تبدو اللغة التراثية القديمة بادية عليه في بعض نصوصه الشعرية. فقصيدته التي مطلعها:

لو كنتَ شاهدَهُ والحُزنَ يرعفُهُ من ناظريهِ وحمل الحُبِّ يُضعفُهُ[٦٩]

نرى هذه اللغة في هذه القصيدة – وعلماً أنّها في الغزل-، لغة تراثية موروثة، أي:- كأنّك تقرأ نصاً شعرياً كُتب من شاعر جاهلي، أو من شاعر أموي، وفي لوحاتها الكثيرة ما يشير إلى البيئة الجاهلية أو البيئة الأموية في الأوصاف والنظم والدلالات. وهذا ناجم عن سعة ثقافة الشاعر – كما ذكرت-، وتمكنه من ناحية النظم والإبداع، ولاسيما في اللغة، وفي الأغراض والموضوعات الشعرية التي نظم فيها شعره.

وأحياناً تقوم الأفعال، ولاسيما الأفعال المضارعة بتشكيل لغة الشاعر الشوّاء الكوفي. ففي مقطوعته الشعرية التي وصف فيها الدولاب، رأيت هذه الأفعال ترسم حركة الصورة، وتجسد حيويتها وتثري لغة الشاعر في هذه الحركة والحيوية، وذلك مما يجب في وصف مثل هذه الثيمة المكانية، وقصّ حركتها ووظيفتها على المتلقي. اللغة هنا وافقت الوصف، والأفعال المضارعة هنا أيضاً رسمت لغة حضرية فعلية مستمرة لهذه الدواليب، وهي تقوم بنقل الماء وتوزيعه. يقول في مقطوعته هذه:

دُولابنا فَلَكٌ يجري وأنـــجمُهُ تسري وكلٌّ إذا انقضَّتْ له ذنبُ
كأنّها وبطافي حوضُـــها زبدٌ خناجرٌ في دروعٍ حينَ تنســـكبُ
يديره جدولٌ ينسابُ منعطفاً كالأُفعوان حباهُ الرَّقشةَ الـــحببُ
يهوي فيشربُهُ جزعاً فيدفَعُهُ منعاً فمن حُزنِهِ يبكي وينتـــحبُ[٧٠]




ولاحظت أيضاً في بعض لغة الشاعر الشوّاء جزالة وقوة. ففي قصيدته التي يصف فيها السفينة والتي مطلعها:

وسفينةٍ باتتْ تخُبُّ بِنا الدُّجى غَسقاً وثوبُ ظَلامه قد انهجا[٧٢]

هذه القصيدة لغتها جزلة جداً، وقوية جداً، وافقت صورها الجزلة وموسيقاه في القافية والبحر الكامل الذي نظمت عليه. وهنا تهيّأت لشاعرنا الشوّاء كلّ مقوّمات الإبداع في الوصف، وكلّ مقوّمات الإبداع والتأثير في النظم، وأولها اللغة الشعرية.

ويلجأ الشاعر إلى الألفاظ، باللون مرة، وبالكناية ثانية، وبالوصف ثالثاً، وبالتورية رابعة... ليؤدي مهمة اللغة، ولتأتي المقطوعة لديه على الغاية من المهارة والإتقان في رصف هذه الألفاظ، وما تؤديه من رسم وتعبير ودلائل. ومن ذلك قوله في وصف شمعة:

حكتني وقد أودى بي الحُبُّ وإن كُنتُ صبّاً دُونها متوجعا شمعةٌ

ضنًى وسُهاداً واصفراراً ودقّةً وصبراً وصمتاً واحتراقاً وأدمعا[٧٢]

البيت الثاني هو من يترجم براعة الشاعر في لغته. وفي كلّ لفظة صورة ومعنى ودلالة، اتقن الشاعر رصفها، واستغل مدلولها غاية الاستغلال.

وفي آخر ما أقوله عن لغة الشاعر الشوّاء الكوفي، هو أنّ في لغته اللغة المحدثة، الراقصة التي انتهج نهجها الشعراء العباسيون منذ أبي نواس( ت١٩٩ه)، بالخروج عن اللغة الموروثة، واستخدام اللغة الراقصة الغنائية التي توافق الغرض، وتوافق البحر الشعري الذي نُظمت فيه. وهذا ما لاحظته في لغة الشاعر الشوّاء وموسيقاه. إذ له في بعض مقطوعاته الشعرية، وحتّى في قصائده القليلة التي وصلت إلينا من شعره، لغة راقصة محدثة، تناغم الغرض الذي نُظمت فيه، ولاسيما في الغزل والخمرة، وبعض الأوصاف الطبيعية والحضرية. وهي لغة مجددة، وحديثة عرفها الشاعر العربي في العصر العباسي، عصر الترف، وعصر الحضارة والازدهار الاقتصادي والأدبي والفكري. ومن ذلك قول شاعرنا الشوّاء من قصيدة على المجتث:

أمبسمٌ ورضابُ أم خرةٌ وحبابُ
وطرّةٌ أم ظلامٌ وغُرّةٌ أم شِهابُ
ووجنةٌ تحتَ خالٍ أم وردةٌ وأنابُ
ومقلةٌ في جفونٍ أم صارمٌ وقِرابُ
وقد تخمّرت أم ذا بدرٌ عليهِ سحَابُ (٧٣)

فكما نلحظ، إنّها لغة رشيقة وخفيفة الوقع والتأثير والنظم، سهلة المعاني، توافق البحر الشعري القصير الذي نُظمت فيه. وهنا نرى شاعرنا الشوّاء الكوفي الحلبي قد أحسن في لغته في هذه القصيدة، كما أحسن في لغته الموروثة، والثقافية، والدلالية، في الأغراض الأُخرى، أو في عموم شعره، وكما ألمحنا إلى ذلك مراراً وتكراراً في الفِقر السابقة من هذا البحث، وكما سيكون ذلك في مجموع شعره المصنوع، بتوفيق الله.

إذا تركت اللغة الشعرية عند الشاعر الشواء الكوفي جانبا، لأتوجه إلى الصورة الشعرية ووسائل رسمها، ومظاهر في شعر هذا الشاعر، أقول: إن الشاعر الشواء شاعر مصور، وله أنامل رائعة، ومبدعة في الكثير من شعره في الرسم والتصوير. ولاحظ أن جل شعره كان في الوصف، أو في الغزل، أو في الخمرة... وهذا يعني أن الصور الشعرية

تنثال لديه انثيالاً متزاحماً في بعض مقطوعاته وقصائده. وحتى في الأغراض الاخرى التي طرقها الشاعر، وجاءت من بين شعره، ولاسيما في المديح والهجاء. كانت للصورة الشعرية، بأنواعها وفنونها ومظاهرها، وقعا كبيرا، ومؤثرا في هذه الأشعار، مما تركت صدًى طيباً بين من ترجم لهذا الشاعر وأورد شعره، وأثنى ومدح هذا الشعر.

وأحيانا تبدو مقطوعته الشعرية مزركشة، ومزينة بأنواع الصور، أحلى التزيين، يلعب فيها البيان لعبته القوية، ويتركها في ابتكار دائم، وفي سحر لا يقاوم. ومن ذلك قوله في مقطوعة في الوصف:

لاحَ الصباحُ فغنَّتِ الأطيارُ وتمايلتْ طَرباً لَها الأشجارُ
والبانُ مطلولُ الفروعِ كأنّما في كلِّ غصنٍ منهُ موسيقارُ
وتنفّست ريحُ الصبا فَصبّتْ لَها رُوحُ الغديرِ فَصفّقَ التّيارُ
والأرضُ قد راضَ الربيعُ شماسها وأزالَ فَرطَ ذرارهَـــا آذارُ
وتلفَّعت أطرافُها بمطارفٍ خُضرٍ تُنمنمُ وشيها الأزهارُ
والنهرُ أحوى الشاطئين كأنّهُ خَدٌّ أحاطَ بصفحتيهِ عذارُ(٧٤)

أنت تنظر الى الأبيات، وتنظر الى الصورة فيها، ما في بيت إلا وفيه صور، من خلال البيان، او من خلال الحواس، او من خلال الخيال، أو من خلال الألوان، وموحياتها. فالأبيات او المقطوعة صورة مزينة، مرسومة بأنامل بارعة، من رسام ماهر.

وأحيانا تقوم الصورة على الخيال ولاسيما الخيال الابتكاري. وهذا النوع من الخيال يتطلب مهارة من قبل الشاعر في رسم الصورة، وفي اتقان التعبير، وبيان الفكرة، والموضوع الى المتلقي. كما يقول الشاعر الشواء في غلام ينظر الى المرآة:

وغريرٍ يحكي الغزالَ بعينيـ ـهِ وخدَّاهُ بالغزالة تُزريْ
قابلتْهُ مرآتُهُ فأرتنا عينَ شمسٍ انسانُها وجهُ بدري(٧٥)

وأحيانا يلجأ الشاعر الشواء إلى الصورة المكثفة من خلال فنون البيان ولاسيما التشبيه. وهو قادر على حشد الصور ورسمها لتؤدي الغرض من المقطوعة. كما في قوله يصف فرساً:

وأدهمَ لو جَارى الرياحَ لفَاتها يَروقُ جَمالاً بل يَروعُ صهيلا
كقطعِ الدُّجى لوناً وكالنجمِ غُرَّةً وكالبرقِ جرياً والصباحِ خجولا[٧٦]

وقوله من مقطوعة الغزل:

ذاتُ قدّ كالغُصنِ في اللّين يعلو هُ مُحيّاً كالبدرِ في الإشراقِ
جالَ في صفحتيهِ ماءُ شبابٍ راقَ حُسناً فشبَّ نارَ اشتياقي[٧٧]

ولا شكّ في أن الاصوات هنا تعاضدت مع التشبيهات لإكمال رسم الصورة، والتعبير عمّا يريده الشاعر في الغزل. فالبيت الثاني يعاضد البيت الأول في الوظيفة والرسم والدلالة، وكذلك الوزن الخفيف سهل من مهمة الصورة، وجعلها قصيرة الرسم، بعيدة في التأثير.

وتأتي الألوان بشكل كبير ومؤثر في رسم الصورة عند شاعرنا الشوّاء الكوفي. وأما عن موحيات الألوان، كالشمس، والليل، والقمر، والنجوم، والمجالس – للخمر وغيرها-، والقمر، والبدر، .... وغيرها. فهي الأخرى تأتي بشكل واسع وكبير في رسم صور الشاعر والتعبير عن حالته النفسية والشعورية المتأزمة حين ينظم الابيات، وفي أي الاغراض كانت.

والشواهد على ذلك كثيرة، كما هو في مجموع شعره، وكما مرّ بنا من شواهد في الدراسة الموضوعية، أو في دراسة البناء الهيكلي للنص الشعري عند الشاعر، أو في دراستنا للغة الشعرية، وألفاظها ودلالاتها.

وأرى تكاتفاً وتلاحماً قوياً ومتماسكاً، بين الألوان وبين فنون البيان في رسم صور الشاعر الشوّاء. ومن ذلك ما قاله من مقطوعة يصف بها أحد الغلمان السقاة للخمر:

وأغنّ ممشوقُ الحشا متمائلهْ كالغُصنِ بينَ جنوبهِ وشمائلهْ
حيّا بكأسِ مدامةٍ قد خضّبتْ بِشُعاعِها الواري رُؤُوسَ أناملهْ
كرُضابهِ وكطرفهِ وكلفظهِ وكنشرهِ وكخدّهِ وشمائلهْ[٧٨]

ويحتفل شاعرنا باللون الأصفر في مقطوعة شعرية يصف فيها الذهبيات. ومن البداهة أن العلاقة حاضرة في الذهن والعقل والنظر بين اللون، وبين مناسبة النص وغرضه وموضوعه. هذا الاحتفال يقرّب بين الشاعر ووصفه وبين المتلقي، كما يقرّب أيضاً بين

الصفة والموصوف، وللون سحرٌ في هذا التقريب بين الأطراف كلّها، طبعاً. فلنستمع لقوله من هذه المقطوعة:

لقد خلتُ تشرينَ نها جَلا علينا عوائسَ صُفرَ المُلاءِ
كواعبَ تصفرُّ غبَ الفراقِ كما أحمرَّ خدُّكَ غبَّ الحياءِ
تمايلُ عجباً إذا ما رأتْ من النهرِ اشخاصها في مرائي
وتُشبهُ ألواننا صُفرةً وليسَ بِنا وبِها فَردُ داءِ
وخضرةُ أجسامِنا من هوًى وصُفرةُ أوراقِها من هواءِ(٧٩)

إنّ السابر لنص الشوّاء الكوفي الشعري، في قصائده ومقطوعاته، ليرى أنماطاً للصورة الشعرية، وأنواعاً ووسائل كثيرة لرسمها، باللون، وبالحواس، وبالخيال وأنواعه، وبالبيان وفنونه، وبالصوت، وبالبديع، وكذلك ليرى مصادر كثيرة من مصادر رسم الصورة لديه، فمرة هناك الموحيات الثقافية، ومرة الثقافة الدينية، ومرات كثيرة نشاهد أثر المكان وأنماطه وأنواعه من بين هذه المصادر في رسم الصورة، ولاسيما في الوصف والغزل.

ناهيك عن توافر الصورة الكلية أيضاً من بين صورة. النص- قصيدة أم مقطوعة-، صورة كلية واحدة في صور الشاعر الشوّاء. وهذا لا يتأتى إلا لشاعر اتقن حرفته الأدبية، واطلع على أساليب الشعراء العرب قبله في النظم ورسم الصور، وأحاط علماً لهذه الصورة وبذلك الإبداع، فأسهم معهم بنظمه وشعره، الذي لا يقلُّ جودةً وإبداعاً عن شعر الكثير من أُمراء الشعر العربي عبر عصور الأدب العربي الزاهية المتألقة ولاسيما أمراء الشعر والبيان والنظم والفصاحة في عصره العباسي.

ولذا فالصورة بحاجة إلى دراسة جامعية مستقلة عند شاعرنا الشوّاء تبينُ عن نواحي الإبداع في شعره من خلال هذا الجانب الحيوي المفصلي المهم. وأنا على يقين أنها ستكون دراسة جادة، وعملية، وتأتي بنتائج جيدة مثمرة تُعجب الجميع.

وإذا ولّيت وجهي شطر الأوزان والموسيقى، وباقي أنواع الإيقاع عند هذا الشاعر الكبير، سأقسم حديثي في قسمين. القسم الأول ما يخصّ الأوزان والقوافي وحروف

الروي وحركته، وهو الإيقاع الخارجي الثابت. والقسم الثاني ما يخصّ الموسيقى الداخلية وفنون البديع، وهو الإيقاع الداخلي المتحرك.

في الإيقاع الخارجي، رأيت الشاعر الشوّاء الكوفي ينظم في أكثر الأوزان الشعرية العربية الخليلية. رأيته ينظم في الأوزان الطويلة، كالبحر الطويل، والبحر المتقارب، والبحر البسيط... وغيرها، ورأيته ينظم في الأوزان القصيرة، كالبحر الرمل، والبحر الخفيف، والبحر المجتث... وغيرها، ورأيته ينظم في الأوزان المجزوءة، وكلٌ بما يلائم الغرض والموضوع الذي جاءت فيه القصيدة أو المقطوعة عند الشاعر الشواء.

وبما أنني لا أميل كثيراً مع ربط البحر الوزن الشعري بالموضوع الغرض، أو الحالة العاطفة، وأرى للشاعر الحرية في النظم على أي البحور شآء، في أيّ الأغراض الشعرية شآء، فإنّ الشاعر الشوّاء على هذا الأساس نظم في البحور كلها، على أغلب الأغراض الشعرية التي وضعت في شعره. وفي القوافي مال الشاعر الشوّاء الكوفي إلى القوافي المطلقة أكثر من ميله إلى القوافي المقيدة في النظم والإنشاد. وهذا أمرٌ مستحسن، وشائع في أدبنا العربي، ومستلطف ومهمٌ عند أغلب الشعراء العرب في هذا الشأن. لما تُتيحه القوافي المطلقة من سعةٍ في التغيير، ولما تفسحه من مجال صوتي رحب يربط بين الشاعر والمتلقي حتى آخر الأبيات في قصيدته أو في مقطوعته.

والقوافي المقيدة التي استخدمها الشاعر قوافي شائعة في الاستعمال، وحروف الروي فيها مطيّة وذليلة للشعراء، كالراء واللام... على سبيل المثال. أما في البعض الآخر فوافقت القافية المقيدة البحر القصير أو المجزوء الذي نُظم عليه النص، ومن هنا ربما كسرت تقريرية، وشدة هذه القافية ميزات البحر القصير أو المجزوء الذي نُظمت عليه.

في حروف الروي، رأيتُ الشاعر الشوّاء الكوفي ينظم على الحروف العربية كلها، جاء الراء عنده بالوافر الأكثر، وكذلك الياء بالبعض الأقل كثرة من الراء، ومن ثمّ الحاء، والدال، السين... وباقي حروف العربية. إذن، هو نظم في حروف الروي شائعة الاستعمال، وقليلة الاستعمال، ونادرة الاستعمال. ومثلما ألمحت كثيراً من قبل كانت هذه الحروف مع الأغراض كافة التي جاءت في شعره، وأهمها :الوصف والغزل، والخمرة. ورأيت بعضاً من حروف الروي مطلقة بالألف أو الهاء، وكلّ بحسب غرضه

وموضوعه، نعم أحسست بثقل في هذه الأطلاق مع بعض القوافي، كالقاف، والفاء، والعين. إلّا إن الايقاعات الداخلية، وبعضاً من الصور، خففاً من غلواء هذا الإيقاع وقساوته في القصيدة والمقطوعة عند الشاعر الشوّاء، في قوافيه وحروف رويّه. وأمّا عن القسم الثاني في دراسة الموسيقى والأوزان والأصوات في شعر الشاعر الشوّاء الكوفي الحلبي، وهو الايقاع المتحرك، أو البديع وفنونه، فرأيت الشاعر الشوّاء يحسن في هذا القسم في شعره أيما احسن، ويعير له الأهمية القصوى في النظم، في البيت وفي المقطوعة وفي القصيدة. فلا يخلو بيت من فنٍّ من فنون البديع بأنواعه وبما يحمل هذا الفن من ميزات وخصائص وظائف تأتي في النص الشعري مهما كان حجمه، وأنى كان غرضه وموضوعه.

فالتصريع، كان حاضراً بقوة بين مطالع الأبيات في قصائده وقوافيه في أغلب شعر الشوّاء الكوفي الحلبي. وهو ما أزاد تماسك الابيات صوتياً، واحسن في المطلع قوة وتأثيراً أمام المتلقي وأمام الشاعر على حدٍّ سواء. وأحياناً يكوّن الجناس بأنواعه والتضاد بتشكيلاته، عنصرا الايقاع الداخلي المتحرك عند الشاعر الشوّاء. ففي قصيدته التي يصف فيها الخمرة والتي جاءت على قافين السين المكسورة، وعلى الخفيف والتي مطلعها:

اسقني الرَّاح كلّ يومِ خميسِ بينَ مُردٍ شمامسٍ وقُسُوسِ[٨٠]

في هذه القصيدة يأتي الجناس والتضاد بشكل كثيف وممطر مع كل بيت شعري. وأدّيا بإتقان وبراعة ما أُريد فيهما في هذا النص، من اشاعة الصفير الملائم مع القافية، ومن تلاعب الألفاظ ورشاقتها في رسم الصور، ومن تبدّل الأحوال في المجالس، ومع شاربي الخمر، وحتماً إن هذه الأمور الفنية الصوتية تصبّ في الصالح العام الغرض الشاعر، وتثبت له التمكن والأحكام في النظم ويأتي الجناس بشكل مفردٍ مع أبيات الشاعر في النصوص الشعرية. وهو- الجناس-، يخلق التلاعب اللفظي والحركي من خلال الألفاظ، ويزيد من تكرار الحروف الذي يأتي معها هذا الفن في البيت الشعري. ومن ذلك قوله في الخمرة أيضاً:

تحلُّ أباريقاً تُخالُ بوارقاً تلوحُ فتكسو الليلَ ثوبَ نهارِ[٨١]

هنا الجناسات، والتضاد في الشطر الثاني تركا البيت في سحر صوتي وتعبيري ودلالاي لا يقاوم!. والتصدير كان حاضراً أيضاً في شعر الشاعر الشوّاء الكوفي على سبيل الإيقاع الداخلي المتحرك. وهو لا يقلُّ كثرة وشهرة وتأثيراً وسحراً وإبداعاً عن الجناس أو التضاد أو باقي فنون البديع في شعر الشاعر الشوّاء. ومن ذلك قوله يتغزل:

زدتُ حُزناً وفُقتُ حسناً فأضحىما لحُزني ولحُسنكَ مثلٌ(٨٢)

هنا أفاد التصدير على التركيز على مشاعر الشاعر وتكرارها في الحزن، والبعد عن الجمال وبثّ لواعج هذا العاشق الحزين على فراق الحبيب وجماله وحسن صورته.

ويأتي التقسيم الصوتي/ الإيقاعي في جسد القصيدة والمقطوعة في شعر الشاعر الشوّاء الكوفي وفي أغراضه الشعرية كلّها. ومن ذلك قوله في الغزل:

أنفاسُها عنبرٌ وردٌ لُمنتشقٍ وريقُها قرقفٌ صرفٌ لُمرتشفِ (٨٣)

هذه الضربات الموسيقية المتلاحقة أفعمت البيت بالصور الشعرية المأنوسة الجميلة للمحبوبة، وكذلك رسمت إيقاعاً مطرباً ورخيماً ادّت الوصول إلى القافية برشاقة صوتية ولفظية ودلالية لا توصف!

ويأتي الإيقاع الداخلي المتحرك ليرسم صورة قوية، بضربة موسيقية متلاحقة، صورة+ صورة، إيقاعاً +إيقاعاً، جناساً +جناساً. ومن ذلك قوله في غلام يرقص ويغني:

علقتُ منهُ شادناً شادياً كأنما نكهتُهُ مَندلُ(٨٤)

هنا جاء الجناس جاء بقوة صوتية هائلة، وبكنايات محسوبة في الصورة. ولذا كان شعره فخماً، صورة وإيقاعاً، حتى في الأغراض الخفيفة أو السهلة كالغزل، والغزل بالمذكر تحديداً. ومثلما كانت الصورة مكثفة ومزدحمة بوسائل البيان، أو بالألوان في شعر الشاعر الشوّاء مثلما كانت الاصوات ومظاهر الإيقاع المتحرك مزدحمة ومكثفة أيضاً في موسيقى الشاعر وأصواته. ومن ذلك قوله يصف الثلج في مقطوعته:

رُبَّ يومٍ حليتْ أطرافُهُ لسقوطِ الثلجِ في بيضِ المُلاءِ
خلتُهُ إذ لاحَ في اللوحِ لنا من خلال الخَالِ يَهوي في الهواءِ
ورقاً من ورقٍ تنشرُهُ راحة الريحِ لتفضيضِ الفضاءِ
لو تَرى الروضةَ لما راضَها خصرٌ جمَّدَ امواهَ الإضاءِ(٨٥)

وتأتي التورية في مضامين الإيقاع المتحرك في شعر الشوّاء الكوفي. هذه التورية التي تَريدُ المعنى الآخر← البعيد في الشعر. ولذا فهي تزاوج بين الصورة والصوت، وتؤدي المفارق الدلالية في أحسن دلائلها وهيئتها. ومن ذلك قوله في الغزل:

ناديتُ وهو الشمسُ في شُهرةٍ والجسمُ للخُفيةِ كالفيءِ
يا زاهياً اعرف من مضمرٍ صِلْ واهياً انكرُ من شيءِ(٨٦)

وقوله في هذا الفن البديعي في وصف القمر والثريا:

ومُناخٍ للقصفِ زُرناهُ قبلَ الـ ـصُبحِ نَجني به ثمارَ المسرَّهْ
وقمرُ الدُّجى ابنُ خمسٍ وعشريـ ـنَ كما احدودبَ ابن تسعينَ كبرهْ
والثُّريا كأنَّها كلُّ صادٍ هَمَّ بالشُربِ من خليجِ المجرَّهْ(٨٧)

هكذا كانت الموسيقى والاصوات في شعر الشوّاء، تألقاً وبريقاً شعرياً وشعورياً.

إنّه ثورة أدبية في عصره هذا، مع ما فيه تدهور وتراجع وتقهقر في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وزوال نجم الحاضرة العباسية وألقها البرّاق الذي كان يعمُّ العالم على مرّ السنين...

هوامش البحث:

١) تُنظر ترجمة الشوّاء وأخباره في:

- قَلائد الجمان: ٦/٦٣-٧٦، ترجمة(٦١١). ١٠/١٤٥-٢٠٤، ترجمة (٩٦٤).
- وفيات الأعيان: ٧/٢٣١-٢٣٧، ترجمة (١١١).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٤/٧٠-٧١.
- سير أعلام النبلاء: ٢٣/٢٨، ترجمة (٢١).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٤/٢٠٢، ترجمة (٣٨٣).
- العبر في خبر من غبر: ٣/٢٢٥.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٧/٣١٠-٣١٢.
- نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر: ٣/٣٩٤-٣٩٩، ترجمة (١٩٨).
- الطليعة من شعراء الشيعة: ٢/٤٤٠-٤٤١، ترجمة (٣٣٨).
- الكنى والألقاب: ١/١٥٣.
- تاريخ آداب اللغة العربية(جُرجي زيدان): ٣/٢١،وفيه ذكر وولادته كانت في مدينة الموصل، وهو خطأ واضح.

•تاريخ الأدب العربي(د. عمر فرّوخ): ٣/٥٢٨-٥٣١.
•الاعلام: ٨/٢١٧.
•معجم الأدباء من الجاهلية إلى سنة ٢٠٠٢ : ٧/٤٠.
•معجم الشعراء العباسيين: ص٢٣٤-٢٣٥.
•مهاة الكلمتين وذات الحُلتين(دراسة المحقق): ص٥-٦٩.
•دواوين كوفية: ص١٢١-١٢٦.

٢) ينظر: قلائد الجمان: ٦/٦٣-٦٤، الوافي بالوفيات: ٢٥/٧٥-٧٦.
٣) بغية الطلب في تاريخ حلب: ١٠/٤٦١١.
٤) نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر: ٣/٣٩٤.
٥) قلائد الجمان:١٠/١٤٥.
٦) وفيات الأعيان: ٧/٢٣٢.
٧) الغدير في الكتاب والسنة والأدب: ٥/٤٩١.
٨) تاريخ الأدب العربي: ٣/٥٢٨.
٩) يُنظر: قلائد الجمان: ١/١٤٥، وفيات الأعيان: ٧/٢٣٢، نسمة السحر: ٣/٣٩٦.
١٠) يُنظر: وفيات الأعيان: ٧/٢٣٢، الغدير: ٥/٤٩٢.
١١) ينظر: بغية الطلب: ١٠/٤٦١١، قلائد الجمان: ١٠/١٤٥، تاريخ الأدب العربي: ٣/٥٣٠.
١٢) ينظر: دواوين كوفية: ص١٢١.
١٣) ينظر: نظرات في كتابي مُهاة الكلمتين، وهدى مُهاة الكلمتين، عن مجلة ودود للمخطوطات عبر شبكة النت.
١٤) من شروح منظومة ابن مالك التي اطّلعت عليها مؤخراً شرح الأستاذ عمّار بن خميسي، في كتابه: شرح منظومة فيما ورد من الافعال بالواو والياء، المطبوع في دار ابن حزم- بيروت، ط١٤٢٧،١هـ - ٢٠٠٦، في ٦٣ صحيفة. والشرح للأبيات لغوياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً، بلا دراسة للمنظومة أو لحياة ابن مالك وأثاره في اللغة والنحو؟!؟!
١٥) ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ص١٨٢.
١٦) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٣/١٣٤٤.
١٧) ينظر: هدية العارفين في أسماء المؤلفين آثار المصنفين: ٢/٥٥٤.
١٨) ينظر: قلائد الجمان: ١٠/١٧١، ومجموع شعره بتحقيقي.
١٩) قلائد الجمان: ١٠/١٥٣، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٠) قلائد الجمان: ١٠/١٥٧، ومجموع شعره بتحقيقي.

٢١) قلائد الجمان: ١٥٨/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٢) قلائد الجمان: ١٥٨/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٣) قلائد الجمان: ١٥٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٤) قلائد الجمان: ١٩٨/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٥) قلائد الجمان: ١٩٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٦) قلائد الجمان: ٢٠٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٧) قلائد الجمان: ٢٠٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٨) قلائد الجمان: ٢٠٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٢٩) قلائد الجمان: ٢٠٤/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٠) قلائد الجمان: ١٥٤/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣١) قلائد الجمان: ١٥٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٢) قلائد الجمان: ١٦٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٣) قلائد الجمان: ١٦٢/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٤) قلائد الجمان: ١٦٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٥) قلائد الجمان: ١٨٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٦)ينظر: المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتّى نهاية الحكم العربي: ص٨٢-٩٠.
٣٧) قلائد الجمان: ١٦٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٨) قلائد الجمان: ١٤٨/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٣٩) قلائد الجمان: ١٤٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٠) قلائد الجمان: ١٥٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤١) قلائد الجمان: ١٨٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٢) قلائد الجمان: ١٥١/١٠-١٥٢، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٣) قلائد الجمان: ١٦٦/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٤) قلائد الجمان: ١٧٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٥) قلائد الجمان: ١٨٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٦) قلائد الجمان: ١٨٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٧) قلائد الجمان: ١٥٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٨) قلائد الجمان: ١٥٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٤٩) قلائد الجمان: ١٦٦/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.

٥٠) قلائد الجمان: ١٦٨/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥١) قلائد الجمان: ١٦٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٢) قلائد الجمان: ١٧٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٣) قلائد الجمان: ١٧٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٤) قلائد الجمان: ١٤٦/١٠- ١٤٧، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٥) قلائد الجمان: ١٤٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٦) قلائد الجمان: ١٥٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٧) قلائد الجمان: ١٦٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٨) قلائد الجمان: ١٥٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٥٩) قلائد الجمان: ١٥٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٠) قلائد الجمان: ١٥٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦١) قلائد الجمان: ١٦٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٢) قلائد الجمان: ١٦٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٣ينظر: الأدب العربي في العصر الأيوبي: ص٢٧٤.
٦٤) قلائد الجمان: ١٥٢/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٥) قلائد الجمان: ١٥٢/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٦) قلائد الجمان: ١٥٢/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٧) قلائد الجمان: ١٦٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٨) قلائد الجمان: ١٨٤/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٦٩) قلائد الجمان: ١٥٤/١٠- ١٥٦، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٠) قلائد الجمان: ١٦٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧١) قلائد الجمان: ١٧٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٢) قلائد الجمان: ١٧٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٣) قلائد الجمان: ١٦٢/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٤) قلائد الجمان: ١٤٦/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٥) قلائد الجمان: ١٤٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٦) قلائد الجمان: ١٥٤/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٧) قلائد الجمان: ١٥٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٧٨) قلائد الجمان: ١٥٩/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.

٧٩) قلائد الجمان: ١٦٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٠) قلائد الجمان: ١٤٦/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨١) قلائد الجمان: ١٤٧/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٢) قلائد الجمان: ١٥٣/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٣) قلائد الجمان: ١٥٦/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٤) قلائد الجمان: ١٥٨/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٥) قلائد الجمان: ١٦٠/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٦) قلائد الجمان: ١٦١/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.
٨٧) قلائد الجمان: ١٧٥/١٠، ومجموع شعره بتحقيقي.

مصادر البحث :-


•الأدب العربي في العصر المملوكي: د .محمد زعلوم سلّام، دار المعارف – القاهرة، ط١، ١٩٨٦م.
•الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم لملايين- بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
•بُغية الطلب في تاريخ حلب، صنّفه: ابن العديم (ت٦٦٠ه)، حققه وقدّم له: د. سهيل ذكّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٩٩٨م.
•البُلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تصنيف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧ه)، حققه: محمد المصري، منشورات مركز المخطوطات والتراث، تحقيق التراث(١)، الكويت، ط١، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.
•تاريخ الأدب العربي: د. عمر فرّوخ، دار العلم للملايين – بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
•تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، راجعه وعلّق عليه: د. شوقي ضيف، دار الهلال – القاهرة، (د. ت).
•تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨ه)، حققه وضبطه وعلّق عليه: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الاسلامي – بيروت، ط١، ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م.
•دواوين كوفية، جمعها وحققها: هلال ناجي، دار الينابيع- دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

•سير الأعلام النبلاء: الذهبي، ج٢٣، حققه: د. بشار عواد معروف، ود. محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط١١، ١٤١٧ه – ١٩٩٦م.
•شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي الدمشقي (ت١٠٨٩ه)، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وقدم له: محمود الأرناؤوط، دار ابن الكثير – دمشق، ط١، ١٤١٢ه – ١٩٩١م.
•شرح منظومة فيما ورد من الأفعال بالواو وبالياء، لابن مالك الأندلسي (ت٦٧٢ه)، شرح وعناية: عمّار بن خميسي، دار ابن حزم- بيروت، ط١، ١٤٢٧ه – ٢٠٠١م.
•العبر في خبر من عبر: الذهبي، ج٣، حققه ونظمه على مخطوطتين: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.
•الغدير في الكتاب والسنة والأدب، تأليف: عبد الحسين أحمد الأمين النجفي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ط١، ١٤١٤ه- ١٩٩٤م.
•قلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان: لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعّار الموصلي (ت٦٥٤ه)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
•كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت١٠٦٧ه)، عن مكتبة المثنى- بغداد، ١٩٤١م.
•الكنى والألقاب، تأليف: الشيخ عبّاس القُمّي، منشورات مكتبة الصدر- طهران، ط٥، ١٣٥٨ه – ١٣٥٩ه.
•مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان: أبو محمد عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨ه)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٧ه- ١٩٩٧م.
•معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتّى سنة ٢٠٠٢م: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.
•معجم الشعراء العباسيين: د. عفيف عبد الرحمن، دار صادر- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

•المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتّى نهاية الحكم العربي: د. محمد عويد الساير، دار غيداء- عمَان، ط٣، ١٤٣٩ه- ٢٠١٨م.
•مهاة الكلتين وذات الحلتين: محمد بن إبراهيم، ابن النحاس الحلبي النحوي (ت٦٩٨ه)، درسه وحققه: الأستاذ الدكتور تركي بن سهو بن نزال العتيبي، دار صادر- بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
•نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر، تأليف: الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني اليمني الصنعاني (ت١١٢١ه)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٠ه- ١٩٩٩م.
•نظرات في كتابي مهاة الكلتين وذات الحلتين، وهداة مهاة الكلتين: د. محمد أحمد الدالي، مجلّة مجمع اللغة العربية في دمشق، عن مجلّة ودود للمخطوطات والتحقيق، من الشبكة المعلوماتية العالمية (النت).
•هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: اسماعيل الباباني البغدادي (ت١٣٩٩ه)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، عن المطبعة البهية باستنبول، ١٩٥١م.
•الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦٤ه)، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.
•وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١ه)، حققه: د. احسان عباس، دار صادر- بيروت، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.

# مؤرخي الكوفة ومروياتهم ( ابن اعثم الكوفي) انموذجا

أ.د عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي
م.م. احمد محمد علي
الجامعة العراقية –كلية التربية

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

إن الله أعلى مراتب الرجال الأعلام ، وزكى منهم العقول الراجحة والأحلام ، ومنحهم مآثر تقصر عن جمعها المحابر والأقلام ، وأنار علومهم وأفكارهم ومعارفهم وآدابهم أضاءت بها الأمصار والأقطار ، وأطلعهم على حقائق الأسرار وهداهم وهدى بهم في مشارق الأنوار وبعد ، فهذه كلمات ورقائق ، لا تُخلفُ ظنَّك، ورجاءً باسماً ثغره يرفع قدرك، فخذها بقوة وتصديق من الفكر اليسير في لطائف رجل من سادات العرب في الإسلام ، وعرف التاريخ الإسلامي قدره ، فهو يملك عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة وشجاعة فائقة بالحق، ، وهذا أقل ما قلنا من كلمة الحق في مواقف الرجال ، وما أكثر ما قصرنا في القول الفصل والكلمة الصريحة والعمل الجاد ، فهذا البحث تناولت فيه مسيرة عالم عرفه المجتمع الإسلامي من خلال مآثره ، وهو موضوع عظيم الأهمية في حياتنا اليوم في زمان تلفق لرجال الإسلام كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، وكأن الأعين قد عميت عن أمثال هؤلاء الرجال ، لاسيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وتُرَّهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نبين للعالم كنوز هذا، قال تعالى : {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}وتراجم العلماء تزيد في الإيمان وتثبت اليقين وترفع همة السائرين إلى الله تعالى حتى يبلغوا المراتب العلى والذروة القصوى، فكيف إن كان الرجل بلغ الذروة في شجاعة اللسان ، هذه الإشارات والدلالات كانت السبب في اختيار هذا الموضوع وكذلك يعود إلى أمور منها: لم أجد حسب علمي من أفرد بحث مستقل يبين فيه جهود ابن أثم في الإخبار والتاريخ

وكذلك من أسباب اختيار موضوع البحث، أنه يأتي في سياق إظهار الجانب الحضاري والإنساني في شخص من الكرام والذي يغفله أو يجهله الكثير و نرى هذا واضحاً في كتاباتهم ووسائل إعلامهم .ومما دفعني أيضاً للكتابة في هذا الموضوع أيضاً؛ قلة الكتابات والأبحاث التي تتحدث عن الجوانب الإنسانية والحضارية في سيرة ابن اعثم الكوفي .وقد كانت حدود البحث :

تدور حول سمات وجهود ابن اعثم الكوفي من خلال التركيز على مواقفه النبيلة – وبيان أقوال المفكرين والباحثين فيه ، أمامنهج البحث :لقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تناول النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة، واستخرج ما فيها من مضامين، والعمل على تصنيفها، ومن ثم إدراجها تحت العناوين الخاصة بها، وأذكر أقوال العلماء والفقهاء في المسائل المتعلقة بشخصيته، وتحري الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع، والاعتماد في نقل المعلومات على المراجع والمصادر المعتمدة في كل الأقوال منها ، وكذلك استعنت ببعض ما كتب حديثا عنهما ، إذا نقلت المعلومات من المراجع بالنص جعلتها بين قوسين تمييزا لها.والتعريف بما يحتاج إلى تعريف من مفردات غامضة، وأسماء أماكن وردت في البحث، وعناوين البحث، وكل ذلك في الهامش ، ومراعاة قدر الإمكان قواعد اللغة في كتابة البحث ، وعزو الآيات الواردة في البحث إلى السور وبيان أرقامها.وكذلك تخريج الأحاديث والآثار من الكتب المعتمدة، الدراسات السابقة :لم يعثر الباحث على دراسة علمية قائمة بذاتها، تتعرض لكشف عن جوانب جهود بن اعثم الكوفي في سيرته، وخطة البحث :يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة في المصادر والمراجع،.لذا اقتضت خطة البحث أن يكون المبحث الأول حياة ابن أعثم الكوفي وآثاره وجاء المبحث الثاني عن روايات ابن اعثم التاريخية وكان المبحث الثالث : الدروس والمواعظ والخطب التي رواها ابن اعثم الكوفي واتبعنا البحث بخاتمة وقائمة في المصادر والمراجع والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إِلاَّ بالله العلي العظيم.

الباحثان

المبحث الأول : حياته وآثاره

ابن أعثم (٠٠٠ - نحو ٣١٤ هـ = ٠٠٠ - نحو ٩٢٦ م) أحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي، أبو محمد: مؤرخ، من أهل الكوفة، (ابن اعثم الكوفى) أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي المؤرخ المتوفى سنة ٣١٤، عن معجم الادباء لياقوت قال: انه ، له كتاب الفتوح معروف ذكر فيه إلى ايام الرشيد وله كتاب التأريخ إلى ايام المقتدر "١". من كتبه (الفتوح) انتهى فيه إلى أيام الرشيد العباسي، منه مجلد مخطوط، في ٣٦١ ورقة في شستربتي (الرقم ٣٢٧٢) ونسخة في جامعة الكويت مصورة عن اسطنبول، ونسخة باشرت طبعها دائرة المعارف الاسلامية في حيدر آباد الدكن بالهند. و (التاريخ) من أيام المأمون إلى أيام المقتدر. قال ياقوت: رأيت الكتابين. وقد ترجم قسم من كتاب الفتوح إلى الفارسية وسمي (فتوح أعثم) وطبع بها، وترجمت نسخته الفارسية إلى لغة (أردو) وسمي بها (تاريخ أعثم)"٢". أبو محمد أحمد بن أعثم الأزدي توفي بعد سنة ٣٢٠ هـ ، وهو مؤرخ ، وكتابه من أوسع ما كتب في الفتوح، كما فصل أخبار حركة الردة، وقد اعتمد مصادر مفقودة، وترقى أسانيده- التي حفظتها نسخة خدا بخش- إلى عروة بن الزبير ت ٩٣ هـ ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ت ١٢٤ هـ ، ويزيد بن رومان الأسدي ت ١٣٠ هـ ، ومحمد بن اسحق ت ١٥١ هـ ، ومحمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧ هـ ، ويبدو أنه يجعل رواية الواقدى هى الأساس في أخبار الردة ثم يضيف اليها من مصادر أخرى وخاصة في المواعظ والأشعار كما أفاد من روايات أبى مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن الكلبي، وعلي بن محمد المدائنيت ٢٢٥ هـ "٣".وتبدو عناية ابن أعثم بالشعر من كثرة إيراده في كتابه، وقد ساعد على هذا المنحى أن اكن أعثم كان شاعراً، وكذلك عني بسرد الخطب والرسائل المتبادلة، حيث ينفرد بمادة أدبية واسعة.وقد ماعد منهجه في حذف الأسانيد، وسوق الأراجيز والخطب على لسان الأبطال مباشرة على رسم الصور الملحمية الكاملة، واعتماد الاسلوب القصصي المتسلسل"٤". واليا عليها، مما كان له أثر بالغ على زيادة الطاقة البشرية لهذه الولاية مما مكنها من القيام بأعباء الفتوح الكبيرة في اقليم فارس وخراسان وسجستان. وقد قام هذا الوالي الشاب باصلاحات كثيرة في نظم الري والزراعة بشق الترع والأنهار وتنظيم

مدينة البصرة وتوسعة مسجدها وسوقها وتوفير المياه في طريق الحج لأهلها، ازدهرت البصرة اقتصادياً، وامتد نفوذ واليها إلى عمان والبحرين وسجستان وخراسان وفارس والأهواز، حيث عين عبد الله بن عامر الولاة على هذه البلدان، وقد حافظ عبد الله بن عامر على مكانته عند أهل البصرة حتى نهاية ولايته مما يدل على مقدرة عالية في القيادة والسياسة رغم أنه تولى البصرة وهو في الخامسة والعشرين من عمره ٣ "٥".... وفي خطبة أمام المعارضين لبيعة يزيد في المدينة أكّد معاوية أن هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. فلما مضى ومع وجوب أخذ الحيطة والحذر من هذا النص، فإنه يدل على تمسك الأمويين بشرط القرشية، وإن هذا التمسك كان يزداد قوة كلما قامت ثورة على الأمويين. ٦".

كان ابن اعثم الكوفي ، مكتفياً بقائمة الكتب التأريخية التي ساقها في مقدمة كتابه، ويبرز بينها مما يعرض لتأريخ عصر الراشدين كتب أبي مخنف لوط بن يحتى ت ١٥٧ هـ والهتعم بن عدي الطائي ت ٢٠٧ هـ ومحمد بن عمر الواقدي ت ٢٠٧ هـ وأبى الحسن علي بن محمد المدائني ت ٢٢٥ هـ وأحمد بن يحيى البلاذري ت ٢٧٩ هـ "٧".ذكر الزبيدي فقال: كان غاية في النحو واللغة، وهو من أصحاب عبد الملك المهدي، وله تصانيف في النحو والغريب، ومؤلفات حسان وكان شاعراً مجيداً:أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري.المؤرخ، وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلاً على الأول، رأيت الكتابين.وقال أبو الحسين بن أحمد السلامي البيهقي: أنشدني ابن أعثم الكوفي:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخ مقر
إذا اعتذر الصديق إليك يوماً من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن جفائك وارض عنه فإن الصفح شيمة كل حر

ويتهمهم بالطمع، ويظهر انجازاً واضحاً في أحداث صفين. وبتعبير دارس آخر للمسعودى " كان يحاول تقديم رأى شيعي في التاريخ الاسلامي المبكر.فقد فقال مسلمة بن عبد الملك بعد ثورة يزيد بن المهلب: »أترى هؤلاء القوم خرجوا علينا؟ كانوا يظنون أن الخلافة فيهم. لئن كانوا ظنوا ذلك، فقد ظنوا إفكاً وزوراً.

المبحث الثاني رواياته التاريخية :

في العصر العباسي، اتخذ هذا المفهوم بعداً فقهياً يدلل على وجوب القرشية. فقد فهم الفقهاء حديث »الأئمة من قريش« على أنها شرط في صحة الخلافة، وشرط في عقد البيعة، ومن لا يتصل بنسبه من أبيه بفهر بن مالك الجد الجامع لقريش فلا تجوز بيعته ولا تنعقد إمامته ولا تجب طاعته. واعتبر ذلك إجماع روايات يمكن الاستفادة منها من بعض الوجوه، وما يستشهد به في هذه الوقفات يعد عندي مما يمكن الاستفادة منه بحدود من هذه الكتب "٨".وكان أحمد بن أعثم الاخباري المؤرخ المتوفى حدود سنة ٣١٤، وذكر البلاذري أنه رأى الكتابين واحتمل أن المؤلف جعل الثاني ذيلا الاول (أقول) أما كتابه الاول المعبر عنه بـ " الفتوح " فهو من مآخذ كتاب البحار ؟ وعده العلامة المجلسي في آخر الفصل الاول المنعقد "٩".

واشار العلماء الى مصنفات المؤرخين ومنهم ابن اعثم الكوفي من كتب تواريخ العامة قال (تاريخ الفتوح للاعثم الكوفي وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلكان) وظاهره أنه ينقل عنه لا عن ترجمته الآتية، وذكره في كشف الظنون في ذيل عنوان فتوحات الشام قال (وصنف فيها - في فتوح الشام - أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي وترجمه أحمد بن محمد المنوفي إلى الفارسية) ثم ذكره مستقلا أيضا لكن مع تصحيف في إسمه فقال (فتوح أعثم هو محمد بن علي المعروف باعثم الكوفي، وترجمته لاحمد بن محمد المنوفي ؟) (أقول) لا ريب في إتحاد هذا الفتوح المترجم بالفارسية مع فتوحات الشام الذي ذكره أولا في ذيل فتوحات الشام والمؤلف واحد وهو أبو محمد احمد بن أعثم كما ترجمه ياقوت ونسبه إلى لقب أبيه المعروف به وهو أعثم فصحف باسقاط الاب وجعل محمد اسما له ونسب إلى اسم أبيه علي المعروف باعثم، ولم يتفطن مؤلفو دائرة المعارف الاسلامية لهذا التصحيف فسموه كما هنا بمحمد بن علي المعروف باعثم مع أن هذا التصحيف قديم فانه وقع في اول الترجمة ما معناه (أنه ذكر عندي كتاب الفتوح لمحمد بن علي الاعثم الكوفي الذي ألف سنة ٢٠٤) وهذا مع أن فيه تصحيف أبي محمد بمحمد فيه غلط آخر في تاريخ التأليف جزما فان ياقوت المعاصر للمترجم لانه توفي سنة ٦٢٦ اخبر بأنه راى الكتابين، الفتوح المنتهي إلى عصر الرشيد. والتاريخ المنتهي فيه إلى ايام

المقتدر المقتول سنة ٣٢٠، وهما لاحمد بن اعثم. فمؤلف هذا التاريخ كيف يكون تأليف فتوحه سنة ٢٠٤"[١٠]".

ألف كلهم يموتون دونك وقد جمع الله لك أمر الناس ! ! قال: إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإني سمعت عليا يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالي والايام حتى يجتمع أمر هذه الامة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الارض ناصر وإنه لمعاوية، وإني عرفت أن الله بالغ أمره. ثم أذن المؤذن فقمنا على حالب يحلب ناقة فتناول إناء فشرب قائما ثم سقاني فخرجنا نمشي إلى المسجد فقال لي: ما جاءنا بك يا سفيان ؟ قلت: حبكم والذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق. قال: فأبشر يا سفيان فإني سمعت عليا يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين يعني السبابتين أو كهاتين يعني السبابة والوسطى إحداهما تفضل على الاخرى. أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد صلى الله عليه وآله. هذا لفظ أبي عبيد، وفي حديث محمد بن الحسين وعلي بن العباس بعض هذا الكلام موقوفا عن الحسن غير مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله إلا في ذكر معاوية فقط. أقول: ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح المختار"[١١]". وله شرح على ذيل الحديث. ورواه أيضا ابن أعثم الكوفي "[١٢]". وروى ابن اعثم الكوفي في كتاب الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال ويحا للطالقان فان لله عز وجل بها كنوزا ليست من ذهب ولا فضة ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته وهم ايضا انصار المهدي في آخر الزمان الباب السادس في مقدار ملكه بعد ظهوره عليه السلام عن أبي سعيد الخدري قال خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان في امتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا زيد الشاك قال قلنا وماذاك قال سنين قال فيجئ إليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني قال فيحثى له في ثوبه ما استطاع ان يحمله قال الحافظ الترمذي حديث حسن وقد روى من غير وجه أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وعن أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع تنعم فيه امتي نعمه لم ينعموه مثلها
قط تؤتي الارض اكلها ولا تدخر منهم شيئا والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذه وعن ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت قال عليه السلام يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث الشام فتخسف بهم البيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه
أبدال الشام و أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ويلقى الاسلام بجرانه إلى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون قال أبو داود قال بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم سبع سنين وعن قتاده بهذا الحديث وقال تسع سنين قال أبو داود وقال غير معاذ عن هشام تسع سنين قال هذا سياق الحناظ كالترمذي وابن ماجه القزويني وأبي داود الباب السابع في بيان انه يصلي بعيسى عليهما السلام أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف انتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم قال هذا حديث صحيح حسن متفق على صحته من حديث محمد بن شهاب الزهري رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وعن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وآله وسلم فيقول اميرهم تعال صل بنا فيقول الا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة من الله لهذه الامة قال هذا حديث حسن صحيح اخرجه مسلم في
صحيحه وان كان الحديث المتقدم قد اول فهذا لا يمكن تأويله لانه صريح فان عيسى عليه السلام يقدم أمير المسلمين وهو يومئذ المهدي عليه السلام فعلى هذا يبطل تأويل من قال معنى قوله وامامكم منكم أي يأمكم بكتابكم.

قال فأن سأل سائل وقال مع صحة هذه الاحاديث وهي ان عيسى يصلى خلف المهدي عليهما السلام ويجاهد بين يديه وانه يقتل الدجال بين يدي المهدي عليه السلام ورتبة المتقدم في الصلاة معروفة وكذلك رتبة المتقدم للجهاد وهذه الاخبار مما تثبت طرقها وصحتها عند السنة وكذلك ترويها الشيعة على السواء وهذا هو الاجماع من كافة أهل الاسلام "١٣".

المبحث الثالث : الدروس والمواعظ والخطب التي رواها ابن اعثم الكوفي

كما تتحدث كتب الفتوح عن بعض الدروس والمواعظ والخطب التي ألقاها فقهاء الصحابة .. كما احتوت تلك الكتب على قصائد شعرية منها ما استشهد به، ومنها ما كان وليد المواقف، وبعضها صحيح النسبة لأصحابه، وبعضها الآخر منحول. فما ورد من حكايات وأشعار في ما نسب للواقدي من كتب الفتوح يعد في إجماله من الشعر المنحول. ومع هذا، ففي غالبه شعر فصيح وله معان رصينة، وبالتالي تعد كتب الفتوح سجلاً لشعر الجهاد "١٤".... كما تبرز قصة لامرأتين وجدتا مدفونتين في اليمن منذ زمن قديم قبل الإسلام وتركتا قصائد شعرية عند قبريهما فيها العديد من الحكم والمواعظ .... وتعد كتب الفتوح سجلاً رائعاً لأدب الرسائل، حيث ترد نصوص مختلفة منها تعالج قضايا متنوعة، أشرنا إلى بعضها عند الجانب الإداري، كما أن البعض الآخر يتعلق بمناسبات اجتماعية أو بقضايا خاصة يصعب حصرها"١٥".... ويتحدث ابن أعثم عن مراسلات دارت بين أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وقبائل كنده من أجل هجرتهم بأولادهم إلى العراق "١٦".... وفي موضع آخر يتحدث عن البربر واستقرارهم في شمال إفريقيا"١٧".... ويتحدث البلاذري عن سكان الطائف، وعن رحيل بعض اليهود إليها وسكنهم فيها ... وكما لا يخفى علينا، فإنه بالمقابل هاجر كثير من الموالي من مناطق الفتح إلى بلاد العرب. ومن بينهم من تعلم وأصبح له مكانة ... وتوجد نظرات اجتماعية خاصة تتعلق بالنسب والمصاهرة، يمكن معرفتها من خلال بعض الروايات.... كما توجد أخبار خاصة ومميزة عن الوفيات، وفقد بعض الزعماء والقادة ممن لهم مكانة خاصة على الصعيد الاجتماعي وغيره ... يتبادر إلى الذهن حين الحديث عن كتب الفتوح ما يرتبط بالجهاد من غنائم وجزية، مما يؤخذ من الأعداء والمعاهدين.

وهذا الأمر صحيح، حيث نجد الأخبار عن ذلك في أحداث المعارك المختلفة. إلا أن الأمر لا يتوقف عند الحصول عليها. فالحديث عن الغنائم يبين نوعية الممتلكات التي يكسبها المسلمون، من أنواع النقود المختلفة، والأطعمة، والأقمشة والملبوسات، وعروض التجارة المختلفة، بالإضافة إلى الثروات الحيوانية"[١٨]".... كما تحدث عن توزيع الأرزاق على أهل البادية والحاضرة. وتشير بعض الأمصار إلى أسعار السلع المتداولة في فترات مختلفة في بعض المناطق الإسلامية .... ويضع البلاذري عنواناً ("أمر النقود") تحدث فيه عن أنواع النقود المتداولة في فترات مختلفة، وعن أوزانها وأقيامها؛ كما تحدث بالتفصيل عن الأوزان والمكاييل المتداولة في الأمصار الإسلامية، وعن ضرب الدنانير لأول مرة في الدولة الإسلامية واستمرار الضرب بعد ذلك "[١٩]".واخرج ابن اعثم الكوفى ايضا في تاريخه (على ما في ترجمته) عن الحسن بن على عليهما السلام انه قال: دفناه بالغرى. واخرج في مقاتل الطالبيين ايضا (بسنده عن ابى قرة قال: خرجت مع زيد بن على ليلا إلى الجبان، وهو مرخى اليدين لاشى معه، فقال لى: يا ابا قرة اجائع انت ؟ قلت: نعم، فناولني كمثراة ملا الكف، ما ادرى اريحها اطيب ام طعمها ؟ ثم قال لى: يا ابا قرة اتدرى اين نحن ؟ نحن في روضة من رياض الجنة، نحن عند قبر امير المومنين على. واخرج الحافظ الصغانى في (الشمس المنيرة) ان من المشهور ان زيد بن على عليه السلام الذى ينتسب إليه اهل هذا المذهب الزيدى قال لاصحابه، وهم يسلكون معه طريق الغرى: اتدرون اين نحن ؟ نحن في رياض الجنة، في طريق قبر امير المومنين. واخرج العلامة المحدث الثقة ابن قولويه المتوفى س ٣٦٧ أو س ٣٦٨ في كامل الزيارة، والسيد ابن طاوس في فرحة الغرى النصوص المأثورة المتواترة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وامير المومنين، والحسن والحسين والسجاد، وساير الائمة عليهم السلام. نقول هذا، وفيه الكفاية وفوق الكفاية، غير متعرضين لما ظهر من كرامات كثيرة، وآيات بينة عند الضريح المقدس، مما لاتسعه الاوراق، وتعجز عن احصائه الاقلام، ذكر طائفة منها العلما والمحدثون في كتبهم باسناد معتبرة، وصرح بذلك ابن بطوطة في رحلته ❖ وذكر بعض ما يتعلق بليلة المحيا ليلة السابع والعشرين من رجب. وقد افرد الباحثون والمحققون في تعيين قبره "[٢٠]". مدفون بالنجف، وفى تاريخ هذا المشهد

الشريف مؤلفات قيمة، منها كتاب فرحة الغرى للسيد النقيب العلامة غياث الدين عبد الكريم بن طاوس، المتوفى س ٦٩٣، وهو كتاب حسن نافع جيد جدا. وكتاب موضع قبر امير المومنين لابي الحسن محمد بن على بن الفضل بن تمام الكوفى الدهقان احد اعلام القرن الرابع. وايضا كتاب موضع قبر امير المومنين لابي جعفر محمد بن بكران عمران الرازي من القرن المذكور.وروى ابن اعثم الكوفي في كتاب الفتوح عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال ويحا للطالقان فان لله عز وجل بها كنوزا ليست من ذهب ولا فضة ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته وهم ايضا انصار المهدي في آخر الزمان.واخرج ابن اعثم الكوفى ايضا في تاريخه (على ما في ترجمته) عن الحسن بن على عليهما السلام انه قال: دفناه بالغرى. واخرج في مقاتل الطالبيين ايضا (بسنده عن ابى قرة قال: خرجت مع زيد بن على ليلا إلى الجبان، وهو مرخى اليدين لاشى معه، فقال لى: يا ابا قرة اجائع انت ؟ قلت: نعم، فناولني كمثراة ملا الكف، ما ادرى اريحها اطيب ام طعمها ؟ ثم قال لى: يا ابا قرة اتدرى اين نحن ؟ نحن في روضة من رياض الجنة، نحن عند قبر امير المومنين على. واخرج الحافظ الصغانى في (الشمس المنيرة) ان من المشهور ان زيد بن على عليه السلام الذى ينتسب إليه اهل هذا المذهب الزيدى قال لاصحابه، وهم يسلكون معه طريق الغرى: اتدرون اين نحن ؟ نحن في رياض الجنة، في طريق قبر امير المومنين. واخرج العلامة المحدث الثقة ابن قولويه المتوفى س ٣٦٧ أو س ٣٦٨ في كامل الزيارة، والسيد ابن طاوس في فرحة الغرى النصوص المأثورة المتواترة في ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وامير المومنين، والحسن والحسين والسجاد، وساير الائمة عليهم السلام. نقول هذا، وفيه الكفاية وفوق الكفاية، غير متعرضين لما ظهر من كرامات كثيرة، وآيات بينة عند الضريح المقدس، مما لاتسعه الاوراق، وتعجز عن احصائه الاقلام، ذكر طائفة منها العلما والمحدثون في كتبهم باسناد معتبرة، وصرح بذلك ابن بطوطة في رحلته ❖ وذكر بعض ما يتعلق بليلة المحيا ليلة السابع والعشرين من رجب. وقد افرد الباحثون والمحققون في تعيين قبره "٢١".

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى الخوارج لما انقضى شرط الموادعة بينه وبين معاوية، وأراد المسير إلى الشام في المرة الثانية. الطبري عن أبي مخنف، عن عبد الملك بن أبي

حرة، (قال: ان عليا (أمير المؤمنين عليه السلام) لما أراد المسير إلى الشام في المرة الثانية كتب إلى الخوارج. بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى زيد بن حصين، وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس أما بعد فإن هذين الرجلين الذين ارتضينا حكمها قد خالفا كتاب الله اتبعا أهوائهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسنة، ولم ينفذا للقرآن حكما، فبرئ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا وفى الامامة والسياسة: (أما بعد فإن هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين الذين أرتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما) الخ. وهو أظهر وان بلغكم كتابي هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الامر الاول الذي كنا عليه والسلام "٢٢".

و تقول رواية متفق عليها عند الطبري و الكلاعي و ابن الأثير و ابن كثير و ابن أعثم الكوفي و ابن عبد البر من أن ثمامة قد لحق بالعلاء بن الحضرمي الذي عقد له أبو بكر الصديق لواء قتال أهل الردة في البحرين و معه مسلمو بني حنيفة من بني سُحيم ، لذا أكرمه العلاء و نفله ثياباً فيها خميصة ذات أعلام كانت للحطم بن ضبيعة أحد قادة المرتدين في البحرين ، و كانت سبب في مقتل ثمامة عندما رآها بنو قيس معه "٢٣".

قال: فلما هدأت "٢٤"، العيون ونام ظالع الكلاب، دفع إليهم كتابا، وقال: إني قد رمقت هؤلاء الحرس حتى دار بهم النوم، فاخرجوا حتى تركبوا رواحلهم وتمضوا لوجوهكم، فإذا دخلتم مسجد الكوفة فادفعوا الكتاب إلى المختار بن "٢٥"، عبيد، فإن رأيتم منه ما تحبون حمدتم الله على ذلك، وإن رأيتم منه تقصيرا فأعلموا الناس ما جاء بكم، والحال التي نحن عليها، فإنه مما يحرك المؤمنين تقوية، وسينصرنا من لم نكن نطمع في نصرته.

قال: فأقبلنا حتى دخلنا على المختار، فلما قرأ الكتاب، دعا أصحابه وقرأ عليهم الكتاب "٢٦"، وكانت نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله "٢٧" من شيعتنا "٢٨"، أهل البيت.سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو "٢٩".أما بعد، فإني أسأل الله أن يدخلنا "٣٠"، وإياكم الجنة، وأن يصرف عنا وعنكم النار "٣١".فإني كتبت إليكم "٣٢"، وأنا وأهل بيتي وبضعة عشر رجلا "٣٣". محصورون لدى البيت الحرام الذي من دخله كان آمنا، وقد منعنا لين الطعام، وعذب الماء، وكلام الناس، ونهدد بالقتل والتحريق بالنار ، وإني أنشدكم بالله الذي

يجزي بالاحسان إحسانا، ويتولى ثواب البر الخير أن تخذلونا مرتين بين أظهركم من أهل بيت نبيكم، فتندموا ألا تكونوا نصرتموهم ومنعتموهم، كما قتل الحسين وآل الحسين إلى جانبكم بالامس وأخواته وبناته ينظرن إليهم، ثم لم تمنعوهم ولم تدفعوا عنهم، وأصبحتم على ألا تكونوا فعلتم ذلك نادمين، ثم يا غوثا بالله، ثم يا غوثا بالله، فإنا لا ندعو إلى ظلم ولا إلى قتال أحد، إنما نريد أن نسلم ويجتمع أمر الناس والسلام.و الحقيقة أن أمير المؤمنين علي (ع) كان شديد الإصرار على رعاية مبدأ الرضا و الشورى الكاملة كمبدأ أساسي لمشروعية الحكم، لذلك لما قتل عثمان و انهال الناس عليه ليبايعوه، فإنه ـ عوضا عن أن يذكر لهم أي شيء عن كونه منصوص عليه من الله ـ قال لهم: ((.. فإن بيعتي لا تكون خفيا و لا تكون إلا عن رضا المسلمين..)) .

فكان مما جاء في سياق قوله: فانطلق علي بن أبي طالب إليهم - يعني إلى المتحزبين من الأنصار على عثمان - وهم بالجحفة ، وكانوا يعظمونه ويبالغون في أمره ، فردهم وأنبهم وشتمهم ، فرجعوا على أنفسهم بالملامة ، وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمر بسببه - ويظهر أن أصحاب هذه المقولة من المصريين إذ كان هوى المصريين مع علي أيام الفتنة على عثمان - وتحتجون عليه به، ويقال : إنه ناظرهم على عثمان ، وسألهم ماذا ينقمون عليه، فذكروا أشياء منها أنه حمى الحمى. إلى آخر ما نقل من مقولاتهم "٣٤".ثم قال: فأجاب علي عن ذلك، أما الحمى فإنما حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لإبله ولا لنفسه ، وقد حماه عمر من قبله. إلى آخر القصة.وأشار ابن أعثم الكوفي "٣٥"، وهو مؤرخ الفتوح إلى هذه القصة ، ولكن بشكل مختلف ، ولعلها تعددت عندئذ لتعدد محاولات عثمان إقناع خصومه ، فقال: ثم دخل - أي عثمان - منزله وأغلق بابه وصعد إليهم وكلمهم من السطح قائلًا: أيها الناس ، ماذا تريدون مني؟ وأي عمل من أعمالي لا توافقون عليه حتى أبدله؟ وما هدفكم حتى أحققه لكم وأحصل على رضاكم؟ فأجابوا: لقد حجزت عنا ماء المطر ومنعت مواشينا من ورود ذلك الماء، فقال عثمان: لقد حجزت الماء من إبل الصدقة، والآن إذا كان هذا لا يرضيكم ، فهو لكم ، فافعلوا به ما تشاؤون ، فقالوا: لقد حجزت ذلك الماء أكثر مما حجزه عمر - رضي الله عنه - وقال: لقد كثرت إبل الصدقة في هذه الأيام ، فلذلك اشتدت الحاجة إلى الماء، ولهذا

كنت قد حجزت الماء. إلى آخر القصة.وانفراد مؤرخ الشيعة لتخصيص الماء بالحماية أو بأنه علة الحماية ، يحمل على التساؤل عن الحافز إلى هذا التخصيص ، إلا أن يكون أطلق الماء على الكلأ باعتباره سبباً لنياته . ثم لماذا اجتنب كلمة الحمى أو أية كلمة مشتقة منها؟ لعله ممن ينكر الحماية أصلًا ، وهو شذوذ.وقال مالك "٣٦"، عن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن عمر بن الخطاب استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى ، فقال: يا هني ، اضمم جناحك على الناس ، واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، وإياي ونعم بن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعان إلى المدينة إلى زرع ونخل، وإن رب الصريمة والغنيمة إن تهلك ماشيته فيأتي ببنيه ، ويقول: يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ، أفتاركهم أنا لا أبا لك ؟ فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق ، وايم الله أنهم ليرون أن قد ظلمتهم ، إنها لبلادهم ومياههم ، قاتلوا عليها في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام ، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حبست عليهم من بلادهم شبراً.وقال الشافعي أخبرنا سفيان ابن عيينة ، عن الزهري ، عن عبد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، عن الصعب بن جثامة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( لا حمى إلا لله ولرسوله )) "٣٧" وعمرو بن العاص الذي تولى فتح مصر وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات وأقره عمر والياً عليها، واستمر في ولايته حتى توفي عمر بن الخطاب رغم اختلافه مع عمر في بعض الأحيان مما كان يدفع عمر إلى التهديد بتأديبه وكان عمرو هو والي مصر الرئيسي، مما كان يرد من وجود بعض الولاة الصغار الآخرين في مصر مثل ما ورد عن ولاية عبد الله بن أبي السرح على الصعيد إبان وفاة الخليفة عمر، ومن الملاحظ في فترة ولاية عمرو بن العاص لمصر في عصر عمر كثرة تدخل الخليفة عمر في شؤون الولاية المختلفة ، وقد استفاد عمرو بن العاص من خبرة الأقباط في قضايا الخراج والجزية فاستخدمهم في هذا العمل، وقد اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الزراعة والاشتغال بها ومعاقبة من يخالف ذلك بناءً على أوامر عمر بن الخطاب وكان هذا بالطبع لتفريغ الجنود لأمور الجهاد، وعدم الركون إلى الدعة، أو الارتباط بالأرض، وقد كان للجند من الأرزاق التي تصرف من بيت المال ما يغنيهم

عن ذلك، وقد استطاع عمرو بن العاص بمتابعة من الخليفة عمر تنظيم أمورها في سنوات قليلة حتى أخذت مكانتها كولاية كبرى من ولايات الدولة، وجرى فيها من الأحداث مما يدل على استقرار أوضاع الولاية، بالرغم من المخاطر التي كانت تحدق بها من جراء محاولة الروم المستمرة استعادتها عن طريق غزو الإسكندرية من ناحية البحر، وقد كانت هذه الولاية أرضاً خصبة لانتشار الإسلام فيها في عهد الخليفة عمر نظراً لما ظهر فيها من عدل بين الناس ورحمة "٣٨"، لم يعهدهما أهلها من قبل بالإضافة إلى اقتناعهم بحقائق الإسلام وتعاليمه السمحة فأصبحوا جنداً من جنوده، وكانت الأمور الإدارية في مصر تمضي بطريقة بسيطة إذ كان عمرو وهو الوالي وهو المسؤول عن الخراج، ولا يمنع هذا من وحينما تولى أبو عبيدة على الشام أخذ ينظم أمورها، ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة فيها، وأخذ يعيد تنظيمها حيث كان على بعضها أمراء سابقون فمنهم من أقره أبو عبيدة ومنهم من عزله، يقول خليفة بن خياط: فولى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين وناحيتها، وشرحبيل بن حسنة على الأردن، وخالد بن الوليد على دمشق وحبيب بن مسلمة على حمص ثم عزله، وولى عبد الله بن قرط الثمالي، ثم عزله، وولى عبادة بن الصامت ثم عزله ورد عبد الله بن قرط، وكان يبعث أحياناً بعض أصحابه لتولي مناطق من الشام لفترة معينة، ذلك أن أبا عبيدة بعث معاذ بن جبل على الأردن، ومن ذلك إنابته لبعض الناس مكانه حين كان يسافر للجهاد فقد أناب سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، على دمشق حين خروجه إلى بيت المقدس،وكان أبو عبيدة رحمه الله طوال فترة ولايته على الشام مثالاً للرجل الصالح الورع الذي يقتدي به بقية أمرائه ويقتدي به العامة، وقد استشهد كما مرّ.مكررة وأخرج ﴿ أبن أعثم ﴾ الكوفي في كتاب ﴿ الفتوح ﴾ عن علي بن أبى طالب – رضي الله عنه – قال : (( ويحا للطالقان، فان لله كنوزا ليست من ذهب ولا فضة، ولكن بها رجال عرفوا الله حق معرفته، وهم أنصار المهدي آخر الزمان ))"٣٩".

آليت جهدا لا أبايع بعده ❖ إماما ولا أدعى لما قال قائل "٤٠".فاعترضه عبد الله بن الزبير ، فاختلفا ضربتين ، ضربه الاشتر فأمه ، وواثبه عبد الله ، فاعتنقه فخر به وجعل يقول : " اقتلونى ومالكا "٤١" – وكان الناس لايعرفونه بمالك ، ولو قال "و الاشتر " ، وكانت

له الف نفس مانجا منها شيئ - ومازال يضطرب يدى عبد الله حتى افلت ، وكان الرجل إذا حمل على الجمل ثم نجا لم يَعُد . وجرح يومئذ مروان وعبد الله بن الزبير .وقد ذكر ابن اعثم الكوفى الجزء المتعلق بقتال عبد الله بن الزبير والاشتر ، وتمكن الاشتر من عبد الله بن الزبير الذى فر من تحته .اورد المسعودى قصة قتال عبد الله الزبير والاشتر مالك بن الحارث قريبا مما ذكره الطبرى . لكنه يضيف ان نجاة الاشتر من القتل انما ترجع إلى شدة القتال والتحام الحديد والظلمة السائدة فلم يسمع احد نداء عبد الله بن الزبير .والخبر عند ابن اعثم الكوفى ان المغيرة وفد على كسرى وكان المترجم اسمه عبود ، وذكر تفاصيل كثيرة عما دار في مجلس كسرى لا يذكرها الطبرى .وذكر كل من ابن الأثير ، وابن كثير أخبارا عن هذه الرواية .أما ابن حجر فقد اكتفى بإيراد خبر ارسال المغيرة إلى رستم "٤٢".. ، فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه ، وأعلمه أنى لا أرضى به أميرا ، وأن العامة لا ترضى به خليفة .هذا وقد ذكر اليعقوبى هذه الرواية قريبا مما ذكره المنقرى اضافة إلى انه عمد إلى ذكر تفاصيل كثيرة عن خبر وفادة جرير بن عبد الله رضى الله عنه واورد الطبرى رواية ارسال جرير بن عبد الله رضى الله عنه مما ذكره المنقرى من طريق عمر بن شبه قال حدثنا أبو الحسن عن عوانة. ويروى ابن اعثم الكوفى رواية طلب جرير بن عبد الله رضى الله عنه من على ابن ابى طالب رضى الله عنه ان يرسله كرسول في تفاصيل مطولة عما في رواية المنقرى من اورد خبر دخول على بن ابى طالب رضى الله عنه إلى الكوفة غير الشعبى كل من الدينورى ، والمسعودى فذكرا انه دخلها لاثنتى عشرة ليلة مضت من رجب بينما ذكر ابن اعثم الكوفى انه دخل الكوفة فى يوم الاثنين لستة عشر يوما من رجب سنة ٣٦هـ .و عن عمرو بن ﴿ شمر ، عن ﴾ جابر ، عن الشعبى ، عن الحارث بن أدهم ، عن صعصعة قال : ثم أقبل الأشتر يضرب بسيفه جمهور الناس حتى كشف أهل الشام عن الماء وهو يقول : لا تذكروا ما قد مضى وفاتا قال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث" . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال النسائى "ثقة" . وقال ابن عبد البر "كان مسلما علىعهد رسول الله ش لم يلقه ولم يره ... وكان فصيحاً خطيبا عاقلا...". وقال ابن حجر "تابعى كبير مخضرم". "٤٣" .وعن نصر : عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبى ، أن أوّلَ فارسين

التقيا فى هذا اليوم - وهو السابع من صفر ، وكان من الايام العظيمة فى صفَّين ، ذا اهوال شديدة - حُجْر الخير وحُجْر الشرَّ . اما حجر الخير فهو حُجر بن عدىّ صاحب امير المؤمنين على ابن ابى طالب . وحجر الشرَّ ابن عمه . وذلك ان حُجر الشَّر دعا حجر بن عدى إلى المبارزة ، وكلاهما من كندة ، فأجابه فاطعنا برمحيهما ، ثم حجز بينهما امرؤ من بنى اسد ، وكان مع معاوية فضرب حجرا ضربة برمحه ، وحمل اصحاب علىٍّ فقتلوا الاسدى ، وافلتهم حجر بن يزيد﴿حُجرُ﴾ الشرَّهاربا ، وكان اسم الاسدى خزيمه بن ثابت .جابر بن يزيد الجعفى ."٤٤".نصر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبى ، عن صَعصعة بن صُوحان ذكر أن على بن ابى طالب صاف اهل الشام ، حتى برزَ رجل من حمير من ال ذى يزنٍ ، اسمه كُريب ابن الصباح ، ليس فى اهل الشام يومئذ رجل اشهر شدة بالبأس منه ، ثم نادى : من يبارز؟ فبرزإليه المرتفع بن الوضاح الزبيدى ، فقتل المرتفع . ثم نادى : من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن الجُلاح فقتل ، ثم نادى : من يبارز؟ فبرز اليه عائذ بن مسروق الهمدانى فقَتل عائذا ثم رمى باجسادهم بعضها فوق بعض ، ثم قام عليها بغيا واعتداءّ ، ثم نادى : هل بقى من مبارز؟ فبرز إليه علىٌّ ثم ناده : ويحك ياكريب ، إنى أحذرك ﴿ الله وبأسه ونقمته﴾ ، وأدعوك إلى سنة رسوله - ويحك لايدخلنك ابن آكلة الاكباد النارَ . فكان جوابه أن قال : ما أكثر ماقد سمعنا هذه المقالة منك ، فلا حاجة لنا فيها . أقدم إذا شئت . من يشترى سيفي وهذا أثره؟ فقال علىٌّ عليه السلام : لاحول ولاقوة إل بالله . ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خر منها قتيلا يتشحَّط في دمه . ثم نادى : من يبارز؟ فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميرى "٤٥".وقد أورد ابن أعثم الكوفي نص الأمان. على أن السلطة العباسية لم تكن لتحتمل ذلك القائد والوالي ذا النفوذ القبلي الكبير والذي كان يعامل أبا جعفر وكأنه مساوياً له من حيث المنزلة وكان يخف به في ذهابه وإيابه ٨٠٠ مقاتل بين فارس وراجل.والواقع فإن أبا جعفر أراد أن يكسبه للدولة الجديدة فكان يقول : عجباً لمن يأمرني بقتل مثل هذا. كما أنه كان يستشيره فيشير إليه قائلاً : إن دولتكم هذه جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرراتها لتسرع محبتكم إلى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم ، على أن الخليفة أمر أبا جعفر بقتله لأسباب سياسية وتعددت الروايات

التاريخية في أسباب قتله فمنهم من يذكر أنه كان بتحريض من أبي مسلم الذي كتب إلى الخليفة : أنه قلّ طريق سهل تلقى فيه حجارة إلا ضّر ذلك بأهله ولا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة وقد تردد أبو جعفر في قتله وقال : لا أفعل وله في عنقي بيعة وأمان : فأجابه أبو العباس : والله لتقتلنه أو لأبعثن إليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عنك وواضح أن الخليفة رأي في ابن هبيرة خطرا على الدولة الجديدة ووافقه في ذلك أبو مسلم ، قال الذهبي في مقتل ابن هبيرة .. فحاصره المنصور مدة ثم خدعه المنصور وآمنه، ونكث فدخلوا عليه داره فقتلوه صبراً وابنه داود ومماليكه وحاجبه، فسجد لله فنزلوا عليه فهبروه ، وكان بطلاً، شجاعاً، سائساً، جواداً، فصيحاً خطيباً ، وكان رزقه في السنة ست مائة ألف وكان يفرقها في العلماء والوجوه. وهكذا قضى العباسيون على جيب من الجيوب الأموية في العراق وسقطت مدينة واسط "٤٦".وفي الاصابة ذكر لاشتراك ذو الكلاع الحميرى رضي الله عنه في معركة صفين إلى جانب معاوية "٤٧".بن حجر بن الحارث بن الهجرس العبدى الكوفى أورد ابن أعثم الكوفى الأبيات الشعرية مرتبة ترتيبا يختلف عما في رواية المنقرى ويزيد في عددها . وهي كالتالى :نصر : إسماعيل بن ابى عميرة عن الشعبى أن علي عليه السلام بعث على ميمنته عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخُزاعىّ ، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس "٤٨"..**والحمد لله رب العالمين**

**الخاتمة والنتائج**

... يطيب لى فى النهاية المطاف إبراز بعض جوانب البحث وأرجو أن أكون قد وفقت و أسهمت إسهاما متواضعا في خدمة تراثنا الإسلامي ونستطيع نجمل أهم نتائج هذا البحث على النحو التالي :

١ للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم - الفضل الأكبر في نهضة البشرية ـ بعد عصور الظلام في القرون الوسطى ـ من وحل الوثنية إلى ظلال التوحيد .ولآل البيت والعلماء الكرام الفضل الأكبر في نشر قيم العدالة والمساواة والحب والإخاء في أنحاء العالم في الوقت الذي كان العالم يعاني من الظلم والاستبداد والخرافات

٢ إن تكريم الله سبحانه للإنسان نابع في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله في الأرض، وأن هذا المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين القرآن الكريم والأخر متمثل في إتباع الهدي النبوي والسنة المطهرة ومأثورات آل البيت عليهم السلام ورواياتهم وإن الله أعلى مراتب الرجال الأعلام ، وزكى منهم العقول الراجحة والأحلام ، ومنحهم مآثر تقصر عن جمعها المحابر والأقلام ، وأنار علومهم وأفكارهم ومعارفهم وآدابهم أضاءت بها الأمصار والأقطار ، وأطلعهم على حقائق الأسرار وهداهم وهدى بهم في مشارق الأنوار وابن اعثم الكوفي رجل موسوعي بعلمه وسيرته وهو من سادات العرب في الإسلام ، وعرف التاريخ الإسلامي قدره ، فهو يملك عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة وشجاعة فائقة بالحق، ، وهذا أقل ما قلنا من كلمة الحق في مواقف الرجال ، قال تعالى : {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}وتراجم العلماء تزيد في الإيمان وتثبت اليقين وترفع همة السائرين إلى الله تعالى حتى يبلغوا المراتب العلى والذروة القصوى، فكيف إن كان الرجل بلغ الذروة في شجاعة اللسان

٣ ولكي يتمكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، من تحقيق الأهداف المتوخاة من إقرار هذه الفريضة العظيمة، لا بد أن يتحلى بصفات وخلق آل البيت والصحابة الكرام و أن يكون متمسك بالمنهج الوسطي المعتدل ويكون رقيقا لطيفا بمن يأمره وبمن ينهاه ، ولقد جعل الله تعالى من محمد - صلى الله عليه وسلم - " أسوة حسنة" وقدوة عظمى للمؤمنين، يقتدي به كل إنسان يريد أن يؤدي رسالة حضارية على كوكب الأرض . قال تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر " .. وهي شهادة من الله تعالى " لكريم خصاله - صلى الله عليه وسلم - .لقد أوجب الله التأسي به - صلى الله عليه وسلم - في كل أمور الدين ومهام الإصلاح والحمد لله رب العالمين

الهوامش:

[١] الاريب لياقوت ٢: ٢٣٠ ودائرة المعارف الاسلامية ١: ٩١ وهو فيها (محمد بن علي بن أعثم) كما في النسخة المطبوعة من الترجمة الفارسية. وفي الذريعة ٣:٢٢٠ تحقيق اسمه. وانظر طوبقبو ٣: ٣٤١ ومجلة الوعي الاسلامي الكويتية، العدد ١١٤ ص ٨٨.

(❖) ﴾الكنى والألقاب للقمي (١/ ٢٣٤)

[٢] الأعلام خير الدين الزركلي (٢/ ١٦٩)

[٣] عبد العزيز البيتي: ابن أعثم الكوفي، منهجه وموارده عن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ص ١٣٩. عصر الخلافة الراشدة لأكرم العمري (ص: ٢٤)

[٤] عصر الخلافة الراشدة لأكرم العمري (ص: ١٣٣)

[٥] مجلة التاريخ العربي (ص: ٦٠١٥)

[٦] الإمامة والسياسة، ج ١، ص. ١٥٠. مجلة التاريخ العربي (ص: ٦٠١٦)

[٧] كشف الغمة لأبي الحسن الأربلي (٢/ ٢٧٩) الذريعة في أصول الفقه الإمامي (٢٧/ ٢٢١) عصر الخلافة الراشدة لأكرم العمري (ص: ٢٣)

[٨] مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٧٤١)

[٩] الذريعة في أصول الفقه الإمامي (٢٧/ ٢٢٢)

[١٠] تاريخ الفراغ الكافئة للمفيد (ص: ٩٥) ترجمة الامام الحسن (ع) (١/ ٤٢٥)

[١١] نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٤٥

[١٢] كشف الغمة لأبي الحسن الأربلي (٢/ ٢٧٩)

[١٣] كشف الغمة لأبي الحسن الأربلي (٢/ ٢٨٠)

[١٤] مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٧٧٥) – وانظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص ص. ٤٨ ـ ٩٨، وغيرها من الصفحات؛ كما تحتوي بقية مجلدات "الفتوح" على العديد من القصائد الشعرية التي يصعب حصرها. مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٧٧٧)

[١٥] مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٧٨٤)

[١٦] ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص. ٥٥. مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٧٨٩)

[١٧] مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٧٩٢)

[١٨] انظر الحديث عن غنائم المسلمين في القادسية عند: الواقدي، فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان، ص. ٣٧؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص. ١٦٨؛ وانظر غنائم المسلمين في اليرموك عند: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج ١، ص. ٢٠٨. مجلة التاريخ العربي (ص: ١١٨٠٠)

[١٩] أبو سعدة، ابن عبد الحكم المؤرخ، ص. ٩٧.
[٢٠] مجموعة الرسائل للكلبايكاني (٤/ ١٢١)
[٢١] نهج السعادة (٩/ ٢٨٥)
[٢٢] تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٥٧ ورواه ينظر: ابن أعثم الكوفي كما في المترجم من تاريخه ص ٣١٢، ونقله أيضا في الامامة والسياسة ص ١٤٣، باختلاف في بعض الالفاظ، وذكره تحت الرقم (٤٦٦) من جمهرة الرسائل عن الطبري: ج ٦ ص ٤٤، والامامة والسياسة ص ١٠٥
[٢٣] الطبري (٣١٢/٣) و حروب الردة (ص١٩٧-١٩٨) و الكامل (٤١/٢) و البداية و النهاية (٣٢٨/٦) و الفتوح (٤٠/١-٤١ ) والاستيعاب (٢١٣/١-٢١٦) . طريق الاتحاد للقمي (٦/ ١١) أخبار الدولة العباسية (ص: ١٠٠)
[٢٤] في الاصل: " هدت "، وما أثبتنا من أنساب الاشراف، وفيه " فلما هدأت العيون ونام طالع الكلاب ".
[٢٥] زيادة.
[٢٦] لم يورد أنساب الاشراف نص الكتاب، وإنما أشار إلى بعض مضمونه، ورواه ابن أعثم الكوفي في فتوحه ج ١ ص ١٠ ب - ١١ أ.
[٢٧] ابن أعثم: " ومن يحضره ".
[٢٨] ابن أعثم: " شيعة ".
[٢٩] عبارة " سلام..إلا هو " لا ترد في ابن أعثم.
[٣٠] ابن أعثم: " يرزقنا ". (انظر تاريخ الطبري، طبعة دار التراث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٤/ص ٤٢٧، وتاريخ ابن أعثم الكوفي: ص ١٦١) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (٤/ ١٠٦٣)
[٣١] ن
[٣٢] ن
[٣٣] ن
[٣٤] أخبار الدولة العباسية (ص: ١٠١)
[٣٥] الولاية على البلدان (٨٣/١).
[٣٦] الولاية على البلدان (٨٣/١).
[٣٧] أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١/ ٣٠٧)
[٣٨] فتوح الشام ص٢٤٨ . ينظر الفتوح، ابن أعثم الكوفي ص٢٨٩ الولاية على البلدان (٩٠/١).
[٣٩] العرف الوردي في أخبار المهدي (ص: ١٤١)
[٤٠] البداية والنهاية. ج: ٧ ح: ١٧١. مجلة جامعة أم القرى (١/ ٥٠٠)

[٤١] مجلة جامعة أم القرى (٢/ ٢٣)
[٤٢] مجلة جامعة أم القرى (٢/ ٢٥)
[٤٣] مجلة جامعة أم القرى (٢/ ٣٠)
[٤٤] الفتوح . ج ١ ص ١٥٧ .
[٤٥] موسوعة البحوث والمقالات العلمية (/ ٢٥)
[٤٦] الطبقات . ج ٦ ص ١٥٤ .
[٤٧] الفتوح . ج ٣ ص ٧ ،٨ .
[٤٨] موسوعة البحوث والمقالات العلمية (/ ٢٥)

قائمة المصادر والمراجع :


١٠١الأعلام - المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) - الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٠٢ الكنى والأسماء للدولابي - مصدر الكتاب : موقع جامع الحديث

٠٣ كشف الغمة في معرفة الائمة - المؤلف : العلامة المحقق أبى الحسن على بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي (ره) المتوفى سنة ٦٩٣ ه دار الاضواء بيروت ❖ لبنان مصدر الكتاب : موقع يعسوب.

٠٤ عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين المؤلف : أكرم بن ضياء العمريالناشر : مكتبة العبيكان -مصدر الكتاب : فريق عمل المكتبة الشاملة.

٠٥ معجم الأدباء - المؤلف : ياقوت الحموي - مصدر الكتاب : موقع الوراق

٠٦ ترجمة الامام الحسن (ع) - مصدر الكتاب : موقع يعسوب

٠٧ نهج البلاغة – ابن ابي الحديد مصدر الكتاب : موقع يعسوب

٠٨ مجلة التاريخ العربي - المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية

٠٩ مجموعة الرسائل للكلبايكاني- مصدر الكتاب : موقع يعسوب

٠١٠نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة تأليف الشيخ محمد باقر المحمودي دار التعارف للمطبوعات

٠١١ تاريخ الطبري: تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ قدم له الشيخ خليل الميس ضبط وتوشيق وتحريج صدقة حميد العطار دار الفكر للطباعة والنشر
٠١٢ البداية والنهاية -البداية والنهاية للامام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثيرالدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ. -حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري دار إحياء التراث العربي طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م -مصدر الكتاب : موقع يعسوب
٠١٣ الإستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف : ابن عبد البر مصدر الكتاب : موقع الوراق.
٠١٤ طريق الاتحاد المؤلف : حيدر علي قلمداران المحقق : أبو الفضل البرقعي المترجم : سعد رستم
٠١٥ :أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده لمؤلف من القرن الثالث الهجري (عن مخطوط فريد من مكتبة مدرسة أبي حنيفة - بغداد) تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري الدكتور عبد الجبار المطلبي دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت مصدر الكتاب : موقع يعسوب.
٠١٦ الطبقات الكبرى المؤلف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المحقق : إحسان عباس الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة : ١ - ١٩٦٨ م عدد الأجزاء : ٨ مصدر الكتاب : موقع الوراق

# أَعْـــلامٌ كُـوفيـــونَ مُـغْـتَرِبـــونَ خَـلَّـدَهُمْ الـتَّـأريـــخُ

أ . م . د . خالد أحمد المشهداني
كلية التربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة الأنبار

مقدمة البحث

تُعَدُّ مدينة الكوفة من المدن التي ساهمت في رِفد الحضارة الإنسانية بالعلوم والمعارف عن طريق علمائها منذ القرن الأول الهجري وما بعده . وقد اغترب عنها الكثيرُ من هؤلاء العلماء وانتشروا في أرجاء المعمورة . وبسبب المآثر العلمية والإنسانية التي تركوها ؛ فقد خَلَّدهم التأريخ وترجمت حياتَهم الأسفارُ التأريخية . وبحثي هذا الموسوم بـ : ( أعلام كوفيون مغتربون خلدهم التأريخ ) يدور في هذا الجانب ؛ فهو بحث خاص برصد الأعلام الذين نشأوا في مدينة الكوفة ثم هاجروا إلى بلدان المعمورة وأثَّرُوا في الحضارة الإنسانية وأثْرَوها بالعلوم والمصنفات التي بنت الحضارة الإنسانية عموماً والإسلامية خصوصاً ، وخدمت كل البشرية في مشارق الأرض ومغاربها . إن مثل هؤلاء الأعلام لابد من إحياء ذكراهم كي يعرف أحفادهم من العراقيين عامة ومن أبناء مدينة الكوفة خاصة أن لهم أسلافاً كانوا سادة الدنيا في الفقه والحديث واللغة والتفسير والقضاء وغيرها من النشاطات والعلوم الإنسانية . ومثل هذه المعرفة تدفع الجيل المعاصر من الشباب والباحثين إلى اقتفاء آثار أولئك الأجداد العظماء والسير في خطاهم العلمية والمعرفية لأجل بناء مجتمع جديد قوي متماسك مستقل في قراراته وحياته ؛ ومن هنا تظهر لنا أهمية هذا البحث وأمثاله من بحوث ودراسات إحياء التراث . وقد تألف هذا البحث من : مقدمة وفصلين مع خاتمة . فالفصل الأول جاء بعنوان : ( باكورة التأسيس لمدينة الكوفة ) ، خصَّصتُه للكلام عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي لاسم مدينة الكوفة وأسباب اختيارها مع أهم ما فيها من الآثار العمرانية ، وكذلك أهم الأقوال التي قيلت في هذه المدينة العريقة . والفصل الثاني كان بعنوان : ( ثبت العلماء الكوفيين المغتربين الذين خلدهم التاريخ ) ، تناولت فيه عرض أسماء أعلامها الذين غادروها لأسباب مختلفة فلم تؤثر غربتهم فيهم إلا تأثيراً إيجابياً ، فأبدعوا في مجالات الحضارة الإنسانية بما جعل المؤرخين يخلدونهم في أسفارهم وكتبهم التأريخية المختلفة . ومن الجدير بالذكر، إن العدد الذي حصلت عليه لهؤلاء الأعلام الكوفيين يشكل كتاباً كبير

الحجم ، لكني اقتصرت في بحثي الحالي هذا على تراجم البعض القليل منهم ؛ وذلك مراعاة لحجم البحث الخاضع للشروط الأكاديمية المعتادة . والأمل الكبير يَحْدُوني في طبعه ليكون كتاباً كاملاً مستقلاً في قابل الأيام إن شاء

الله بعد أن أضم إليه العدد الكثير من أعلام الكوفة الذين استقريتهم وحفظتهم حالياً خارج هذا البحث ؛ وذلك لأجل المساهمة به في موسوعة علمية عن هذه المدينة العريقة ؛ فيما إذا انتهضت المؤسساتُ العلمية فيها لكتابة مثل هذه الموسوعة الكبيرة . وقد ذَيَّلتُ بحثي هذا بخاتمة بينتُ فيها النتائج التي حصلت عليها مع المقترحات التي أراها مفيدة بهذا الصدد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الفصل الأول

## باكورة التأسيس لمدينة الكوفة

### أولاً : المفهوم اللغوي والاصطلاحي

لفظ الكُوْفَة مشتق من الجذر اللغوي المؤلف من الكاف والواو والفاء : (كوف) ، ومنه الفعل: كَوَّفَ ، فيقال : كَوَّفَ الشيءَ : نَحَّاهُ ، أي أزاله عن مكانه ، وكَوَّفَهُ أيضاً ، بمعنى جَمَعَهُ ، وتَكَوَّفَ : تَجَمَّعَ ؛ فالتَّكَوُّفُ هو التجمع . والكُوْفَة في اللغة تطلق على الرَّمْلَة المجتمعة ، وقيل : الكُوْفَة هي الرَّمْلة مُطلقاً كيفما كانت ، مجتمعة أم متفرقة . وقيل : إن الكوفة هي الرملة الحمراء[١] ، والكوفة كذلك : الرملة المستديرة ، أو هي كل رملة تخالطها الحصباء . وكَوَّفْتُ الأديمَ تَكْويفاً : أي قطَّعتُه تقطيعاً ، وهو مثل كَيَّفْتُه تَكْيِيفاً . وتَكَوَّفَ الرَّمْلُ تَكَوُّفاً وكَوْفاناً ـ بفتح الكاف وضمها ـ بمعنى استدار الرمل[٢] .

أما في الاصطلاح ، فالكوفة مدينة في العراق بُنيت في موضع اسمه كُوْفان ؛ وبه سميت الكوفة ، وقيل عنها في حينها إنها مدينة العراق الكبرى ، وكذلك قبة الإسلام ، ودار هجرة المسلمين ، وأطلقوا عليها أيضاً اسم خد العذراء . ويقال إن موضعها كان في القديم منزل سيدنا نوح عليه السلام . وفي صدر الإسلام وبالضبط في عهد الخليفة عمر

بن الخطاب رضي الله عنه ، تولى تأسيسها وتمصيرها الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وبها بنى مسجدها الأعظم ؛ وذلك عندما كان يقود
جيش المسلمين لفتح العراق وبلاد المشرق ؛ وعلى هذا فإن تأسيس مدينة الكوفة كان في سنة ١٨ هـ وقيل سنة ١٧هـ وقيل سنة ١٩ هـ [٣] . وذكر الصاغاني أن الذي تولى تخطيطها هو الصحابي السائب بن الأقرع بن عوف الثقفي رضي الله عنه [٤] ، وهو الذي شهد فتح نهاوند مع الصحابي النعمان بن مقرن ، وتولى أيضاً ولاية أصبهان وبها مات وخلف عقبه هناك ، لكن رأي الصاغاني هذا مرجوح بالرأي الأول القائل إن سعداً هو الذي أسسها ، أما السائب بن الأقرع فهو الذي انتدبه سعد في حينها لتعيين مواقع الجند والسكن فيها بما يعرف في عصرنا الحاضر بالتخطيط[٥] . وسميت بالكوفة بهذا الاسم نسبة إلى الموضع الذي تأسست عليه وكان يطلق عليه اسم كوفان كما أسلفت ، وكوفان هو جُبَيْلٌ صغير في ذلك الموضع وهو أصغر من الجبل . وقيل سميت بالكوفة ؛ لأن الجبل المسمى بجبل ساتيدما يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم فهو كالكفاف عليها . وقيل سميت بهذا الاسم بسبب استدارتها أو بسبب اجتماع الناس فيها آنذاك وهم الجند الذين كانوا تحت قيادة سعد بن أبي وقاص والذين كانوا قد نزلوا ذلك الموضع إبان الفتوحات الإسلامية لبلاد المشرق . وقيل أيضاً سميت لان رملتها كانت حمراء أو لاختلاط رملها بالحصى . وذكر الكسائي وغيره إن الكوفة كانت تدعى في بداية تأسيسها باسم الموضع الذي تأسست فيه : كوفان ، ويقال لها كوفة الجند وهم الذين انساحوا لفتوح العراق وقصباته[٦] . وذهب صاحب مراصد الاطلاع إلى أن : (الكوفة بالضم ، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس فيها)[٧]. وتجدر الإشارة إلى أن موضع الكوفة أقدم من مدينة الكوفة؛ فما يطلق على الكوفة عند تأسيسها ولحد الآن ، إنما المقصود به المدينة بعد تمصيرها وتأسيسها ، أما الموضع المسمى بالكوفة فهو أقدم من ذلك ، ودليلنا في هذا أن الشاعر عبدة بن الطيب وهو شاعر جاهلي ذكر موضع الكوفة وسماه بموضع الجند آنذاك وذلك بقوله :

إن التي وضعت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها الغول[٨]

ثانياً : أسباب الاختيار

إن أهم أسباب اختيار مدينة الكوفة سببان : الأول : حربي ، والثاني : جغرافي . فالسبب الأول يمكننا تسميته بالعامل الحربي ؛ لأن موضع الكوفة كان يحتل الجانب الغربي من نهر الفرات على طريق الامدادات العسكرية الآتية من مركز الخلافة للدولة الإسلامية ؛ فيكون موقعها أفضل وأسهل مكان للاتصال بين مقر الخلافة الإسلامية آنذاك والجيش الذي كان بأمس الحاجة إلى أقصر طريق يوصل قياداته بمصادر القرار من الخلفاء في المدينة المنورة من أرض الجزيرة العربية .

أما السبب الجغرافي ، فيأتي من كونها واقعة على أطراف الجزيرة العربية وصحرائها الشاسعة المترامية الأطراف ؛ إذ يمكن القول إن الكوفة وما يحيط بها من صحراء إنما هو امتداد لجزيرة العرب ؛ وهذا ما يجعل بيئة الكوفة مشابهة تماماً لبيئة أرض الحجاز واليمن من حيث المناخ والأحوال الاجتماعية ، تلك البيئة التي تعتبر هي المصدر والأصل الثابت لبيئة ومناخ الكوفة[٩] من خلال ما سبق من التشخيص السببي ؛ يمكن القول إن موضع الكوفة يمتلك موقعاً استراتيجياً بالنسبة للدولة الإسلامية التي كانت تحيط بها أكبر إمبراطوريتين في منطقة ما سمي لاحقاً بالشرق الأوسط ، وهما الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية . وهذا يعني أن هذه المدينة كان لابد لها أن تنشأ ، أو أن تنشأ بعض المدن التي تقوم مقامها في ذلك العهد من عهود الدولة الإسلامية الفتية التي كان لزاماً عليها أن ترسخ أقدامها ويقوم كيانها في أرض الجزيرة وما جاورها من البلدان كالعراق والشام . ومن هذا المنطلق يمكننا تفسير نشوء عدة مدن كواسط والبصرة وبغداد في العراق الذي انضم إلى سلطان الدولة الإسلامية وصار من أكبر البلدان مساحة وزخماً من الناس آنذاك .

ثالثاً : مآ ثر الأقدمين في الكوفة

بعد أن استقر رأي سعد بن أبي وقاص والصحابة الذين معه في فتوح العراق على اختيار موضع الكوفة منطلقاً للجند ، حدد فيها مسجدها ودار الإمارة . وذكر ابن عباس رضي الله عنه قائلاً : ( كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى أخصاصاً ـ جمع خُـص ، وهو بيت بسيط من الخوص والقصب ـ إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها ، فإذا

عادوا بنوها ، فكانوا يغزون ونساؤهم معهم . فلما كان في أيام المغيرة بن شعبة بَنَتْ القبائل باللَّبِن من غير ارتفاع ، ولم يكن لهم غرف )[١٠] .. والذي يجب معرفته ، أن الكوفة وغيرها من المدن الإسلامية التي بنيت في عصر صدر الإسلام كالبصرة و واسط والقيروان والفسطاط كان تأسيسها آنذاك لم يتبع نظاماً هندسياً كالذي يتبع عند تأسيس وتخطيط المدن في عصرنا الحاضر، وإنما كان على نظام المخيمات التي نتجت من العرب ، كانوا يقيمونها بجوار موقع له أهمية حربية مثل قلعة أو مدينة حصينة ، وبعد استيلائهم على ذلك الموقع المهم كانوا يستبدلون الخيام بالبناء[١١] .

وحينما زار الرحالة الأندلسي ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ مدينة الكوفة في جولته حول العالم وصف هذه المدينة أدق وصف ، وذكر مافيها من مآثر ورموز عمرانية ، فقال عنها إنها مدينة كبيرة عتيقة البناء قد استولى الخراب على أكثرها ، فالغامر منها أكثر من العامر ، وبناؤها بالآجر خاصة ، ولا سور لها . وذكر عن جامعها العتيق أنه يقع في آخرها مما يلي شرقي البلد ، ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق ، وهو جامع كبير ، في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة ، وفي سائر الجوانب بلاطان ، وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ، وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد ؛ فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها ، فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفاً . ثم يستمر في وصفه للجامع ويتكلم عن المواضع الشريفة فيه ومنها مصلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقريب منه محراب محلق عليه أعواد من خشب الساج كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه ، وعند هذا الموضع ضربه ابن ملجم بالسيف ، والناس يصلون فيه باكين داعين . ثم في زاوية أخرى موضع مفار التنور لسيدنا نوح عليه السلام ، وفي ظهره يقع متعبد نبي الله إدريس عليه السلام ، ويوجد بين هذين الموضعين فضاء واصل لهما يقال إنه منشأ سفينة سيدنا نوح عليه السلام ، وفي آخر هذا الفضاء يوجد دار أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه ، وهو البيت الذي غسل فيه عند استشهاده ، ويتصل بهذا

البيت بيت آخر يقال إنه لابنة سيدنا نوح عليه السلام [١٢]. وكل هذه المقامات قال فيها ابن جبير: ( وهذه الآثار الكريمة تلقيناها من ألسنة أشياخ من أهل البلد فأثبتناه حسبما نقلوه إلينا ، والله أعلم بصحة ذلك)[١٣] . وقال ابن جبير إن في الكوفة يقع قبر مسلم بن عقيل رضي الله عنه ، وفي غربي المدينة على مقدار فرسخ منها ـ والفرسخ قريب من خمسة كيلومترات ونصف الكيلوـ يوجد المشهد الكبير الشأن لسيدنا الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ حيث بركت بجسده الطاهر ناقته التي حمل عليها ميتاً ومسجى ، ويقال إن قبره يقع في هذا المشهد[١٤] . أما الرحالة المغربي ابن بطوطة ، فيذكر لنا إن على مقربة من قبر مسلم بن عقيل رضي الله عنه يوجد قبر عاتكة وسكينة ابنتي الحسين عليهم السلام . أما قصر الإمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فلم يبق منه إلا أساسه[١٥] . وتجدر الإشارة إلى أن في ظاهر الكوفة وخارجها القريب منها كانت تقع منازل النعمان بن المنذر ملك العرب أيام الساسانيين ، وكذلك تقع الحيرة عاصمة دولة المناذرة ، وتقع أيضاً مدينة النجف الأشرف والقصور المشهورة بأسمائها وفخامتها ، وهي الخورنق والسدير والغَـريّان إضافة إلى بعض المنتزهات التي كان يرتادها الملوك والأمراء آنذاك[١٦] .

رابـعاً : الأقـوال التـي قيـلـت فـي الـكـوفــة

قال أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي عليه السلام في الكوفة : (الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء )[١٧] . وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ( أهل الكوفة أهل الله ، وهي قبة الإسلام يحن إليها كل مؤمن )[١٨] .

وحينما جدد عبيد الله بن زياد بناء مسجد الكوفة ، جمع الناس وصعد المنبر وخطب فيهم قائلاً : (يا أهل الكوفة ، قد بنيت لكم مسجداً لم يُبْنَ على وجه الأرض مثله ، وقد أنفقت على كل أسطوانة سبع عشرة مئة ، ولا يهدمه إلا باغ أو جاحد )[١٩] .

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله : (خذوا المناسك عن أهل مكة ، وخذوا القراءة عن أهل المدينة ، وخذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة)[٢٠] .

الفصل الثاني

ثبت العلماء الكوفيين المغتربين الذين خلدهم التاريخ

١ ـ إبراهيم بن الجراح بن صُبَيْح التميمي المازني الكوفي ، الفقيه الحنفي المحدّث . أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف ، وهو آخر من روى عنه . نزح من العراق إلى مصر ونزل بها وعاش فيها ، وتولى القضاء هناك فكان يحدث ويفتي الناس ، وألف كتاب الأمالي في الفقه ، كتبه عنه علي بن الجعد سنة ٢٠٥ هـ ، ثم عزل عن القضاء سنة ٢١١هـ[٢١].

٢ ـ إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو علي العدوي الزيدي الكوفي . هاجرمن العراق إلى دمشق الشام هو وأولاده عمر وعمار ومعد وعدنان وسكن بها مدة من الزمن فكان نسل السادة الأشراف هناك منه ومن أولاده . وكان يقول الشعر الذي رواه عنه ولده أبو البركات الشريف عمر ومنه قوله :

لما أرقت بجلق واقض فيها مضجعي
نادمت بدر سمائها بنواظر لم تهجع
وسألته بتوجع وتخضع وتفجع
صف للأحبة ما ترى من فعل بينهم معي
واقرا السلام على الحبيـ ـب ومن بتلك الأربع

وكانت وفاة هذا العلم سنة ٤٦٦هـ[٢٢] .

٣ ـ أحمد بن جُبَير بن محمد بن جعفر بن أحمد بن جبير ، أبو جعفر ، وقيل : أبو بكر الكوفي . رحل من العراق ونزل إنطاكية في بلاد الشام فنسب إليها . وهو من أئمة القراءات القرآنية . سافر إلى الحجاز ومصر والشام وأخذ القراءات عن الكسائي وأبي بكر شعبة بن عياش راوية عاصم بن أبي النجود الكوفي . قال عنه الداني إنه إمام جليل ثقة ضابط في قراءته . وأخذ عنه القراءة الكثير من علماء القراءات في بلاد الشام وغيرها . توفي سنة ٢٥٨ هـ يوم التروية ودفن يوم عرفة بعد الظهر بباب الجنان[٢٣] .

٤ ـ أحمد بن علي بن أحمد فخر الدين الهمداني الكوفي ، الحنفي المذهب المعروف بابن الفصيح . ولد بالكوفة سنة ٦٨٠هـ ، وتلا بالروايات الإقرائية على صالح بن عبد

الله ابن الصباغ وغيره فصار مقرئاً كاملاً متصدراً ناقلاً لما قرأ. وكان إماماً علامة معظماً بين جماعته . مارس تدريس الفقه والحديث في مشهد أبي حنيفة ببغداد . وله مصنفات فقهية في المذهب الحنفي . وكان ينظم الشعر، فنظم شعراً كتاب النافع في الفروع الفقهية لأبي القاسم محمد بن يوسف بن محمد السمرقندي ، وله شعر جيد منه:

لي بالحمى بدر سما على البدور الطلع
فاق الملاح من العدى بنور حسن مبدع
ولست في عشقي لمن ذكرته بمدع
مسكنه نواظري وخاطري ومسمعي
قد طاب ذلي في الهوى لعزه المنع
في حب من مقامه في منصب مرتفع

رحل من العراق ونزل دمشق الشام ، وتولى تدريس القراءات في مدرسة القصاعين ، ونظم قصيدة في القراءات السبع سماها (حل الرموز) صرح فيها بأسماء القراء . مات بدمشق في شهر شعبان سنة٧٥٥ هـ [٢٤] .

٥ ـ أحمد بن علي بن الحسين بن زيد أبو الحسين بن أبي الحسن المعروف بابن الكوفي العطار . ولد سنة ٤٧٩هـ بمدينة الكوفة . محدث أخذ الحديث عن أبي البركات بن طاووس وسمع منه أبو سعد بن السمعاني . رحل من العراق إلى دمشق الشام وتولى تدريس الحديث فيها ومات هناك سنة ٥٣٧هـ ، ودفن في مقبرة باب الفراديس[٢٥]

٦ ـ أحمد بن محمد بن الصلت بن المغلس أبو العباس الحماني ، ويقال : أحمد بن الصلت ، ويقال أيضاً : أحمد بن عطية ابن أخي جبارة بن المغلس البغدادي ، وأصله من الكوفة وهو الذي روى الحديث النبوي الشريف : ( الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ) . ت ٣٠٢ هـ أو ٣٠٨ هـ [٢٦] .

٧ ـ أحمد بن يحيى بن أحمد بن زيد بن ناقد الكوفي ، فقيه و نحوي ولد بمدينة الكوفة سنة ٤٧٧هـ ، ورحل منها إلى مدينة بغداد . أخذ عنه الشيوخ في بغداد علم الفقه وعلم النحو وألف في النحو كتاب المسائل الكوفية للمتأدبة الكرخية ضم ألغازاً في النحو وحلولها . توفي سنة ٥٥٩هـ[٢٧] .

٨ ـ أسد بن عمرو بن عامر بن عبد الله بن عمرو بن عامر بن أسلم بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك غانم بن نذير بن قيس بن عبقر بن أنمار بن أداش بن عمرو بن نبت بن زيد بن كهلان أبو المنذر ، وقيل : أبو عمرو القشيري البجلي ، الكوفي ، الفقيه الحنفي والمحدث . تفقه على أبي حنيفة ، وأخذ عنه الفقه أحمد بن حنبل . وهو أول من كتب كتب أبي حنيفة ونشرها بين الناس . كان ثقة في ما يحدث ويروي من الأحاديث . رحل من الكوفة إلى مدينة واسط وتولى فيها القضاء ثم رحل إلى بغداد وتولى فيها أيضاً القضاء بعد أبي يوسف في زمن هارون الرشيد توفي سنة ١٨٨ هـ ، وعند ابن سعد وفاته في سنة ١٩٠هـ [٢٨] .

٩ ـ إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي ، أبو يوسف الكوفي . فقيه حنفي ومحدث هو وأبوه وأخوه عيسى . رحل إلى بغداد وأخذ الفقه والحديث عن أبي حنيفة ، وروى عنه وكيع الجراح وغيره ، ووثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وروى له البخاري ومسلم في صحيحيهما . كانت ولادته بمدينة الكوفة سنة ١٠٠هـ ووفاته ببغداد سنة ١٦٠هـ وقيل ١٦١هـ [٢٩] .

١٠ ـ إسماعيل بن النسفي الكندي الكوفي ابو الفضل وأبو عبد الرحمن . محدث وفقيه حنفي وقاض عادل بين الناس . ولد بمدينة الكوفة ورحل إلى مصر، وتولى القضاء فيها . وهو أول قاض تولى القضاء بمصر على مذهب أبي حنيفة ، ولم يكن أهل مصر يعرفون مذهب أبي حنيفة قبله ، وذلك في زمن خلافة المهدي العباسي سنة ١٦٤هـ فكان من خير القضاة فيها . ولم تعرف سنة وفاته [٣٠] .

١١ ـ الحسن بن إبراهيم بن الجراح المازني التميمي الكوفي قدم مع أبيه ابراهيم بن الجراح إلى مصر وسمع الحديث والفقه وتوفي فيها سنة ٢٨٥هـ [٣١]

١٢ ـ الحسن بن علي بن أبي السعود الكوفي . فقيه حنفي ومقرىء متصدر ومحدث وشاعر ولد في الكوفة سنة ٥٧٥هـ ، ونزل البلاد المصرية وأقرأ فيها ، وروى الحديث وأخذ الناس عنه الفقه والحديث والقراءات . توفي بدار الحديث في القاهرة سنة ٦٣٩ هـ [٣٢].

١٣ ـ الحسين بن فضل بن عمير البَجَلي الكوفي ثم النيسابوري ، أبو علي المفسر الأديب وإمام عصره في معاني القرآن . كان من العلماء العابدين ، يركع كل يوم وليلة ستمئة ركعة . ولد بالكوفة ونزح إلى نيسابور وأقام بها يعلم الناس الفقه والتفسير والقراءات ويحدثهم الحديث النبوي من سنة ٢١٠ هـ إلى سنة وفاته بنيسابور سنة ٢٨٢هـ ، وقبره هناك مشهور يزار من الناس(٣٣) .

١٤ ـ الحسين بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن أبي عابد أبو القاسم الكوفي . ولد في الكوفة سنة ٣٢٧هـ ونزح إلى بغداد وفيها درس الفقه الحنفي وصار من كباره . كان ثقة جيد الحديث زاهداً عفيفاً حافظاً للقرآن عارفاً بالفرائض . أخذ عنه أهل بغداد الفقه الحنفي والحديث وكان قد ولي قضاء الكوفة قبل نزوحه إلى بغداد . توفي ببغداد سنة ٣٩٥ هـ (٣٤) .

١٥ ـ حفص بن عبد الله بن غنام بن حفص بن غياث بن طلق الأبو الحسن الكوفي . المحدث ببغداد(٣٥)

١٦ ـ حماد بن مسلم أبو إسماعيل بن أبي سليمان الكوفي . فقيه حنفي ومحدث . سمع الحديث من أنس بن مالك . رحل إلى بغداد وأخذ الفقه عن أبي حنيفة وإبراهيم النخعي ، وروى عنه الحديث أبو حنيفة وغيره . وكان له لسان سؤول وقلب عقول ، وقد وثقه الذهبي في ما يرويه . ومن كرمه ، أنه كان كل يوم من شهر رمضان يفطر خمسين صائماً ، فإذا كان يوم عيد الفطر كسى كل واحد منهم ثوباً ووهبه مئة دينار او مئة درهم . ومن عفته ومروءته ، ما رواه عنه ابن السماك إذ قال : لما قدم ابن زياد إلى الكوفة ليتولى الصدقات فيها ، جاء رجل إلى حماد وطلب منه أن يكلم زياداً ليمنحه ما يريد ، فسأل حماد هذا الرجل : ترى كم تتوقع أن يعطيك ابن زياد ؟ فأجاب الرجل: ألف درهم ، فقال له حماد : لقد وهبتك خمسة آلاف درهم ولا أبذل وجهي لابن زياد ، فقال الرجل : جزاك الله خيراً . كانت وفاته ببغداد سنة ١٢٠هـ (٣٦) .

١٧ ـ رجاء بن عيسى بن رجاء بن حاتم أبو المستنير الجوهري الكوفي . اخذ القراءات عن عبد الرحمن بن قلوقا ويحيى بن علي الخراز وغيرهما وقرا عليه القاسم بن نصر

وسليمان بن يحيى بن الوليد الضبي . نزل في بغداد فكان مقرئاً متصدراً ، وأخذ الناس عنه القراءات ، و مات بها سنة ٢٣١هـ [٣٧] .

١٨ ـ زائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي . محدث فقيه حنفي روى عنه الحديث عبد الله بن المبارك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم ، وأورد البخاري ومسلم أحاديثه في صحيحهما . هاجر إلى بلاد الروم ومات هناك سنة ١٦٠هـ [٣٨] .

١٩ ـ زيد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمران بن أبي بلال ، أبو القاسم العجلي الكوفي . إمام حاذق بالقراءات ، قرأ على أحمد بن فرح ومحمد بن أحمد الداجوني وأبي بكر ابن مجاهد أحمد بن موسى المخزومي وغيرهم . وقرأ عليه القراءات بكر بن شاذان ومحمد بن الفحام وعبد الملك بن بكران النهرواني وهبة الله بن سلامة المفسر الضرير وغيرهم . نزح إلى بغداد وعاش فيها مقرئاً متصدراً لحين وفاته سنة ٣٥٨ هـ [٣٩] .

٢٠ ـ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ، الإمام الكبير وأحد أعلام الفقهاء الزهاد . ولد في الكوفة سنة ٩٧هـ وروى القراءات عن حمزة بن حبيب الزيات الكوفي وعاصم بن أبي النجود الكوفي والأعمش سليمان بن مهران الكوفي وروى عنه القراءات عبيد الله بن موسى . رحل إلى البصرة ، وعاش بها مقرئاً متصدراً ، وتوفي فيها سنة ١٦١ هـ [٤٠] .

٢١ ـ الصباح بن محارب التميمي الكوفي إمام صدوق في ما يرويه . أخذ القراءات عن حمزة الزيات وكان من المكثرين في الأخذ عنه . روى عنه القراءات محمد بن عيسى الأصبهاني ونوح بن أنس المقرىء . نزح إلى بلاد الري وسمع الناس منه القراءات وعاش هناك ولم تعرف سنة وفاته [٤١] .

٢٢ ـ عائذ بن أبي عائذ أبو بشر البغدادي الكوفي . مقرىء متصدر أخذ القراءات عن حمزة الزيات ، وقرأ عليه خلف بن هشام البزار من القراء العشرة . نزح إلى بغداد وأخذ عنه الناس القراءات فيها، وقد أثبت نسبته البغدادية الحافظ أبو الحسن الدارقطني فقال : (عائذ بن أبي عائذ ، شيخ من أهل بغداد ، قرأ على حمزة الزيات القرآن ، وكان يقرىء ببغداد في طاق الحمراني ) . ولم تعرف سنة وفاته [٤٢] .

٢٣ ـ عبد الرحمن بن مسهر أبو الهيثم الكوفي . من أصحاب القاضي أبي يوسف في الفقه الحنفي . نزح من الكوفة ليتولى قضاء ناحية جَبُّل الواقعة بين النعمانية ومدينة واسط جنوب العراق . وأفتى وحدث هناك ، وكانت به دعابة مشهودة أمام الخليفة هارون الرشيد والقاضي أبي يوسف ، ولم تعرف سنة وفاته[٤٣] .

٢٤ ـ علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي ، الفارسي الأصل في سواد العراق ، الكوفي النشأة المشهور بأبي الحسن الكسائي ؛ وسئل عن سبب نسبته بالكسائي فقال : لأني أحرمت في كساء ، وقيل لأنه كان يتشح بكساء ويجلس في حلقة حمزة الزيات فيقول حمزة لمن يسأله عن القراءة : أعرضوا على صاحب الكساء . كان الكسائي رأس المدرسة الكوفية في النحو واللغة وأحد ائمة القراءات السبع ثم العشر وهو الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات . روى القراءات عن أبي بكر شعبة بن عياش ، وأخذ عنه القراءات حفص بن عمر الدوري وزكريا بن وردان وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من الناس كثير . رحل الكسائي إلى البصرة وأخذ اللغة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ثم رحل إلى دمشق وأقرأ الناس فيها ، وقال : بينما كنت أقرىء الناس في مسجد دمشق ، إذ أخذتني إغفاءة في المحراب ، فرأيت النبي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم داخلاً من باب المسجد ، فقام إليه رجل فقال : بحرف من نقرأ ؟ ، فأومأ صلى الله عليه وسلم إلي . عاد من دمشق ليقيم في بغداد ويأخذ الناس عنه علوم العربية

والقراءات . قال في الشافعي : ( من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي ) . وكان الكسائي في تلقيه اللغة قد خرج إلى البدو في البوادي ، فشاهد العرب وسمعهم وأقام عندهم ردحاً من الزمن حتى صار واحداً منهم وهو يحفظ ويسجل اللغة عنهم ، ثم عاد إلى الحضر ليكون وعاء للغة العربية . قال فيه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه القراءات : (كان الكسائي يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً ، وكان من أهل القراءة ، وهي كانت علمه وصناعته ، ولم يجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه ) . وقال فيه أبو بكر ابن مجاهد : ( كان إمام الناس في القراءة في عصره ، وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم ) . وقال فيه أبو بكر الأنباري : (اجتمعت

في الكسائي أمور : كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب ، وكان أوحد الناس في القرآن) . ترك الكسائي العديد من المصنفات ، أشهرها : معاني القرآن ، وكتاب القراءات ، وكتاب النوادر الكبير ، وكتاب النوادر الأوسط ، وكتاب النوادر الصغير وغيرها . وحينما خرج الخليفة العباسي هارون الرشيد في إحدى غزواته لبلاد الروم ، كان الكسائي والفقيه الحنفي محمد بن الحسن الشيباني يرافقانه في غزوته سنة ١٨٩هـ ، وعند وصولهم قرية رنبويه من بلاد الري متجهين إلى خراسان وافت المنية كلاً من الكسائي والشيباني ، فدفنهما الرشيد هناك وقال قولته المشهورة : ( دفنا الفقه والنحو بالري) ، وقد رثاهما أبو محمد بن المبارك اليزيدي بقصيدة شعرية مطلعها :

تصرمت الدنيا فليس خلود وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرىء كأس من الموت مترع وما إن لنا إلا عليه ورود
سنفنى كما تفنى القرون التي خلت فكن مستعداً فالفناء عتيد

روى عنه الحديث عبد الله بن المبارك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم واورد البخاري ومسلم احاديثه في صحيحهما

وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا بإيضاحه يوما وأنت فقيد
وأقلقني موت الكسائي بعده وكادت بي الأرض الفضاء تميد
وأذهلني عن كل عيش ولذة وأرق عيني والعيون هجود
هما عالمان أوديا وتخرما فما لهما في العالمين نديد[٤٤]

٢٥ ـ علي بن ظبيان أبو الحسن العبسي الكوفي . محدث فقيه حنفي بدرجة أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني . وهو أحد الرجال الاثني عشر الذين أشار إليهم الإمام أبو حنيفة في صلاحهم للقضاء . نزح إلى مدينة قرميسين وهي بلدة قرب الدينور بينها وبين همذان ثلاثون فرسخاً ـ الفرسخ ما يساوي خمسة كيلومترات تقريباً ـ في بلاد إيران وتولى فيها القضاء فكان يفتي ويعطي الفقه هناك . روى عنه الشافعي ويحيى بن معين ، وروى له ابن ماجة في سننه ، ومات بقرميسين سنة ١٩٢هـ[٤٥] .

٢٦ ـ علي بن مسهر أبو الحسن القرشي الكوفي . محدث فقيه حنفي ، وثقه يحيى بن معين ، وأثنى عليه الإمام أحمد بن حنبل . وقد جمع بين الفقه والحديث وساهم في نشر فقه أبي حنيفة بين الناس نزح إلى مدينة الموصل وتولى فيها القضاء . كانت وفاته سنة ١٨٩ هـ [٤٦] .

٢٧ ـ علي بن يزيد بن كيسة أبو الحسن الكوفي . مقرىء قرأ القراءات على سليم ، وقرأ عليه يونس بن عبد الأعلى وداود بن أبي طيبة وعبد الصمد بن عبد الرحمن . فارق العراق ونزل الديار المصرية مصر وتصدر فيها للإقراء ، ومات هناك سنة ٢٠٢هـ [٤٧] .

٢٨ ـ علي بن يزيد الصُّدَائي أبو الحسن الكوفي . أصله من الكوفة ونزح إلى بغداد ليدرس الفقه الحنفي فصار محدث بغداد وفقيهها وكان من المحدثين روى الحديث والفقه عن أبي حنيفة ، وأخذ عنه العلم أحمد بن حنبل ، وهو راوي الحديث : (من صام يوماً من رجب كتب له صوم ألف سنة ) الذي قال عنه الذهبي إنه حديث باطل[٤٨] .

٢٩ ـ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق أبو عمرو السبيعي الكوفي . من عائلة علمية إذ كان أبوه وأخوه إسرائيل من فقهاء الحنفية . نزح من الكوفة إلى بغداد في طلب العلم . سمع الحديث من الأعمش ومالك بن أنس ، وأخذ منه الحديث الخليفتان العباسيان المأمون والأمين ، وروى له البخاري ومسلم في صحيحيهما . كان محدث بغداد وفقيهها المفتي على المذهب الحنفي . غزا خمسا وأربعين غزوة ، وحج خمساً وأربعين حجة وتوفي سنة ١٨٧ هـ[٤٩] .

٣٠ ـ محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن يحيى بن خالد ، أبو عبد الله الجعفي الكوفي القاضي الفقيه الحنفي النحوي المقرىء الثقة المعروف بالهرواني . سكن في بغداد لتلقي العلوم . أخذ القراءة عن محمد بن الحسن بن يونس النحوي وحماد بن أحمد الكوفي ، وأخذ عنه القراءات أبو علي غلام الهراس ومحمد بن علي بن الحسن العلوي وغيرهم . قال فيه الخطيب البغدادي : ( كان ثقة ، حدث ببغداد ، وكان من عاصره بالكوفة يقول لم يكن بالكوفة من زمن ابن مسعود وإلى وقته أحد أفقه منه) . وقال العتيقي عنه : ( ما رأيت بالكوفة مثله ) . وقال أبو علي المالكي : ( كان من جلة أصحاب الحديث ، فقيهاً على مذهب العراقيين ، جليل القدر) . وقال فيه أبو العز: (كان الجعفي

جليلاً في زمانه ، يرحل إليه في طلب القرآن والحديث من كل بلد) . مات ببغداد في شهر رجب من سنة ٤٠٢هـ[٥٠] .

٣١ ـ محمد بن مسروق بن معدان بن المَرْزُبان أبو عبد الرحمن الكندي الكوفي . فقيه حنفي محدث . تحمل بعلوم الحديث والفقه في العراق وهاجر إلى مصر وتولى القضاء فيها سنة ١٧٧هـ ، وعزل عنه سنة ١٨٥هـ . وهو أول من اتخذ القمطر التي تحفظ فيها كتب ومراسيم الأقضية التي يقضي بها بين الناس ، وكانت قبله تحفظ في منديل خاص بها . وكذلك كان أول من أدخل النصارى في الجوامع للبت في أقضيتهم[٥١] .

٣٢ ـ محمد بن مسلم بن نبهان نظام الدين التميمي الكوفي. مقرىء كامل وأستاذ عاقل، قرأ بالروايات الإقرائية على أبي العز مشرف الخالصي وعبد الوهاب بن برغش . رحل إلى الديار المصرية وفيها أقرأ الناس القرآن ، وقرأ عليه هناك الشيخ علي بن موسى الدهان والكمال المحلي ، ولم تعرف سنة وفاته[٥٢] .

٣٣ ـ محمد بن يزيد بن رفاعة بن سماعة الكوفي . مقرىء ومحدث ، أخذ القراءات عن سليم وأبي بكر شعبة بن عياش ، ورواها عن الأعشى ويحيى بن آدم والكسائي وغيرهم ، وألف كتاب الجامع في القراءات . وكان محدثاً ثقة في ما يرويه ، وروى له مسلم في صحيحه والترمذي وابن ماجة في سننهما وابن خزيمة في مسنده. نزل بغداد وصار قاضيها ، فكان إماماً مشهوراً وقاضياً مرموقاً فيها إلى حين وفاته في شهر شعبان من سنة ٢٤٨هـ [٥٣] .

٣٤ ـ المفضل بن سلمة بن عاصم أبو طالب النحوي اللغوي الكوفي . نحوي ولغوي ومفسر مشهور.أخذ العلوم عن أبيه وعن ابن السكيت وثعلب وغيرهم .نزل بغداد وانقطع إلى الفتح بن خاقان ولازمه في مجالسه .وكان مليح الخط فاضلاً في
أخلاقه وسلوكه . ألف الكثير من المصنفات ومنها : ضياء القلوب وهو كتاب في معاني القرآن حجمه أكثر من عشرين جزءاً ، وكتاب البارع في اللغة ، والمدخل إلى علم النحو ، والاستدراك على العين ، وخلق الإنسان ، والخط والقلم وغيرها[٥٤] .

٣٥ ـ المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الكوفي أبو محمد الضبي . إمام مقرىء متصدر وأخباري موثق ومن اللغويين العلماء في اللغة والنحو وأشعار العرب . أخذ القراءة

عن عاصم بن أبي النجود الكوفي والأعمش . وروى عنه القراءات علي بن حمزة الكسائي وسعيد بن أوس صاحب النوادر وأبو الحسن المدائني . رحل الضبي إلى بغداد فأقرأ فيها القراءات ، وكان قريباً من الخليفة هارون الرشيد . قال الخطيب البغدادي فيه : ( كان علامة أخبارياً موثقاً ) . وهو الذي سأله الخليفة العباسي هارون الرشيد : يا أبا محمد ، كم من اسم في قوله تعالى : { فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله } ؟ ، فقال : ثلاثة أسماء ، الياء اسم الله تعالى ، والكاف اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والهاء والميم اسم الكفار(٥٥) .

٣٦ ـ هارون بن عيسى بن ميمون أبو موسى الكوفي . فقيه حنفي محدث . نزح من العراق ونزل بمصر وحدث بها ، وأخذوا عنه الفقه الحنفي في المسجد الجامع حيث كانت له حلقة علمية هناك ت ٢٤٨ هـ(٥٦) .

٣٧ ـ الهيثم بن جَمّاز الكوفي البكاء . كان شديد الخوف من الله تعالى وكثير البكاء ؛ لذلك لقبوه بالبكاء . وهو محدث وفقيه حنفي ، ترك الكوفة ونزل مدينة البصرة وتولى القضاء فيها . وهوالذي روى الحديث : ( يؤتى بعمل المؤمن يوم القيامة فيوضع في كفة الميزان فلا يرجح حتى يؤتى بصحيفة مختومة من عند الرحمن فتوضع في الكفة وهي لا إله إلا الله ) . ولم تعرف سنة وفاته(٥٧) .

٣٨ ـ يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي الكوفي المشهور بالفراء . مقرىء ونحوي ومفسر وأديب . كان إمام العربية والنحو الكوفي بعد الكسائي وعنه أخذ علوم العربية وعن يونس بن حبيب . نزح إلى بغداد وأقام بها ، وأخذ عنه الشيوخ علوم اللغة والنحو. وكان في آخر كل سنة يزور الكوفة ويوزع على أهله وأقاربه ما جمعه من مال وهبات ، ثم يعود إلى المقام ببغداد إلى حين وفاته سنة ٢٠٧ هـ ؛ حيث رزقه الله تعالى أداء فريضة الحج ، وفي طريق الحج توفي عن سبع وستين
سنة . له من التصانيف : معاني القرآن ، واللغات ، وغريب الحديث ، والمقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث ، والكافي في النحو وغير ذلك(٥٨) .

٣٩ ـ يوسف بن موسى بن راشد بن بلال ، أبو يعقوب القطان الكوفي . محدث ومفسر سمع وكيعاً وأحمد بن يونس وغيرهما . وهو من الطبقة العاشرة في المفسرين . روى

عنه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة . غادر الكوفة وإلى بغداد وأقام بها مدة يحدث ويقرىء القرآن ثم غادر العراق إلى بلاد الري لنشر العلم فيها ، وله كتاب في تفسير القران ، وكان صدوقاً فاضلاً بين الناس توفي سنة ٢٥٢هـ[٥٩] .

٤٠ ـ يونس ابن أبي اسحاق عمرو عبد الله السبيعي أبو إسرائيل الكوفي . يعد هو وأولاده من فقهاء الحنفية ومحدثيهم . روى الحديث عن أنس بن مالك والشعبي وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن الحسن الشيباني ، ووثقه يحيى بن معين ، توفي سنة ١٥٩هـ[٦٠] .

خاتمة البحث

في نهاية بحثي الموسوم بـ : (أعلام كوفيون مغتربون خلدهم التأريخ ) ، توصلت إلى عدة نتائج أجمل بعضها بالآتي :

١)إن مدينة الكوفة ساهمت مساهمة فعالة في بناء الحضارة الإنسانية من خلال ما أثمرته من الرجال العلماء وأساطين المعرفة ، وهذه حقيقة أثبتها لهذه المدينة العريقة الشماء بعد طول كد وبحث في مآثر رجالاتها وأعلامها .

٢)يمكنني القول وبلا تردد إن علماء هذه المدينة الإسلامية العربية الموغلة في القدم هم الأصل والأساس لكل علماء اللغة والنحو والقراءات والفقه والتفسير والحديث وذلك بعد علماء البصرة التي تقدمتها في النشأة والتأسيس . وقد وجدت مصداق كلامي هذا بعد طول بحث في المصادر التأريخية عن العلماء في بلاد الأندلس وبلاد الشام والبلاد المصرية وغيرها من بلاد المشرق .

٣)تعد مدينة الكوفة كنانة العلماء الذين انساحوا إلى بلدان المغرب الإسلامي والعربي وبلاد الأندلس والبلدان الشرقية مثل إيران وبلاد الري وخوارزم وسمرقند والروس وغيرها . والدليل على صحة ما أقول ؛ أن أكثر علمائها بعد هجرتهم إلى تلك البلدان تزوجوا هناك وأنجبوا الذريات العلمية التي حفظت لهم ذكراهم وذكرى هذه المدينة الخالدة وإلى حد الآن .

أما أهم المقترحات التي أراها ضرورية وعلى أهل الكوفة وغيرهم من إخواني الباحثين والدارسين الكوفيين خاصة والعراقيين عامة القيام بها فأوضحه بالآتي:

١)يجب على المراكز العلمية وأولها المؤسسات التعليمية أن تقوم بالتوعية الفاعلة الواسعة لبيان تأريخ هذه المدينة ، ويقع العبء الأكبر في هذا على المؤسسات العلمية الحالية كالجامعة والمدارس بكل مراحلها والدوائر الإعلامية والثقافية .

٢)باعتبار جامعة الكوفة هي الصرح الحضاري الذي تشرئب إليه الأعناق وتهفوا القلوب إليه ؛ عليها أن تقوم بكتابة موسوعة كبيرة عن هذه المدينة ورجالاتها وأعلامها الذين حملوا رايات العلوم والمعارف المتنوعة إلى أنحاء العالم والذين أثروا الحضارة الإنسانية ، وكذلك بقادتها الذين حملوا راية الإسلام إلى أرجاء المعمورة ، وإبراز مآثر هؤلاء وأولئك على السواء في الغرب والشرق كي يعرف القاصي والداني فضل هذه المدينة الشامخة .

٣)على جامعة الكوفة أن تشكل لجنة من الأساتذة الأكاديميين العراقيين المهتمين بالتراث ليقوموا بالإشراف على هذه الموسوعة الضخمة الكبيرة . وعلى الجامعة أن تنسق الاتصالات بين هذه اللجنة أولاً وبين المساهمين الذين ترتئيهم اللجنة نفسها للقيام بمشروع هذه الموسوعة التأريخية العلمية عن هذه المدينة الخالدة .

الملخص :

تُـعَدُّ مدينة الكوفة من المدن التي ساهمت في رِفد الحضارة الإنسانية بالعلوم والمعارف عن طريق علمائها منذ القرن الأول الهجري وما بعده . وقد اغترب عنها الكثيرُ من هؤلاء العلماء وانتشروا في أرجاء المعمورة . وبسبب المآثر العلمية والإنسانية التي تركوها ؛ فقد خَـلَّـدهم التأريخ وترجمت حياتَهم الأسفارُ التأريخية . وبحثي هذا يدور في هذا الجانب ؛ إذ تألف من : مقدمة وقسمين مع خاتمة . فالقسمُ الأول خصَّصتُـه للكلام عن بوادر نشأة مدينة الكوفة وأسبابها وبيان المساهمين في ذلك . والقسم الثاني جعلته ثَـبْـتاً بأسماء أعلامها الذين غادروها لأسباب مختلفة فلم تؤثر غربتهم فيهم إلا تأثيراً إيجابياً ، فأبدعوا في مجالات الحضارة الإنسانية بما جعل المؤرخين يخلدونهم في أسفارهم وكتبهم التأريخية المختلفة . ومن الجدير بالذكر، إن العدد الذي حصلت عليه من هؤلاء الأعلام الكوفيين يشكل كتاباً ضخمَ الحجم ، لكني اقتصرت في بحثي الآنيِّ هذا على تراجم بعضهم ، والأمل الكبير يَحْدُوني في طبعه كتاباً كاملاً في قابل الأيام إن شاء الله ؛

لأساهم به في موسوعة علمية عن هذه المدينة العريقة ؛ فيما إذا انتهضت المؤسساتُ العلمية فيها لكتابة مثل هذه الموسوعة الكبيرة . وقد ذَيَّلتُ البحث بخاتمة بينتُ فيها النتائج مع المقترحات التي أراها مفيدة بهذا الصدد . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هوامش البحث

(١) ينظر : الصحاح ٤/ ١٤٢٥(كوف) ، ولسان العرب ٣١١/٩ ( كوف ) ، ومعجم البلدان ٤/ ٤٩٠.

(٢) ينظر : تاج العروس ٢٤/ ٣٤٠ ، ٣٤٦ ، و لسان العرب ٩/ ٣١١ .

(٣) ينظر : معجم البلدان ٤/ ٤٩٠ ، وتاج العروس ٣٤٠/٢٤ .

(٤) ينظر : العباب الزاخر ( حرف الفاء )/ ص ٥٥٤ ، التاج ٣٤١/٢٤

(٥) ينظر : تاج العروس ٣٤١/٢٤ .

(٦) ينظر : معجم البلدان ٤/ ٤٩١ ، و معجم ما استعجم ١١٤٢/٤ ، و تاج العروس ٣٤٠/٢٤ ، ٣٤١ .

(٧) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ١١٨٧/٣ ، وينظر : معجم ما استعجم ١١٤٢/٤ .

(٨) ينظر : معجم البلدان٤٩١/٤ .

(٩) ينظر : فتوح البلدان /٢٧٥ ، والكامل في التأريخ ٤١١/٢ .

(١٠) معجم البلدان ٤٩١/٤ .

(١١) ينظر : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها / ٢٦

(١٢) ينظر : رحلة ابن جبير/١٥٣ ، ١٥٤ ، ورحلة ابن بطوطة / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١٣) رحلة ابن جبير /١٥٤ .

(١٤) ينظر : المصدر السابق نفسه .

(١٥) ينظر : رحلة ابن بطوطة /١٤٧ .

(١٦) ينظر : معجم البلدان ٤٩٣/٤ .

(١٧) معجم البلدان ٤٩٢/٤ .

(١٨) المصدر السابق نفسه .

(١٩) المصدر السابق نفسه .

(٢٠) المصدر السابق نفسه .

(٢١) ينظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية ١/ ٧٥ ، و فتوح مصر وأخبارها / ٢٤٦ ، و الولاة والقضاة / ٤٢٧ ، و طبقات الفقهاء للشيرازي ١٣٩ ، و رفع الإصر عن قضاة مصر ١/ ٢٤ ، و الطبقات السنية في تراجم الحنفية / رقم ترجمته ٢٩ ، و طبقات الفقهاء لطاش كبرى زاده / ٣٣.

(٢٢) تأريخ دمشق ٧/ ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٢٣) غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٤٢ .

(٢٤) تأريخ دمشق ١/ ٨٤ ، و الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢٠٣/١ ذيول العبر للحسيني / ٢٩٩ ، و الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢١٧/١ ، و غاية النهاية في طبقات القراء ٨٤/١ ، و المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ٣٧٢/١ و النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٩٧/١٠ ، و تاج التراجم / ١٣ ،

و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٣٣٩/١ ، و الدارس في تأريخ المدارس ١/ ٥٢٥ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٢٤٨ ، و كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/ ٦٤٩ ، ٢/ ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٥١٦ ، ١٨٢٥ ، و الفوائد البهية في تراجم الحنفية / ٢٦ ، و الدليل الشافي على المنهل الصافي / رقم ترجمته /٦٠ .

(٢٥) تأريخ دمشق ٥/ ٥٥ .

(٢٦) تأريخ دمشق ٥/ ٣٧٣ ، و تاريخ بغداد ٤/ ٢٠٧ ، ٥/ ٣٣ ، ١٠٤ .

(٢٧) الجواهر المضية ١/ ٣٤٨ ، و الوافي بالوفيات ٢٣١/٨ ، و بغية الوعاة ٣٩٥/١ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٤١٣ ، و كشف الظنون ١٦٧٠/٢.

(٢٨) الجواهر المضية ١/ ٣٧٦ ، و تأريخ خليفة بن خياط ٧٣٧/٢ ، و تأريخ البخاري ج١ / القسم ثاني / ٤٩ ، و الضعفاء الصغير للبخاري ٢١ ، و الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج١ / القسم الأول /٣٣٧ ، و الضعفاء والمتروكين للنسائي /٢٠ ، و تأريخ بغداد ١٦/٧ ، و ميزان الاعتدال ١/ ٢٠٦ ، و العبرفي خبر من غبر ٣٠٥/١ ، و الوافي بالوفيات ٦/٩ ، و مناقب الإمام الأعظم للكردري ٢١٧/٢٢٢ ، و تاج التراجم ١٧ ، و ذيل الجواهر المضية للقاري / ٥٤٤ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٤٦٥ ، و الفوائد البهية / ٤٤ .

(٢٩) الجواهر المضية ٣٧٩/١ ، و طبقات ابن سعد ٢٦٠/٦ ، و تأريخ خليفة بن خياط ٣٩٤/١ ، ٦٨٦/٢ ، و طبقات خليفة بن خياط ٤٦٨/٢ ، و تأريخ البخاري ج١ / القسم الثاني/ ٥٦ ، و الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج١ / القسم الأول / ٣٣٠ ، و تأريخ بغداد ٢٠/٧ ، والجمع بين رجال الصحيحين ٤٢/١ ، و اللباب ٥٣١/١ ، و الكامل في التأريخ ٥٠/٦ ، و تذكرة الحفاظ٢١٤/١ ، و الوافي بالوفيات ١١/٩ ، و تهذيب التهذيب ٢٦١/١ ، و طبقات الحفاظ ٩٠ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣١ ، و الطبقات السنية برقم ٤٦٦.

(٣٠) الجواهر المضية ١/ ٤٣٨ ، و الولاة والقضاة للكندي ٦٠ ، و رفع الإصر ١/ ١٢٦ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٥٣٢ ، وورد اسمه في غير الجواهر المضية : إسماعيل بن اليسع بن الربيع .

(٣١) الجواهر المضية ٢/ ٣٨ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٦٤٦ .

(٣٢) الجواهر المضية ٢/٧٢ ، والطبقات السنية / رقم ترجمته ٦٩٤ .

(٣٣) طبقات الداوودي ١/ ١٥٩ ، و طبقات المفسرين للسيوطي/١٢ ، و لسان الميزان ٢/٣٠٧ .

(٣٤) الجواهر المضية ٢/ ١٢٥، و تأريخ بغداد ٨/١٠٣ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٧٦٨ .

(٣٥) الجواهر المضية ٢ / ١٣٧، و تأريخ بغداد ٨/٢٠٥ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٧٨٣ .

(٣٦) الجواهر المضية ٢/ ١٥٠ ، و تأريخ البخاري ج٢ / القسم الأول ١٨ ، و الجرح والتعديل ج١ / القسم الثاني ١٤٦ ، و الفهرست / ٢٨٥ ، و طبقات الفقهاء للشيرازي / ٨٣ ، و ميزان الاعتدال ١/٥٩٥ ، و العبر١/١٥١ ، و دول الإسلام ١/٨٢ ، و تهذيب التهذيب ٣/١٦ ، و تقريب التهذيب ١/١٩٧ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٩٢ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٧٦٩ ، و شذرات الذهب ١/١٥٧ .

(٣٧) غاية النهاية ١/ ٢٨٣ .

(٣٨)الجواهر المضية ٢/ ٢٠٦ ، وطبقات ابن سعد ٦/٢٦٣ ، و تأريخ البخاري ج٢ / القسم الأول ٤٣٢ ، و الجرح والتعديل / ج١ / القسم الثاني ٦١٣ ، و تأريخ خليفة بن خياط ٤٦٨ ، و الفهرست ٣١٦ ، و الكامل ٦/٥٦ ، و تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٥ ، و العبر ١/ ٢٣٦ ، و دول الإسلام ١/١٠٩ ، و طبقات القراء١/٢٨٨ ، و تهذيب التهذيب ٣/ ٣٠٦ ، و تقريب التهذيب ١/ ٢٥٦ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١٢٠ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٨٧٨ ، و شذرات الذهب ١ / ٢٥١ ، و أعيان الشيعة ٣٢/١٦٣ .

(٣٩) غاية النهاية ١/ ٢٩٨

(٤٠) غاية النهاية ١/٣٠٨

(٤١) غاية النهاية ١/٣٣٥

(٤٢) غاية النهاية ١/ ٣٥١

(٤٣) الجواهر المضية ٢/ ٤٠٥ ، وتأريخ البخاري ج٣ / القسم الثاني ٣٥١ ، الجرح والتعديل ج٢ / القسم الثاني ٢٩١ ، و الضعفاء والمتروكين للنسائي / ٦٨ ، و تأريخ بغداد ١٠/٢٣٨ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ١١٩٥ .

(٤٤) غاية النهاية ١/ ٥٣٥ .

(٤٥) الجواهرالمضية ٢/٥٧٣ ، و طبقات ابن سعد ٦/٢٨٠ ، و تأريخ خليفة بن خياط / ٤٩٥ ، و تأريخ بغداد ١١/ ٤٤٣ ، و الضعفاء والمتروكين للنسائي / ٧٨ ، و ميزان الاعتدال ٣/١٣٤ ، و

العبر١/٣٠٩ ، و المشتبه ٤٢٥ ، و البداية والنهاية ٢٠٩/١٠ ، و تهذيب التهذيب ٣٤١/٧ ، و تقريب التهذيب ٣٩/٢ ، و النجوم الزاهرة ١٣٩/٢ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ١٤٩٩ .

(٤٦) الجواهر المضية ٢ / ٦١٣ ، و طبقات ابن سعد ٢٧٠/٦ ، و تأريخ البخاري ج٣ / القسم الثاني ٢٩٧ ، و الجرح والتعديل ٢٠٤/٣ ، و تأريخ الموصل ٢٤٨ ، و تذكرة الحفاظ ٢٩٠/١ ، و العبر ٣٠٣/١ ، و نكت الهميان ٢١٩ ، و تهذيب التهذيب ٣٨٣/٧ ، و تقريب التهذيب٤٤/٢ ، و طبقات الحفاظ ١٢١ ، و مفتاح السعادة ٢٥٩/٢ ، و ذيل الجواهر المضية ٥٤٤/٢ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ١٥٧٤ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٧٧ ، و شذرات الذهب٣٢٥/١ .

(٤٧) غاية النهاية ١/ ٥٨٤

(٤٨) الجواهر المضية ٢/ ٦٢٢ ، و ميزان الاعتدال ١٦٢/٣ ، و تهذيب التهذيب ٣٩٥/٧ ، و تقريب التهذيب ٢/ ٤٦ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٢٧٨ ، و الطبقات السنية برقم ١٥٨٩ .

(٤٩) الجواهر المضية ٢/ ٦٨١ ، و تأريخ البخاري ج٣ / القسم الثاني ٤٠٦ ، و طبقات خليفة بن خياط/٨١٥ ، و تأريخ بغداد ١٥٢/١١ ، و تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٩ ، و ميزان الاعتدال ٣٢٨/٣ ، و العبر١/٣٠٠ ، و دول الإسلام ١١٩/١ ، و تهذيب التهذيب ٢٣٧/٨ ، و تقريب التهذيب ١٠٣/٢ ، و طبقات الحفاظ ١١٨ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال / ٣٠٤ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ١٦٨٣ ، و شذرات الذهب ٣٢٠/١ .

(٥٠) غاية النهاية ٢/ ١٧٧ .

(٥١) الجواهر المضية ٣/ ٣٦٨ ، و فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ٢٤٥ ، و الولاة والقضاة للكندي ٣٨٨ ، و أخبار القضاة لوكيع ٢٣٨/٣ ، و الوافي بالوفيات ٥/ ٢١ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٢٣٢٧ .

(٥٢) غاية النهاية ٢/ ٢٦٣ .

(٥٣) غاية النهاية ٢/ ٢٨٠ .

(٥٤) طبقات الداوودي ٢/ ٣٢٨ ، وإنباه الرواة ٣٠٥/٣ ، و تأريخ بغداد ١٢٤/١٣ ، و طبقات النحاة لابن قاضي شهبة ٢٥٤/١ ، و الفهرست/٧٣ ، و مراتب النحويين / ١٥٧ ، و معجم الأدباء ٧/ ١٧٠ ، و نزهة الألباء/٢٠٢ .

(٥٥) غاية النهاية ٢/ ٣٠٧ .

(٥٦) الجواهر المضية ٣/ ٥٦٤ ، والطبقات السنية / رقم ترجمته ٢٦٢٤ .

(٥٧) الجواهر المضية ٣/ ٥٧٤ ، و الأنساب ٢٨٦/٢ ، و اللباب في تهذيب الأنساب ١٣٦/١ ، و ميزان الاعتدال ٣١٩/٤، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٢٦٤٠ .

(٥٨) غاية النهاية ٢/ ٣٧١ ، و طبقات الداوودي ٢/ ٣٦٧ ، والبداية والنهاية ٢٦١/١٠ ، و تاريخ بغداد ١٤٩/٤١ ، و تذكرة الحفاظ ٣٧٢/١ ، و تهذيب التهذيب ٢١٢/١١ ، وغاية النهاية ٣٧١/٢ ، والعبر ٣٥٤/١ ، و الفهرست/٦٦ ، و اللباب ١٩٨/٢ ، و مرآة الجنان ٣٨/٢ ، و مراتب النحويين/ ٨٦ ، و المعارف/٥٤٥ ، و معجم الأدباء ٧/ ٢٧٦ ، و مفتاح السعادة ١م ١٧٨ ، و النجوم الزاهرة ١٨٥/٢ ، و نزهة الألباء/٩٨ ، و وفيات الأعيان ٢٢٥/٥ .

(٥٩) طبقات الداوودي ٢/ ٣٨٣ ، و البداية والنهاية ١٩٤/١٣ ، و تاج التراجم /٨٣ ، و تاريخ علماء بغداد/٢٣٦ ، و الجواهر المضية ٢٣١/٢ ، و العبر ٢٢٠/٥ ، و الفوائد البهية /٢٣٠ ، و لسان الميزان ٣٣٨/٦ ، و المختصر لأبي الفداء ٢٠٦/٣ ، و مرآة الجنان ١٣٦/٤ ، و مفتاح السعادة ٢٥٥/١ ، و ميزان الاعتدال ٤٧١/٤ ، و النجوم الزاهرة ٣٩/٧ .

(٦٠) الجواهر المضية ٦٥٠/٣ ، و تاريخ البخاري ج٤ / القسم الثاني ٤٠٨ ، و الجرح والتعديل ج٤ / القسم الثاني ٢٤٣ ، و الأنساب ٣٦/٧ ، و ميزان الاعتدال ٤٨٢/٤ ، و العبر ٢٣٣/١ ، و خلاصة تذهيب تهذيب الكمال / ٤٠٠ ، و الطبقات السنية / رقم ترجمته ٢٧٨٨ ، و شذرات الذهب ٢٤٧/١.

قائمة المصادر المعتمدة

ـ أخبار القضاة / وكيع محمد بن خلف بن حيان ت ٣٠٦هـ ، تح . عبد العزيز المراغي ـ المكتبة التجارية بمصر ـ القاهرة ١٣٦٦هـ .

ـ أعيان الشيعة / محسن الأمين العاملي ، تح . حسن الأمين ـ طبعة دمشق ١٣٥٣هـ

ـ إنباه الرواة على أنباء الرواة / جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ت ٦٢٤هـ ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الكتب ـ القاهرة .

ـ الأنساب / أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ت٥٦٢هـ ، طبعة ليدن ١٩١٢م ، و طبعة بيروت ١٤٠٠هـ . ـــــــــــــــ تغيير

ـ البداية والنهاية / عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ ، مكتبة المعارف ومكتبة النصر ـ بيروت والرياض ١٩٦٦م.

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦٤ م .

ـ تاج التراجم / زين الدين أبو الفداء قاسم بن قطلوبغا السودوني ت٨٧٩هـ ، مكتبة المثنى ـ بغداد ١٩٦٢ م .
ـ تاج العروس من جواهر القاموس / محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت ١٢٠٥هـ ، تح . مصطفى حجازي ـ مطبعة حكومة الكويت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
ـ تأريخ بغداد ( تاريخ مدينة السلام ) / أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المشهور بالخطيب البغدادي ت ٤٦٣ هـ ، طبعة القاهرة ١٣٥٧هـ .
ـ تأريخ خليفة بن خياط / أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري الملقب بشباب ت ٢٤٠هـ ، تح . د . أكرم ضياء العمري ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ط٢/ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ تأريخ مدينة دمشق / ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ت ٥٧١هـ ، تح . محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م .
ـ التأريخ الكبير/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري ت ٢٥٦ هـ ، طبعة حيدر آباد الدكن في الهند ١٣٦٠ هـ .
ـ تأريخ الموصل / يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدي ت٣٣٤هـ ، تح . د. علي حبيبة ـ طبعة القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م
ـ تذكرة الحفاظ / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تصحيح عبد الرحمن المعلمي ـ طبعة حيدر آباد الدكن في الهند ١٣٧٥هـ .
ـ تقريب التهذيب / شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تح . عبد الوهاب عبد اللطيف ـ المكتبة العلمية المدينة المنورة ١٣٩٥هـ .
ـ تهذيب التهذيب / شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، طبعة حيدر آباد الدكن في الهند ١٣٢٥هـ .
ـ الجرح والتعديل أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي ت ٣٢٧ هـ ، حيدر اباد الدكن ١٣٧١هـ .

ـ الجمع بين رجال الصحيحين ( الجمع بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم ) / أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المشهور بابن القيسراني الشيباني ت ٤٤٨ هـ ، طبعة حيدر آباد الدكن في الهند ١٣٢٣هـ.

ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية / محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي ت ٧٧٥هـ ، تح . د . عبد الفتاح محمد الحلو ـ دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ـ ط٢/١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال / صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ـ مكتبة المطبوعات الإسلامية ـ بيروت ١٩٧١م .

ـ الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة / شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تح . محمد سيد جاد الحق ـ دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٦م .

ـ الدليل الشافي على المنهل الصافي جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤ هـ ، تح . فهيم محمد شلتوت ـ مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة(لا.ت) .

ـ دول الإسلام / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تح . فهيم شلتوت ، و محمد مصطفى إبراهيم ـ الهيأة المصرية للكتاب ١٩٧٤م .

ـ ذيول العبرفي خبر من غبر/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تح . أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

ـ رحلة ابن جبير/ أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي البلنسي ت ٦١٤هـ ، تقديم د.محمد مصطفى زيادة ( دار الطبع وسنة الطبع غير معروفين) .

ـ رحلة ابن بطوطة ( تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)/ محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٦هـ ، تقديم د. جمال الدين الرمادي من دائرة معارف الشعب (دار الطبع وسنة الطبع غير معروفين).

ـ رفع الاصر عن قضاة مصر/ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تح . د . حامد عبد المجيد ـ وزارة الثقافة المصرية (لا.ت).
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب / ابن العماد الحنبلي شهاب الدين ابو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي ت ١٠٨٩هـ ، مكتبة القدسي ـ القاهرة ١٣٥٠ هـ .
ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) / إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣هـ ، تح . أحمد عبد الغفور عطار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٤ / ١٩٩٠ م .
ـ الضعفاء الكبير/ أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ت ٣٢٢هـ ، تح د. عبد المعطي أمين قلعجي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
ـ الضعفاء والمتروكين / أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ ، تح . محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي ـ حلب ١٣٩٦هـ .
ـ طبقات الحفاظ / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ ، تح . د . علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٩٣هـ .
ـ الطبقات السنية في تراجم الحنفية / تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي ت ١٠١٠هـ ، تح . د. عبد الفتاح الحلو ـ دار هجر للطباعة والنشر ـ القاهرة ، و دار الرفاعي ـ الرياض ١٩٨٩م .
ـ طبقات الفقهاء/ طاش كبري زاده عصام الدين أبو الخير احمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل ت ٩٦٧ هـ ، تح . الحاج أحمد نيلة ـ مطبعة الزهراء الحديثة ـ الموصل ١٣٨٠هـ .
ـ طبقات الفقهاء / جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي ت٤٧٦هـ ، تح . د. إحسان عباس ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ١٩٧٠م.
ـ الطبقات الكبرى / محمد بن سعد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ ، دارالتحرير ـ القاهرة ١٣٨٨هـ .

ـ طبقات المفسرين / جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر للسيوطي ت ٩١١ هـ ، تح . د. علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٩٦هـ .

ـ طبقات المفسرين / شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ت ٩٤٥هـ ، تح . د. علي محمد عمر ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٩٢هـ .

ـ طبقات النحاة واللغويين / تقي الدين أبو بكر بن أحمد ببن محمد الأسدي الشهبي الدمشقي الشافعي المشهور بابن قاضي شهبة ت ٨٥١هـ ، تح . د. محسن غياض ـ مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف ١٩٧٤م .

ـ العباب الزاخر واللباب الفاخر / الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ت ٦٥٠هـ ، تح . الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الدارالوطنية للتوزيع والإعلان ـ بغداد ١٩٨٤م .

ـ العبر في خبر من غبر/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تح . د. صلاح الدين المنجد ، و وفؤاد السيد ـ الكويت ١٩٦٠ م.

ـ العمارة العربية / د. فريد محمود شافعي ـ شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ـ الرياض ـ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ـ غاية النهاية في طبقات القراء / شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري ت ٨٣٣هـ ، بعناية برجستراسر ـ مطبعة السعادة توزيع مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣ م .

ـ فتوح البلدان / أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ت ٢٦٩هـ ، تح . عمر أنيس الطباع ـ مؤسسة المعارف بمصر (لا.ت) .

ـ فتوح مصر وأخبارها / أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ت ٢٥٧هـ ، طبعة ليدن ١٩٢٠ م .

ـ الفهرست / لابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق ت ٣٨٠هـ ، طبعة رضا تجدد ـ طهران ١٣٩١هـ .

ـ الفوائد البهية في تراجم الحنفية / أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤هـ .

ـ الكامل في التأريخ / عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المشهور بابن الأثير الجزري ت ٦٣٠ هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٦٥ م .
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / مصطفى بن عبد الله القسطنطي الرومي الحنفي المشهور بحاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ ـ إستانبول ١٩٤١ م .
ـ اللباب في تهذيب الأنساب / عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المشهور بابن الأثير الجزري ت ٦٣٠ هـ ، مكتبة المثنى ـ بغداد (لا.ت) .
ـ لسان العرب / أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ت ٧١١ هـ ـ دار صادر ـ بيروت ( لا . ت ) .
ـ لسان الميزان / شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ، تح . عبد الفتاح أبو غدة ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان / أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي ت ٧٦٨هـ ، تح . خليل المنصور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
ـ مراتب النحويين / أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي ت٣٥١هـ ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة نهضة مصرـ القاهرة (لا.ت) .
ـ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع / صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩هـ ، تح . علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
ـ المشتبه في الرجال : أسمائهم وأنسابهم / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تح .علي محمد البجاوي ـ مطبعة البابي الحلبي ١٩٦٢ م
ـ المعارف / ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ ، تح . د. ثروت عكاشة ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٩م .

ـ معجم الأدباء ( إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ) / شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ ، تح . د. إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ١٩٩٣م .
ـ معجم البلدان / شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ ، دار صادر ـ بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .
ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع / أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت ٤٨٧هـ ، تح . مصطفى السقا ـ عالم الكتب ـ بيروت (لا.ت).
ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة / طاش كبري زاده عصام الدين أبو الخير احمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل ت ٩٦٧ هـ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
ـ مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة / حافظ الدين محمد بن محمد بن شهاب ابن البزار الكردري الحنفي ت ٨٢٧هـ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ـ حيدر آباد الدكن في الهند (لا.ت) .
ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي / جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤ هـ ، تح . د. محمد محمد أمين ـ الهياة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٤م .
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ت ٧٤٨هـ ، تح . علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة ـ بيروت (لا.ت) .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت٨٧٤ هـ ، تح . د. محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م .
ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء / أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري ت ٥٧٧هـ ، تح . د . إبراهيم السامرائي ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء في الأردن ـ ط٣ / ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م .
ـ نكت الهميان في نكت العميان / صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ ، المطبعة الجمالية ـ القاهرة ١٢٢٩هـ / ١٩١١م .

ـ الوافي بالوفيات / صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ ، تح . أحمد الأرناؤوط ، و تركي مصطفى ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ت ٦٨١ هـ ، تح . د. إحسان عباس ـ دار صادرـ بيروت ( لا.ت).

ـ الولاة والقضاة / أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ت ٣٥٠ هـ ، تصحيح : رفن كست ـ مطبعة الآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨م .

# عدي بن حاتم الطائي: سليل الكرم... وشجاعة الثبات على المبدأ.

أ.م.د جاسم رشيد العتبي
أ.م.د رحيم راضي الخزاعي
جامعة بغداد-كلية اللغات

المقدمة:

هناك العديد من الشخصيات المشرفة في التاريخ والتي ناصرت امير المؤمنين (عليه السلام) والتي نجد في سيرتها العطرة مادة ولائية ايمانية نرفع بها هممنا ونستضيء بهديها ومن هذه الشخصيات شخصية عدي ابن حاتم الطائي والذي كتب عنه الكثير. ولكن هل كان ما ذكر عنه يكفي لأنصاف ذلك البطل الفذ كلا ولن نستطيع ذلك حتى لو الفنا كتبا فيه وفي امثاله ممن ناصروا امير المؤمنين الامام علي (عليه السلام ) وقاتلوا بين يديه وهذه بعض من مواقفه تلك مع امير المؤمنين وابنه الامام (الحسن) عليه السلام.

كان عديّ بن حاتم الطائيّ ممن اعتقدوا ورَوَوا أنّ الأئمّة بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله اثنا عشر إماماً، كلّهم من قريش. وفي مناشدة أمير المؤمنين عليه السّلام حين قال: أُنشد اللهَ مَن شَهِد يومَ غدير خُمّ إلاّ قام، ولا يقوم رجل يقول نُبّئتُ أو بلغني، إلاّ رجلٌ سمِعت أُذُناه ووعاه قلبه. فقام سبعة عشر رجلاً منهم: عَدِيّ بن حاتم.. فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: هاتوا ما سمعتم. فنقلوا واقعة الغدير حتّى انتهَوا إلى القول: ثمّ أخذ صلّى الله عليه وآله بيدك يا أمير المؤمنين، فرفعها وقال: مَن كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه. فقال عليٌّ عليه السّلام: صدقتُم، وأنا على ذلك من الشاهدين.

في بحثنا المتواضع هذا سلطنا الاضواء على جوانب مهمة في حياة هذا الصحابي الجليل، والذي عاصر الرسول الاكرم محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، وقد أسلم على يديه. كذلك عاصر وناصر وحمل لواء امام المتقين وسيد الوصيين امير المؤمنين علي عليه السلام. وخرج مع الامام الحسن المجتبى عليه السلام لمحاربة معاوية بن ابي سفيان. ولكن رب سائل يسأل لماذا لم يخرج مع الامام الحسين في معركة الطف. والجواب هو ان عدي بن حاتم عاش حوالي ١٢٠ سنة وقد وصل من العمر عتيا في وقت تلك الواقعة الاليمة. ولكنه كان من المناصرين للامام الحسين عليه السلام. كيف

لا وهو الذي جاد بنفسه وماله وأولاده جميعا فداءا للامام علي عليه السلام في معاركه ضد المرتدين.

حاتم الطائي: نبذة تاريخية:

بما ان موضوعنا يدور حول الصحابي عدي بن حاتم الطائي فكان لزاما علينا ان نذكر سيرة والده بسطور:

حاتم الطّائيّ هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطّائيّ ويُلقب بأبي عَدي وأبي سفّانة، وهو من شعراء الجاهليّة المعروفين بالفروسيّة والكرم، وكفله جدّه سعد بن الحشرج بعد وفاة أبيه، وحرص على تنشئته والاهتمام به حتّى وصل مرحلة الشباب، وعيّنه جدّه راعياً ومسؤولاً عن الإبل، ويُقال أن رجالاً آتوا عند حاتم فأكرمهم ووزع عليهم إبل جدّه بعد معرفته بأنّهم شعراء، فغضب جدّه عندما علّم بالخبر وتخلّى عنه، ويُقال أنّ مُلكية الإبل تعود لأبيه وليس لجدّه، وظلّ حاتم الطّائيّ على هذه الحال التي كان عليها من كرمٍ وسماحة في النّفس، وعدم تخلّفٍ عن العطاء والبذل حتّى وفاته.

ينتمي حاتم الطّائيّ إلى قبيلة طيء إحدى القبائل التي عاشت في منطقة يُطلق عليها اسم أجا وسلمى، بالقُربِ من جبال السُراة الغربيّة التي تقع في الجهة الغربيّة لمدينة صنعاء عاصمة اليمن، وكانت هذه المنطقة تتميّزُ بطبيعتها الخصبة؛ ممّا ساهم في تميّز قبيلة طيء بعدّة مميّزات معنويّة وماديّة، وشكّل حاتم الطّائيّ أحد أهمّ النماذج لهذه القبيلة، فكان ميسور الحال أحياناً وضيق الحال أحياناً أُخرى.

وتُشير المصادر إلى أن النّوار وماويّة هما زوجتي حاتم الطّائيّ، وكانت زوجته ماويّة بنت عفزَر ملكة من ملكات الحيرة، وطلبت أن تتزوجَ أوسم الرجال في الحيرة ووقع الاختيار على حاتم، أمّا زوجته النّوار البُختُريّة فهي من بني سلامان، وهي من النساء الشريفات وتعود أصولها إلى اليمن وعاشت في الحيرة، ولا يُذكرُ لحاتم الطّائيّ إلّا زوجتيه النّوار وماويّة، مع ورود أخبار عن وجود زوجاتٍ غيرهما لحاتم.(١)

أنجبت النّوار لحاتم الطّائيّ ابنيه عبد الله وعَدي وبنته سفّانة، ويُعدّ ابنه عَدياً -رضيّ الله عنه- أشهر أبناء حاتم، وولِدَ قبل حوالي ٥٠ عاماً من الهجرة النبويّة الشرفيّة أثناء العصر الجاهليّ، ومات في عام ٦٧ للهجرة، ويُقدّرُ عُمره بحوالي ١٢٠ عاماً، وعُرِف بأبي وهب

وأبي طريف، وخلال الجاهليّة كان رئيساً لقومه، وعندما بدأت دعوة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لم يسلم عَدي، ورحل إلى الشام مع أهله وترك أخته سفّانة في اليمن، وأُسرت عند وصول جيوش المسلمين إلى منطقة طيء، ولكنها تمكّنت من العودة إلى أخيها وأقنعته بإعادة التفكير نحو الإسلام، فقرر عَدي التوجه إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- ليُعلن إسلامه.

وعن وفاة حاتم الطائي، حيث لم تتّفق الآراء حول الزمن الذي توفي فيه حاتم الطّائيّ؛ حيث ذُكِرَ أنّه توفي في عام ثمانيّة للهجرة ولكنه قول غير دقيق؛ إذ لم يذكر أي شخص كتب عن حاتم الطّائيّ أنّه ظلّ على قيد الحياة حتّى البعثة النبويّة الشريفة، أمّا الرأي الأقرب إلى الصواب أنّ حاتماً عاش حتّى ولادة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم - وتوفي قبل البعثة النبويّة الشريفة؛ أي قبل عام ٦١٠ للميلاد، وأقرب الكلام حول وفاة حاتم الطّائيّ أنّه توفي في أول عشرة أعوام من القرن ٧ الميلادي، ودُفِنَ بتُنغة أحد مواقع وادي حائل.

عُرِفَ عن حاتم الطّائيّ أنّه شاعر ألّفَ شّعراً جيّداً وكتبه في ديوان شعريّ، وتميّز شعره بتراكيبه وألفاظه البسيطة، ومعانيه الواضحة، والابتعاد عن التّعقيد، وألّفَ حاتم الطّائيّ شعره في العديد من المجالات والأغراض الشعريّة، مثل الحماسة والعفة والكرم، واهتمّ بكتابة النّثر الذي تميّز بالحكمة، كما كتب أبياتاً شعريّة في المدح وأُخرى في الهجاء، وفيما يأتي معلومات عن مجموعةٍ من الأغراض الشعريّة التي كتب بها حاتم الطّائيّ.

شعر الفخر: هو افتخار حاتم الطّائيّ بشجاعته، وعفته، وكرمه، ومن الأمثلة على ذلك عندما رحل جدّه سعد وظلّ حاتم في منزله، وقال: وإنّي لَعَفُّ الفَقرِ، مُشترَكُ الغِنى ❖❖❖ وردك شكل لا يوافقه شكلي وشكلي شكل لا يقوم لمثله ❖❖❖ من النّاس، إلّا كلُّ ذي نيقة مثلي ولي نيقة في المجدِ والبذل لم تكن ❖❖❖ تألفها، فيما مضى أحدٌ قبلي وأجعلُ مالي دون عرضي، جنةً ❖❖❖ لنفسي، فاستغني بما كان من فضلي ولي معَ بذلِ المالِ والبأسِ صَولةٌ ❖❖❖ إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل وما ضَرّني أن سارَ سَعدٌ بِأهلِهِ ❖❖❖ وأفرَدَني في الدّارِ، ليسَ معي أهلي

شعر الحماسة: وقال فيه: أبلغ بني ثعل عني مغلغلة ❖❖❖ جهد الرسالة لا محكاً ولا بطلا أغزوا بني ثعل، فالغزو حظكم ❖❖❖ عُدّوا الرّوابي ولا تبكوا لمن نكَلا ويهاً فداؤكم أمي وما ولدت ❖❖❖ حامُوا على مجدِكم، واكفوا من اتّكلا إذ غاب من غاب عنهم من عشيرتنا ❖❖❖ وأبدَت الحربُ ناباً كالحاً عَصِلا.

شعر الحكمة: وقال فيه: فنَفسَكَ أكرِمها فإنّكَ إن تَهُن ❖❖❖ عليك، فلن تلفي لك الدهر مكرما أهِن للّذي تَهوَى التّلادَ فإنّهُ ❖❖❖ إذا مُتّ كانَ المالُ نَهباً مُقَسّمَا ولا تشقين فيه فيسعد وارثٌ ❖❖❖ بهِ حينَ تخشَى أغبرَ اللّونِ مُظلما يُقَسّمُهُ غُنماً ويَشري كَرامَةً ❖❖❖ وقد صِرتَ في خطٍّ من الأرْض أعظُما قليلٌ بهِ ما يَحمدَنّكَ وَارِثٌ ❖❖❖ إذا ساق ممّا كنت تجمع مغنما.

شعر المدح: وقال فيه: إن كُنت كارِهَةً مَعيشَتَنا ❖❖❖ هاتي فحلي في بني بدرِ جاورتهم زمن الفساد فنعمَ ❖❖❖ الحيُّ في العَوصاءِ واليُسرِ والخالطينَ نَحيتَهُم بنُضارِهم ❖❖❖ وذوي الغِنى منهم بذي الفقرِ.

ذم أصحاب الصفات والأخلاق السيئة: وقال فيه: لحى اللّهُ صُعلوكاً مُناهُ وهَمُّهُ ❖❖❖ من العيش أن يلقى لبوساً ومطعما يَنامُ الضّحى حتّى إذا ليلُهُ استوَى ❖❖❖ تنبه مثلوج الفؤاد مورّما مقيماً مع المشرين ليس ببارحٍ ❖❖❖ إذا كان جدوى من طعامٍ ومَجثِم.[٢]

من هو عدي بن حاتم؟

هو عَدِيُّ بنُ حَاتِم بن عبد الله بن سعد بن الحَشْرَج بن امرئ القيس بن عَدِيّ بن أَخْزَم بن أَبي أَخْزَم بن رَبِيعَة بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عمرو بن الغَوْث بن طيء. يُكنّى بـ أبي طَرِيف وأبي وَهب.

ولد عدي ما بين سنة ٥١ ـ ٥٤ قبل الهجرة النبويّة. وتوفي سنة سنة ٦٨ للهجرة. أي عاش مايقرب ١٢٠ سنة، قضاها بالجهاد في سبيل الله مع آل البيت. ليس غريبا ان يطول عمر هذا الصحابي رغم صعوبة الحياة التي عاشها، فقد قضى عديا جل سنين حياته مقاتلا مغوارا. وقد تعرض للجراحات وفقد عينه في معركة الجمل. حديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن واصل الرحم وعن طول عمره ينطبق على جياة هذا الصحابي الجليل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من سره أن يبسط

له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) صدق رسول الله، ينسأ معناه: يؤخر له في أجله ويزداد له في عمره.

نشأ عَدِيّ بن حاتِم منذ طفولته في الجاهليّة وسط بيت يشخص فيه والده المعروف بالكرم؛ فقد كان أحد الثلاثة الذين ضُرب بهم المَثَل في الجود زمن الجاهليّة. تزوّج حاتم امرأة تُدعى النّوار، كانت تلومه على كرمه، فتزوّج ماويّة بنت عفزر من بنات ملوك اليمن وكانت تحبّ الكرم وتوقّر الكرماء، فأنجبت له عَدِيّاً، وقد ورث عَدِيٌ تلك الخصال الحميدة عن أبيه.(٣)

وفي هذا يقول الشاعر:

شابَهَ حاتِماً عَدِيٌ في الكَرَمْ ومَن يُشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ

ويقول حاديهم الغرير:

يا ذيب يا عجل الهريب أشرف على ذيب وراك
يوم الملاقا لا تغيب أقبل ونرمى لك عشاك

ولا زلنا بكرمه، يقال: (أرسل الأشعث بن قيس إلى عدي بن حاتم يستعير قدور حاتم، فملأها وحملتها الرجال إليه، فأرسل إليه الأشعث: إنّما أردناها فارغة. فأرسل إليه عدي: إنّا لا نُعيرها فارغة).

كان عديّ بن حاتم رجلاً جسيماً، أعور، ولم يكن العَوَر خِلقةً فيه، بل طرأ عليه أثناء حروبه إلى جانب الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، فشهد واقعة الجمل وفيها ذهبت إحدى عينيه، وشهد وقعة صِفّين فذهبت فيها الأُخرى، ويبدو أنّ ذهاب العين لم يكن كاملاً، لأن عديّاً اشترك في معركة النهروان وعاصر ما بعدها من الأحداث، لكنّ العرب يعبّرون عن انقلاب الجفن وما شابهه من العيوب التي تُصيب العين ولا تذهب بالبصر كلّه بـ العور.(٤)

قصة إسلامه:

كان عدي بن حاتم يدين بالركوسيّة وهو دين مندثر بين اليهودية والمسيحية أما قبيلته يدينون بالمسيحية حين ظهور الإسلام.

يقال بأن رسول الله أرسل لهم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام لغزوهم وكان عدي في بلاد الشام في ذلك الوقت فتم الغزو وأخذوا أسرى، وكان من بين الأسيرات سفانة بنت حاتم الطائي أخت عدي، فدار بينها وبين الرسول حواراً أوضحت فيه أنها سيدة في قومها وأنها ابنة حاتم الطائي ففك اسرها.

على أثر ذلك وفد عدي على الرسول في سنة ٧ هـ - ٦٢٨م، وكانت وفادته لاستكشاف أمر هذا الرسول الجديد، ولما وصل المدينة قابل النبي محمد في مسجده ولاحظ أنه لا يدعى بالملك أو الزعيم، فعرف أن الرسول لا يسعى للملك أو الزعامة. فأخذه إلى بيته وهناك حادثه في أمر الإسلام وكان مما قال له:

"لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجة المسلمين وفقرهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم، حتى لا يوجد من يأخذه، ولعله يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من قلة المسلمين وكثرة عدوهم، فوالله لتوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله، ولعله يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، فهم ضعاف، وايم الله لتوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وإن كنوز كسرى قد صارت إليهم". فأسلم عدي على يد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.(٥)

من أهم مواقفه التاريخية:

كان لعديّ بن حاتم أدوار مهمّة وركائز عديدة ساهمت في تغيير وجه الأحداث، منها:

١. ثباته هو وقومه وقبيلته طيّء على الإسلام ولم يرتدّوا بعد وفاة النبيّ في بعض من ارتدّ.

٢. شهدَ فتحَ العراق ووقعة القادسيّة ووقعة مِهران، ويوم الجِسر.. وكان له فيه بلاءٌ حَسَن.

٣. وثوبه على الوليد بن عُقْبة حين شرب الخمر وأساء السيرة، فشارك في عزله عن ولاية الكوفة.

٤. كان من المسارعين لبيعة أمير المؤمنين عليّ والمناصرين له والمؤازرين، وكان له الباع الأطول في تحشيد القوات من طيّء وتسييرها لأمير المؤمنين علي.

٥. في معركة الجمَل.. أناط به أمير المؤمنين عليّ مواقع مهمّة، فجعله ومحمد بن أبي بكر على القلب، محمّداً على الخيل وعديّاً على رجّالتها. كما جعله في موقع آخر على خيل قُضاعة ورجّالتها، ثمّ اشترك في عَقر الجمَل هو والحمُاة حتّى عَرقَبوه.

٦. في صفّين.. أمّره أمير المؤمنين عليّ على طيّء. حتّى إذا كان التوادع إلى أن ينسلخ المحرّم، أرسل أمير المؤمنين عليّ عديّاً في جماعة ليدعوَ معاوية إلى الطاعة. فقام عديّ مقاماً مشكوراً أثنى فيه على أمير المؤمنين عليٍّ.

٧. ثمّ قاد الجيش العلويّ وجحافلَه ضدّ الجيش الأُموي بقيادة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد يوم ٨ صفر سنة ٣٧ هجريّة، وقد حشّد معاوية أشدّاءَ رِجاله، فكان النصر حليف عديّ، وفرّ عبد الرحمن وتوارى في العَجاج وعاد إلى معاوية مقهوراً.

٨.من المواقف المهمة له في تاريخه أنه قتل المشجّع بن بِشر الجذاميّ وهو يهمّ باغتيال أمير المؤمنين. وقضى أيضاً على أكثر الناس شتماً لعليّ عليه السلام، همام بن قبيصة النميريّ، وهو على رأس هوازن فسلبه لواءه.

٩.في ما يتعلق بالصلح في صفّين، أقبل عديّ ووبّخ الحَكَمين، متّهماً إياهما بالتخاذل، وهو الذي اختاره أمير المؤمنين عليه السلام ليَشهد على كتاب الصلح وغير ذلك من المواقف التي تحكي لنا شخصيّته وتصف لنا ثباته وبصيرته وإخلاصه.[٦]

صحبته للامام علي عليه السلام:

كان عدي رضي الله عنه من السابقين الأوّلين الذين رجعوا إلى الإمام علي عليه السلام.

وكان من الصحابة الذين قاموا وشهدوا على صحّة ما نقله الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حول حديث الغدير، لّما ناشدهم قائلاً: «أُنشد الله مَن شهد يوم غدير خُم إلّا قام».

اشترك مع الإمام علي (عليه السلام) في حروبه كلّها: الجمل وصفّين والنهروان، وكان فيها من قادة الجيش.

ففي معركة الجمل كان له دورا قياديا لنصرة الامام علي عليه السلام: جاء (رضي الله عنه) مع رجال من عشيرته إلى الإمام علي(عليه السلام) لنصرته في مقاتلة الناكثين بحرب الجمل، فقام وقال: «أمّا بعد، فإنّي كنت أسلمت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأدّيت الزكاة على عهده، وقاتلت أهل الردّة من بعده، أردت بذلك ما عند الله، وعلى الله ثواب مَن أحسن واتّقى، وقد بلغنا أنّ رجالاً من أهل مكّة نكثوا بيعتك، وخالفوا عليك ظالمين، فأتيناك لننصرك بالحق، فنحن بين يديك، فمرنا بما أحببت. ثمّ أنشأ يقول:

ونحن نصرنا الله من قبل ذاكم وأنت بحقّ جئتنا فستنصر
سنكفيك دون الناس طرّاً بأسرنا وأنت به من سائر الناس أجدر

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): جزاكم الله من حيّ عن الإسلام وأهله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدّين، ونويتم نصر المسلمين.(٧)

وفي معركة صفين: كان عدي رسول الامام علي (عليه السلام) إلى معاوية. فلمّا توادع الامام علي (عليه السلام) ومعاوية، اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل علي بن أبي طالب إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبث بن ربعي، ويزيد بن قيس، وزياد بن خصفة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي بن حاتم وأثنى عليه ثمّ قال: (أمّا بعد، فإنّا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأُمّتنا، ويحقن الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك، فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل).

وفي المعركة، خرج (رضي الله عنه) مع الإمام علي ( عليه السلام) لمقاتلة معاوية، وقد أبلا فيها بلاء حسناً، واُصيبت إحدى عينيه في الحرب، وممّا قاله يوم صفّين:

أقول لّما أن رأيت المعمعه واجتمع الجُندان وسط البلقعه
هذا علي والهدى حقّاً معه يا ربّ فاحفظه ولا تضيّعه
فإنّه يخشاك ربّ فارفعه ومَن أراد عيبه فضعضعه
أو كاده بالبغي منك فاقمع.(٨)

وفي المعركة نازعه الراية عائذ بن قيس الحزمري الطائي، وكانت بنو حزمر أكثر من عدي رهط حاتم، فوثب عليهم (عبد اللّه بن خليفة الطائي) البولاني عند الامام علي عليه السلام فقال: (يا بني حزمر أعلى عدي تتوثبون ؟ وهل فيكم مثل عدي ؟. أو في آبائكم مثل أبي عدي ؟ أليس بحامي القربة ؟. ومانع الماء يوم (رويّة)؟ أليس بابن ذي المرباع وابن جواد العرب ؟. أليس بابن المنهب ماله ومانع جاره ؟ أليس من لم يغدر، ولم يفجر، ولم يجهل، ولم يبخل، ولم يمنن ولم يجبن ؟. هاتوا في آبائكم مثل أبيه !، أو هاتوا فيكم مثله !. أَوَليس أفضلكم في الاسلام ؟. أَوَليس وافدكم الى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم ؟. أليس برأسكم - يوم النخيلة - ويوم القادسية - ويوم المدائن - ويوم جلولاء الوقيعة - ويوم نهاوند - ويوم تستر ؟. فما لكم وله !. واللّه ما من قومكم أحد يطلب مثل الذي تطلبون).

فقال له الامام علي عليه السلام: (حسبك يا ابن خليفة. هلم أيها القوم اليّ، وعلي بجماعة طي). فأتوه جميعاً. فقال الامام علي عليه السلام: (من كان رأسكم في هذه المواطن ؟)، قالت له طيئ: عدي. فقال له ابن خليفة: (فسلهم يا أمير المؤمنين: أليسوا راضين مسلمين لعدي الرياسة)، ففعل. فقالوا: (نعم). فقال لهم: (عديّ أحقكم بالراية. فسلموها له).[٩]

مجادلته لمعاوية في حب الامام علي عليه السلام:

ودخل عدي بن حاتم على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال له ابن الزبير: يا أبا طريف متى ذهبت عينك؟ قال: يوم فرّ أبوك منهزماً، وضربت على قفاك وأنت هارب، فأنا مع الحقّ وأنت مع الباطل. فانشد هذه الابيات تنكيلا بالزبير:

اما وأبي يا ابن الزبير لو انني لقيتك يوم الزحف ما رمت بي سخطا
وكان أبي في طي وأبو أبي صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا
ولو رمت شتمي عند عذل قضاؤه لرمت يا ابن الزبير مدى شحطا

وان معاوية ليهابه ويعرف سداده الحصيف في مزالق الفتن، وتمرسه البصير في الشدائد، وبصيرته النافذة وتجاربه الكثيرة الماضية، فجرى بعد ذلك حديث بين معاوية وعديا صاحب الموهبة الخاصة التي كان يفزع اليها في منازلة العظماء من أعدائه، فقال: (يا

عدي أين الطرفات ؟ - يعني بنيه طريفاً وطارفاً وطرفة ) قال: (قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن أبي طالب). فقال: (ما أنصفك ابن أبي طالب، اذ قدم بنيك واخر بنيه). قال، (بل ما أنصفت أنا علياً، اذ قتل وبقيت بعده). فقال معاوية: (أما انه قد بقي قطرة من دم عثمان ما يمحوها الا دم شريف من أشراف اليمن !). فقال عدي: (واللّه ان قلوبنا التي ابغضناك بها لفي صدورنا، وان أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أدنيت لنا من الغدر فترا لندنين اليك من الشر شبراً! وان حز الحلقوم، وحشرجة الحيزوم، لاهون علينا من أن نسمع المساءة في علي فسلم السيف يا معاوية لباعث السيف).[١٠]

فقال معاوية: (هذه كلمات حكم فاكتبوها) - هزيمة منكرة من معاوية - وأقبل على عدي يحادثه كأنه ما خاطبه بشيء.

ولا خير في حلم اذا لم يكن له  بوادر تحمي صفوه ان يكدرا[١١]

ثم قال له: (صف لي علياً). فقال: (ان رأيت ان تعفيني). قال: (لا أعفيك) قال:

(كان واللّه بعيد المدى، شديد القوى، يقول عدلاً، ويحكم فصلاً، تتفجر الحكمة من جوانبه، والعلم من نواحيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. وكان واللّه غزير الدمعة، طويل الفكرة، يحاسب نفسه اذا خلا، ويقلب كفيه على ما مضى. يعجبه من اللباس القصير، ومن المعاش الخشن. وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه، ويدنينا اذا أتيناه. ونحن مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا اليه لعظمته. فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم. يعظم أهل الدين، ويتحبب الى المساكين. لا يخاف القوي ظلمه، ولا ييأس الضعيف من عدله. فأقسم لقد رأيته ليلة وقد مثل في محرابه، وأرخى الليل سرباله، وغارت نجومه، ودموعه تتحادر على لحيته، وهو يتململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه وهو يقول:

(يدنيا ! اليّ تعرضت أم الي أقبلت ؟، غري غيري، لاحان حينك، قد طلقتك ثلاثاً، لا رجعة لي فيك، فعيشك حقير، وخطرك يسير. آهٍ من قلة الزاد وبعد السفر وقلة الانيس).

فوكفت عينا معاوية، وجعل ينشفهما بكمه. ثم قال: (يرحم اللّه أبا الحسن، كان كذلك. فكيف صبرك عنه ؟) قال: (كصبر من ذبح ولدها في حجرها، فهي لا ترقأ دمعتها، ولا تسكن عبرتها). قال: (فكيف ذكرك له ؟) قال: (وهل يتركني الدهر أن انساه ؟).[١٢]

خروجه مع الإمام الحسن (عليه السلام) لمقاتلة معاوية:

وفي ايام خلافة الامام الحسن عليه السلام كان له دور بارز ومواقف يستحق عليها الاجلال والثناء في نصرة الامام الحسن عليه السلام: فمنذ اللحظة الاولى كان جيش الامام الحسن عليه السلام غير راغب في القتال والحرب، فلما سمع الإمام الحسن (عليه السلام) بان معاوية بلغ بجيشه إلى جسر مَنبج ـ وهو بلد قديم بينه وبين حلب يومانن، امر الإمام (عليه السلام) بعض اصحابه ان ينادوا الصلاة جامعة، وبعد ان احتشد الناس خرج (عليه السلام) وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: (اما بعد فان الله فرض الجهاد على خلقه وسماه كرها ....، انه بلغني ان معاوية بلغه انا كنا ازمعنا على المسير اليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله معسكركم في النخيلة) ـموضع قريب من الكوفه. ولما انهى الإمام الحسن (عليه السلام) كلامه سكت الحاضرون ولم يتحرك منهم احد فانبرى عدي بن حاتم الطائي (رضي الله عنه) قائلا: (انا عدي بن حاتم الطائي، سبحان الله ما اقبح هذا المقام، الا تجيبون امامكم وابن بنت نبيكم؟ اين خطباء المصر الذين السنتهم كالمخاريق في الدعة فاذا جد الجد راغوا كالثعلب... ثم التفت إلى الإمام وقال، اصاب الله بك المراشد، وجنبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدره قد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى امرك وسمعنا لك واطعنا فيما قلت ورأيت) .....، ثم اظهر عزمه على الخروج لحرب معاوية فوراً قائلا... (هذا وجهي إلى معسكرنا، فمن احب ان يوافي فليواف)، فانتهى إلى النخيلة فعسكر بها وحده. فكان أوّلَ الناس عسكراً. ثمّ قام: قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاريّ، ومَعقِل بن قيس الرياحيّ، وزياد بن حفصة التميميّ، فأنّبوا الناسَ ولاموهم وحَرّضوهم، وكلّموا الإمام الحسن عليه السّلام بمثل كلام عديٍّ، فقال لهم الإمام عليه السّلام: صَدَقتُم رحمكمُ الله، ما زلتُ أعرفكم بصدق النيّة والوفاء والقبول والمودّة الصحيحة، فجزاكمُ اللهُ خيرا.[١٣]

مناصرته للامام الحسين عليه السلام:

استمر رضوان الله عليه بمناصرة ذرية رسول الله صلى الله عليهم اجمعين. فحين ابرام الصلح بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية بن ابي سفيان قيل ان عديا انتفض ثأرا لمظلومية سبطي الامام علي عليه السلام: وكما ابرم امر الصلح خلف عدي بن حاتم ومعه عبيدة بن عمر الى الامام الحسين عليه السلام، وقلبه يلتهب نارا، فدعا الامام الى اثارة الحرب قائلا: (يا ابا عبد الله شربتم الذل بالعز، وقبلتم القليل وتركتم الكثير. أطعنا اليوم وأعصنا الدهر، دع الحسن وما رأى من هذا الصلح، وأجمع اليك شيعتك من اهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذه المقدمة، فلا يشعر أبن هند الا ونحن نقارعه بالسيوف). فقال الامام الحسين عليه السلام: (انا قد بايعنا وعاهدمنا ولا سبيل لنقض بيعتنا).[١٤]

ولو كان الامام الحسين عليه السلام يرى مجالا للتغلب على الاحداث لخاض الحرب وناجز معاوية، ولكن قد سدت عليه وعلى أخيه جميع النوافذ والسبل، فرؤوا انه لا طريق لهم الا الصلح.

قد يتسائل الكثير عن مناصرة عدي بن حاتم رضوان الله عليه للامام الحسين عليه السلام. والجواب هو ان عديا كما عهده النبي وآل بيته الاطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام، قد كان محبا ومناصرا وقائدا، حمل لواء الاسلام طيلة حياته. فهو من قدم ثلاثة من أولاده فداء للامام علي عليه السلام في معركة صفين. وفقد عينه في معركة الجمل. وقاد قبيلته لنصرة الرسول وآل بيته. في عهد الامام الحسين كان له مناصرا قلبا وقالبا، فهو الصنديد الذي قاتل بدون كلل.

ولهذا ومما تقدم فان من ثبت على المبادئ السامية للأسلام طيلة عقود من السنوات التي رافقتها العديد من الأحداث الجسام، وأختلطت فيها الأوراق، وبقي فيها ملازما وداعما لنهج النبوة وآل البيت الأطهار. لاعجب أن نستنتج بأن موقف الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي في واقعة الطف قد لا تختلف عن سابقاتها في ثباته على المبدأ مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيت النبوة من الأئمة الاطهار عليهم السلام في الأحداث التي برزت في تلك المرحلة.

وبما أن واقعة الطف الاليمة التي حدثت في السنة ٦١ للهجرة كان فيها عديا قد بلغ اكثر من ١١٠ عاما قضاها في نصرة الاسلام بسيفه وماله وبروحة. والمعروف في العقيدة ان كبر السن والشيخوخة تسقط تكليف الجهاد، لذلك لا نستغرب عدم مشاركته بتلك المعركة لذلك السبب، ولانعتقد ان هنالك سببا اخر لذلك. لكن دوره السياسي لمناصرة ومؤازرة الامام الحسين عليه السلام لم يختلف عن ماخلده التاريخ لهذا الرجل في مجابهة الباطل وأحقاق الحق والعمل على تطبيق الرسالة المحمدية بابهى صورها رغم السيل الجارف الذي تعرضت له الامة الاسلامية من الفتن والمؤامرات، لاسيما بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما تبعها من تداعيات داخل صفوف الاسلام والمسلمين.

ومما يعزز استنتاجنا السابق فان عديا قد ارسل ابنه الطرماح لنصرة الامام الحسين عليه السلام والقتال معه في واقعة الطف. حيث كان الطرماح بن عديا كما عهدنا ابيه فارسا مغوارا محبا ومتيما بحب العترة الطاهرة لرسول الله صلى الله وسلم عليهم أجمعين. كذلك كان شاعرا قد صدحت قريحته بحب ومناصرة آل البيت. وقد رافق الامام الحسين عليه السلام في معركة الطف، وقاتل فيها وأستشهد بين يدي الامام.

كان الطرماح بن عدي من الصادقين اللامعين بين انصار ابي عبد الله الحسين عليه السلام والمتفانين في محبة الحسين، فهو حفيد حاتم الطائي، الشخصية التي لا حاجة ان يتم الحديث عن مناقبها، يعني اشهر من الشمس في رابعة النهار وعدي بن حاتم الطائي كما وصفه رسول الله. سبحان الله! نحن نقرأ في القرآن "وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ" (سورة البلد٣) هذا له من الاولاد خمسة، احدهم لأسباب او لسوء تربية، لسوء القدر، لسوء الطالع ذهب مع معاوية اما الاربعة فثلاثة استشهدوا بين يدي الامام امير المؤمنين يوم صفين دفاعاً عن الامام علي وهم طرفة وطارف وطريف، هذه اسماء عربية قديمة اما الرابع استشهد بين يدي ابي عبد الله الحسين وهو الطرماح.

الطرماح بن عدي كان مناصراً للامام امير المؤمنين ويأخذ بالرسائل وتعرف ان من يحمل الرسالة انه فيها اكثر من دلالة على تزكيته وسلامته، بعد ذلك تحولت الايام ووقف مع الامام الحسن صلوات الله وسلامه عليه الى ان صارت مقدمات واقعة الطف

وحصل ما حصل لأبي عبد الله الحسين قبل وصوله الى الكوفة او الى العراق قاصداً الكوفة، كيف غير طريقه؟ هنا يأتي الحديث عن الطرماح رضوان الله تعالى عليه.[١٥] كأن الامام ابو عبد الله الحسين سلام الله عليه في الطريق واجه ظروفاً صعبة جداً وهي انقطاع اخبار مسلم بن عقيل وانقطاع اخبار من ارسلهم الحسين عليه السلام، ارسلهم ليأتوا بأخبار مسلم هؤلاء ايضاً انقطعت اخبارهم فكان ابو عبد الله الحسين في واقع الحيرة وفي مرارة التأمل، وكان وصل الحسين العذيب، العذيب منزل من المنازل وكان فيه بئر ماء يأتون الرحل لأخذ الماء فالحسين اصبح الصباح وهو ينظر الى الصحراء متحيراً فلم يأتي خبر من مسلم ولاخبر من الذين ذهبوا بعده، فجأة رأى الحسين سوادة من بعيد، السوادة اقتربت واذا هؤلاء اربعة ولكن الرواحل خمسة، من هؤلاء الاربعة؟ عمرو بن خالد الصيداوي من خيرة انصار الحسين، مجمع العائدي، ابنه عبد الله ولد شاب جاء مع ابيه والرابع جنادة بن الحارث السلماني ومعهم فرس، الراحلة الخامسة لمن؟ لنافع بن هلال. في هذه الاثناء ما ان اقتربوا من الحسين صلوات الله وسلامه عليه واذا من بعيد سوادة ثانية بانت واذا به الطرماح بن عدي، هذا جاء من الكوفة، فوصل الى ابي عبد الله الحسين سلام الله عليه، هنا الحسين سأل هؤلاء الاربعة من اين جئتم؟ فقالوا جئنا من الكوفة، اول ما سألهم الحسين، من له علم برسولي قيس؟ لم يسألهم عن مسلم فقالوا يا ابا عبد الله لاتسأل عن هذا وذاك، كلهم قتلوا فأبو عبد الله الحسين تصبر وهو يقرأ "منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً " اللهم اجعل الجنة لنا ولهم نزلاً واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ومذخور ثوابك"" بعد ذلك الحر كان قد قطع الطريق على الحسين وقال له لابأمكانك ان ترجع الى الحجاز ولا بأمكانك ان تسلك طريق الكوفة فالحسين عليه السلام قال اذن اين اذهب؟ هناك قرر الحسين ان يسلك طريقاً لا يرجع به الى الحجاز ولا يدخله الى الكوفة ولكن عليه ان ينظر الى اثر بين الادغال وبين المزارع في هذه الصحراء ولكن كيف؟ الظاهر ان الطرماح بن عدي كان لديه ذلك الالمام بتلك البراري وبآثار الطرقات فلما سمع الحسين سلام الله عليه يقول او يسأل من منكم يعرف الطريق عن غير الجادة؟ فصاح الطرماح بن

عدي هذا البطل المجاهد الشهيد قال ابا عبد الله انا اخبر بهذه المنطقة فقال الحسين سر بين ايدينا فسار وهو يردد:

يا ناقتي لاتدعمي من زجري
وامضي بنا قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر
آل رسول الله آل الفخر
الضاربين بالسيوف البتر
والطاعنين بالرماح السمر

الى يرفع يده وهو يصيح:

يا مالك النفع معاً والضر
ايد حسيناً سيدي بالنصر
على اللعينين سليلي صخر

الحسين عليه السلام استأنس بالطرماح واستأنس به الحسين اكثر يوم العاشر من المحرم لما سمع الطرماح نزل الى ساحة المعركة وهو يردد:

انا الطرماح ارميكم بصاعقة
من حر سيفي وقلبي غير مرهوب

يعني لااحس بخوف وجعل يقاتل فأستبشر الحسين عليه السلام بموقفه البطولي الى ان ثارت عجاجة والحسين بقي ينتظر ان تزول هذه العجاجة، زالت العجاجة واذا بالطرماح بن عدي رضوان الله تعالى عليه على الارض وكان يضطرب فوقف الحسين عند رأسه وترحم عليه ودعا له بالتوفيق الاكبر وكان هذا الموقف من المواقف التي يبتهج بها ملف واقعة كربلاء.[١٦]

وهكذا قدم عديا ابنه الطرماح شهيدا في واقعة الطف بين يدي الامام الحسين عليه السلام، مثلما قدمه اولاده شهداء في معركة صفين بين يدي الامام علي عليه السلام:

(طريفاً وطارفاً وطرفة). فلولا مساندة ومناصرة عديا للامام الحسين لما خرج ولده الطرماح مناصرا للامام ليلقى ربه شهيدا مغوارا.

الاستنتاجات:

١.عدي بن حاتم الطائي، صحابي جليل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه اذا دخل عليه. وكان زعيما عظيما وخطيب مدره، شجاع وموهوب.

٢.كان شاعرا موهوبا قد ورث هذه الخصلة الكريمة من ابيه وأجداده.

٣.حمل خصلة الكرم من ابيه، وقد تفوق أحيانا عن أبيه، فقد جاد بماله ونفسه وأبنائه.

٤.لم يرتد هو وقومه عن الاسلام بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام.

٥.كان من الصحابة الذين قاموا وشهدوا على صحة مانقله الامام علي عليه السلام عن رسول الله حول حديث الغدير.

٦.اشترك مع الامام علي عليه السلام في حروبه كلها: الجمل، صفين والنهروان. وكان فيها من قادة الجيش.

٧.كان له دور قيادي في معركة الجمل وقد شارك في عقر الجمل.

٨.قاد طي في معركة صفين وابلا بلاءا حسنا، وكان احد ركائز الانتصار في تلك المعركة.

٩.قدم أغلب أولاده شهداءا في معركة صفين من أجل نصرة الدين الاسلامي. وقدم احد اولاده شهيدا في معركة الطف.

١٠.ناصر الامام الحسن عليه السلام في حربه ضد معاوية وكان عدي أول الخارجين للقتال.

١١.بقي وفيا لأهل البيت وناصر الامام الحسين عليه السلام، حيث كان له الدور الكبير في دعم الامام الحسين عليه السلام سياسيا، وهو الدور الذي لعبه كون عمره لا يتيح له الخروج للقتال حيث تجاوز ١١٠ أعوام تقريبا حين حدثت واقعة الطف.

١٢.خرج أبنه الطرماح بن عدي لمناصرة الامام الحسين عليه السلام وقاتل معه في واقعة الطف التي أستشهد فيها بين يدي الامام. وليس ببعيد ان خروج الطرماح لنصرة الامام الحسين عليه السلام كان بتكليف من ابيه عديا، ليكمل مشوار ابيه فارسا مغوارا وبطلا صنديدا تحت راية أهل البيت النبوة عليهم الصلاة والسلام.

عدي بن حاتم الطائي: سليل الكرم... وشجاعة الثبات على المبدأ.

أ.م.د جاسم رشيد العتبي- أ.م.د رحيم راضي الخزاعي/ جامعة بغداد-كلية اللغات

ملخص البحث:

عَدَي بن حاتم الطائي، هو: ابن حاتم الطائي الذي كان يضرب به المثل، في الجود والكرم وقد كان أبوه من أجود وأكرم العرب. تولى عدي رئاسة قومه قبيلة طيء بعد وفاة أبيه في أرض الجبلين: أجا وسلمى وهي: منطقة حائل حالياً. كان نصرانيا ثم أسلم، وهو من صحابة النبي محمد.

تاريخ ولادته ما بين سنة ٥١ ـ ٥٤ قبل الهجرة النبويّة. ومات عن عمر ١٢٠ سنة.

صحابي كريم، كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم يكرمه اذا دخل عليه، وزعيم عظيم، وخطيب مدره، وشجاع مرهوب. أسلم سنة تسع وحسن اسلامه. قال: فلما قدمت المدينة استشرفني الناس فقالوا: عدي بن حاتم ! وقال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: يا عدي أسلم تسلم، قلت: ان لي ديناً، قال: أنا أعلم بدينك منك.. قد أظن أنه انما يمنعك غضاضة تراها ممن حولي، وأنك ترى الناس علينا الباً واحداً. قال: هل اتيت الحيرة؟ قلت: لم آتها وقد علمت مكانها. قال: يوشك ان تخرج الظعينة منها بغير جوار حتى تطوف بالبيت، ولتفتحن علينا كنوز كسرى بن هرمز. فقلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم وليفيضن المال حتى يهم الرجل من يقبل صدقته). قال عدي: (فرأيت اثنتين: الظعينة، وكنت في أول خيل غارت على كنوز كسرى، وأحلف باللّه لتجيئن الثالثة). وقال: (أتيت عمر في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل ويعرض عني، فاستقبلته فقلت: أتعرفني؟. قال: نعم آمنت اذ كفروا، وعرفت اذ نكروا، ووفيت اذ غدروا، وأقبلت اذ أدبروا. ان أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم صدقة طيئ). وقال: (ما اقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء.)

لّما توادع الامام علي (عليه السلام) ومعاوية بصفّين، اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل الامام علي بن أبي طالب إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبث بن ربعي، ويزيد بن قيس، وزياد بن خصفة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي بن حاتم وأثنى

عليه ثمّ قال: (أمّا بعد، فإنّا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأُمّتنا، ويحقن الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضلها سابقة، وأحسنها في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك، فانت يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل).

في بحثنا هذا استعرضنا الدور الكبير لذلك الصحابي الجليل الذي عمل من أجل نشر الاسلام والثبات على المبدأ برغم مغريات الدنيا الزائلة. وكذلك أبرزنا المحطات المهمة من مراحل حياته التي عاصر فيها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والامام الحسن عليهما السلام في مرحلة صعبة وقاسية مرت في تاريخ الاسلام. حيث أبرزنا في بحثنا هذا شخصية عدي بن حاتم الطائي وكيف كان رسولا ومبعوثا للأمام علي عليه السلام في إدارة الصراع مع معاوية. وكان يمتلك خطابا سياسيا يتصف بالتأثير والأقناع على الآخر.

ومن خلال البحث والتحليل توصلنا الى ان هذه الشخصية عاشت وعملت في ظروف سياسية وأجتماعية متقلبة شهدها التاريخ الاسلامي، لاسيما في الفترة التي لازم فيها أمير المؤمنين وولده الحسن عليهما السلام في الكوفة والتي شهدت الكثير من المؤامرات والدسائس حيث أعطى مثالا حيا في التضحية والثبات على المبدأ.

Uday bin Hatem al-Tai: a sprig of generosity ... and the courage of steadfastness on principle.□

Assistant Prof. Dr. Jassem Rasheed Al-ettbi, Assistant Prof. Dr. Rahim Radhi Al-Khuzaie,
University of Baghdad, Faculty of Languages

Abstract

Uday bin Hatem al-Tai, is: the son of Hatim al-Tai, who was an example of generosity and his father was one of the finest Arabs. Uday took over the leadership of his tribe after the death of his father in the land of the mountains: (Aga and Salami), which is:( Hail) currently. He was a Christian and then converted to Islam. He was one of the Companions of the Prophet Muhammad.

The date of his birth between the year ٥١- ٥٤ before the Prophet's migration. He died at the age of ١٢٠ years.

Generous Sahabi, the Messenger of Allah (Allaah be upon him) Honor him if he entered, A great leader, a brilliant preacher, and a courageous man. He has converted to Islam for nine years. He said: "When the city came, the people saw me and said: 'Uday ibn Hatem! The Messenger of Allaah (peace and blessings of Allaah be upon him) said to me: "O 'Uday, I accept Islam." I said: "I have a religion." He said: "I know your religion from you ... I think that it only prevents you from a hatred that you see around me. He said: Have you been puzzled? I said: I did not know it and I learned its place. He said, "It is about to come out of them without any neighborhood until you go around the house, and to reveal to us the treasures of Kesra bin Hormuz." I said: Kesra bin Hormuz? He said: "Yes, and to make up the money, so that it is important for a man to accept his charity." Uday said: " I saw two: the flagrant, and I was in the first horses raided the treasures of my broken, and I swear to God to come back third the treasures of Kesra, and I swear to God to come back to the third one. He said:" I came to the people of my folk. He said: Yes, I believed when they disbelieved, and I knew when they denied, and died when they were treacherous, and accepted when they managed. That the first charity has whitened the faces of the companions of the Messenger of Allah may Allah bless him and his family and blessings of charity. He said: " What has been established prayer since I became Muslim only I am on ablution"

Imam Ali (peace and blessings of Allaah be upon him) and Mu'awiyah fought in the battle of Safin. The messengers differed between themselves. Imam Ali ibn Abi Talib sent to Mu'awiyah: Uday ibn Hatim, Shubt ibn Raba'i, Yazid ibn Qais and Ziad ibn Khafah. Uday bin Hatem and commended him and then said: (But after, we come to call you to a matter that God brings together our word and our nation, and God injects the blood of Muslims, and we call you the best precedent, and the best in Islam effects, and people have met him, and God guided them to see what they came , There is no one but you and others with you, oh Mu'awiyah before God and your companions will strike you like the day of the camel).

In this research, we reviewed the great role of this great companion who worked for the spread of Islam and steadfastness in principle despite the temptations of the fleeting world. As well as highlighted the important stations of the stages of his life in which the Messenger of Allah Muhammad peace be upon him and the Imam of the godliness the

Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib and Imam Hassan peace be upon them in a difficult and harsh period passed in the history of Islam. Where we highlighted in this research, the personality of Uday bin Hatem al-Tai and how he was a messenger and an envoy to Ali peace be upon him in the management of the conflict with Muawiyah. He had a political speech of influence and persuasion on the other.

Through research and analysis, we found that this personality lived and worked in volatile political and social conditions witnessed by Islamic history, especially in the period when the faithful and his son Hassan were required in Kufa, which witnessed many conspiracies and intrigues, where he gave a living example of sacrifice and steadfastness on principle.

**هوامش البحث:**


١.حاتم الطائي http://mawdoo٣.com

٢. https://www.almrsal.com/post/٤١٨٦٠٥

٣.مؤسسة السبطين العالمية

http://www.sibtayn.com/ar/index.php?option=com

٤.عدي بن حاتم الطائي. http:// ar.wikipidia.org.

٥.ابراهيم بن محمد البيهقي. المحاسن والمساوئ ج١. دار المعارف (القاهرة ١٩٩١). ص ٣٣.

٦.المصدر السابق ص ٣٧.

٧.حسين احمد البراقي. تاريخ الكوفة. دار الاضواء (بيروت ١٩٨٧). ص ٣٨٨.

٨.السيد ابو القاسم الخوئي. معجم رجال الحديث ج١٢. مؤسسة الامام الخوئي (لندن ١٩٩٣). ص ١٣٧.

٩.المصدر السابق. ص ١٤٠.

١٠.محسن الامين. أعيان الشيعة ج٨. دار التعارف للمطبوعات (بيروت ١٩٨٣). ص ١٤٤.

١١.المصدر السابق. ص ١٤٥.

١٢.حسين احمد البراقي. المصدر السابق. ص ٣٨٩.

١٣.ابو الفرج الاصفهاني. مقاتل الطالبيين. دار الكتاب للطباعة والنشر (قم ١٩٦٥). ص ٣٩.

١٤.المصدر السابق. ص٥٢.

١٥.ابو الفرج الاصفهاني. المصدر السابق. ص ٢٤٢.

١٦.منتدى الكفيل. https://forums.alkafeel.net/showthread.php?t=٣٨٠٠٠

مصادر البحث:

١.ابراهيم بن محمد البيهقي. المحاسن والمساوئ ج١. دار المعارف (القاهرة ١٩٩١).

٢. ابو الفرج الاصفهاني. مقاتل الطالبيين. دار الكتاب للطباعة والنشر (قم ١٩٦٥).

٣. السيد ابو القاسم الخوئي. معجم رجال الحديث ج١٢. مؤسسة الامام الخوئي (لندن ١٩٩٣).

٤. حسين احمد البراقي. تاريخ الكوفة. دار الاضواء (بيروت ١٩٨٧).

٥. محسن الامين. أعيان الشيعة ج٨. دار التعارف للمطبوعات (بيروت ١٩٨٣).

٦. . https://www.almrsal.com/post/٤١٨٦٠٥.□

٧. http:// ar.wikipidia.org.

٨. http://mawdoo٣.com.

٩. http://www.sibtayn.com/ar/index.php?option=com.

١٠. https://forums.alkafeel.net/showthread.php.

# الاصول الفكرية لابن أعثم الكوفي واثرها في منهجيته في كتابة التاريخ

أ.م.د عباس سليم زيدان
كلية الاعلام- جامعة واسط

**المقدمة:**

يؤثر المنهج وطريقة التفكير تأثيراً بالغ الأهمية على أسلوب الحياة، وطريقة التعامل، وصيغة الحضارة التي يصنعها الإنسان،فما نشاهده من أنماط مختلفة من أحداث التاريخ، وصيغ الحضارات، وأنواع العلوم والمعارف التي تظهر في كل مرحلة من مراحل التأريخ، يرجع في الأساس إلى طريقة تفكير الإنسان ونهج تعامله مع الموجودات، ومدى قدرة هذا التفكير والمنهج على الاستيعاب والتشخيص. وإذا شئنا دراسة تأريخ الحضارات والمقارنة بينها نجد أن حضارة الإسلام هي حضارة عملاقة تبتني أصولها على منهج عقلي متميز، وتقوم على طريقة خاصة في البحث والتفكير والفهم، بدرجة يظهر معها تأثير هذا الاتجاه واضحاً على العلوم والمعارف والنشاطات الفكرية والسلوكية للإنسان. ويكمن السر الأعمق في وجود هذا المنهج في الأساس الفكري للحضارة الإسلامية، وهو عقيدة التوحيد التي تتميز بأنها عقيدة العقل والمنطق العقلي السليم.ويساهم هذا الطابع العقلي للحضارة الإسلامية مساهمة فعالة في بقائها وامتداد تأثيرها، وفي حمايتها من الاتجاه المادي الذي جر على البشرية الآلام والويلات.

وإذا شئنا دراسة وتحليل وحدة البناء الحضاري في المجتمع الإسلامي لاكتشاف الطابع العقلي والمنهج الحضاري في حياتهم لشاهدنا ما يلي[1]:

١. أن منهج التفكير العقائدي هو منهج عقلي عند المسلمين.

٢. أن للعقل دوره الفعال في عملية الكشف عن الأحكام والقوانين الشرعية كشفاً ملتزماً بقواعد الشريعة ومفاهيمها.

٣. أن منهج السلوك والأخلاق منهج عقلي، أي أن العقل يقود ويوجه السلوك والأخلاق، بخلاف المناهج المادية التي يقوم السلوك والأخلاق فيها على أساس اللذة والمنفعة المادية.

٤. إن منهج البحث والتفكير العلمي يبتني على أسس ذات طابع عقلي، وأن هذا الاتجاه يمتد أثره ليشمل المجال التجريبي أيضاً. فالباحث الإسلامي لا يفصل بين المنهجين فصلاً

تاماً، وإنما يعتبر العمل التجريبي مرحلة تطبيقية من مراحل المنهج العقلي لاكتشاف الواقع المادي اكتشافاً عقلياً عن طريق الوسائل المادية، كما يكون العقل هو المرجع في تفسير وتقويم النتائج التي تتوصل إليها التجارب.

٥. أن الاتجاه العقلي في الإسلام لا يبتعد عن ملاحظة الجانب العملي، بل هو محاولة عقلية لكشف الواقع وتفسيره.وبهذه المظاهر العقلية للحضارة والحياة الإسلامية اصطبغت الحضارة والحياة بالصبغة العقلية وتميزت بها. ولذا حق لنا أن نسمي الحضارة الإسلامية حضارة عقلية لأنها تقوم على أساس المنهج العقلي وتقدس العقل وتجعله قائداً للحياة، وعليه، فيمكننا أن نعرف الفكر على أنه حركة عقلية وقوة مدركة يكتشف الإنسان عن طريقها القضايا المجهولة لديه والتي يبحث عنها ويستهدف تحصيلها فتنمو معارفه وعلومه وأفكاره في الحياة .

ابن اعثم الكوفي:

هو أبو محمد أحمد بن أعثم بن نذير بن حباب بن حبيب الأزدي الكوفي. وشهرته ابن أعثم دون خلاف في نسبته إلى الكوفة [٢]. يعد ابن أعثم الكوفي من مؤرخي القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي، ويعد كتابه الفتوح من الكتب التاريخية الهامة التي عنيت بالفتوحات والأحداث وتبدأ

موضوعات الكتاب بعد اسم المؤلف والخطبة بأحداث السقيفة وينتهي بخلافة هارون الرشيد.ولكن يبدو أن ابن أعثم لم يحظ باهتمام مؤلفي كتب الفتوح والتاريخ، أو باهتمام الباحثين في التأريخ، وتبدأ موضوعات الكتاب بعد اسم المؤلف والخطبة بأحداث السقيفة وينتهي بخلافة المستعين بالله العباسي ويقسّم الفتوح إلى خمسة أقسمام مهمة[٣]:

١- أخبار الردّة.

٢- أخبار الخلافة ومقتل عثمان.

٣- أخبار صفين.

٤- أخبار "الغارات".

٥-أخبار واقعة كربلاء.

وليست هذه الأقسام الخمسة سوى جمع آثار المؤرخين العراقيين الكبار أمثال أبي مخنف وهشام الكلبي والواقدي والمدائني ونصر بن مزاحم. وبخصوص تاريخ وفاته لم تذكر المصادر الأصلية تاريخاً دقيقاً لوفاة ابن أعثم فقد أشارت بعض المصادر إلى أن وفاته كانت في سنة ٣١٤ ه /٩٢٦م [٤]، وهنالك مصادر تذكر ان ابن أعثم أنه بلغ في حوادث كتابه التاريخي إلى أحداث نهاية فترة خلافة المقتدر العباسي (٣٢٠هـ). ولذلك يمكن تخمين وفاته في هذه الفترة[٥].

اصوله الفكرية: انقسم اصحاب كتب المعاجم والطبقات في اصوله الفكرية:

١-وردت إشارات في بعض كتب المعاجم والطبقات إلى نسبة ابن أعثم للتشيع نذكر منها:

ان أول من ظنه من الشيعة ورجالهم هو ياقوت الحموي، فقد ذكر في معجم الأدباء أن ابن أعثم كان شيعيًا، ولم يوضح مصدره في ذلك[٦]واعتبر ابن حجر العسقلاني ما جاء به ياقوت

عن تشيع ابن أعثم أمرًا مسلمًا به [٧]كذلك فعل بعض المؤرخين من بعده كالصفدي وأفرد بعض مؤلفي الشيعة ترجمة لأبن أعثم في مصنفاتهم على أنه من أعيان الشيعة، ومن طبقات رجالاتهم في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، إلا إنهم لم يذكروا إسنادهم في ذلك[٨].

٢-وردت اشارات لا تظهر انه كان متشيعاً فهناك روايات أوردها ابن أعثم في كتابه الفتوح تظهر فيها مخالفة صريحة للمباديء الرئيسة في الفكر الشيعي عامة والامامية الاثني عشرية خاصة واهمها:

أ- مسألة الإمامة: من ابرز المسائل التي تباينت فيها الآراء ووجهات النظر بين المسلمين، ففي حين ذهب أهل السنة إلى أن الرسول (ص)انتقل إلى الرفيق الأعلى دون أن يعين خليفة من بعده، رأى اتباع علي بن أبي طالب" عليه السلام أنه الأولى بالإمامة، وهو المرجع الفكري الذي يحسم برأيه الخلاف بين المسلمين، لاعتقادهم بأن اختيار علي بن أبي طالب عليه السلام للإمامة جاء من الرسول( ص)، متخذين من حديث غدير خم "دليلا على صحة معتقدهم، حيث قال سليم بن قيس الهلالي

"سمعت أباسعيد الخدري يقول :أن رسول الله (ص ) دعا الناس بغدير خم فقال : "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله[٩] ويرى أتباع علي أيضاً أن اجتماع الأنصار والمهاجرين في السقيفة كان نقضاً لبيعتهم لعليبن أبي طالب بالولاية في حديث" غدير خم،ولهم في ذلك تصانيف عديدة، أبرزها كتاب سليم بن قيس ومصنفه السقيفة[١٠]. أما ابن أعثم الكوفي فقد ذهب

في روايته لتلك الأحداث إلى ما ذهب إليه أهل السنة وهو القول بأن الرسول(ص) انتقل إلى الرفيق الأعلى دون أن يسمي أحداً من بعده.

ب-مسالة العصمة: أظهر ابن أعثم مخالفته لأحد المباديء الرئيسة في الفكر الشيعي وهو العصمة فقد بين في روايته تراجع الحسين بن علي عليه السلام عن موقفه المتشدد من صلح أخيه الحسن( الإمام المعصوم ) والبيعة له، لا لكونه إماماً مفترض الطاعة له بل لأنه شقيقه ولم يشأ إغضابه[١١]

ت-أمر لقب أمير المؤمنين، حيث يجمع الشيعة على أنه من خصائص علي بن أبي طالب. فذهب ابن أعثم إلى ما ذهب إليه أهل السنة بأن عمر بن الخطاب هو أول من أطلق عليه لقب أمير المؤمنين، بعدما أفضت الخلافة إليه[١٢].

ث- قضية زواج المتعة: كذلك خالف ابن أعثم إجماع الشيعة حول جواز المتعة فجاءت روايته عنها موافقة لما ذهب إليه فقهاء السنة بتحريمه[١٣]. وبناء على ما ذكر اعلاه من مخالفات صريحة للمباديء الرئيسة في الفكر الامامي فقد اجزمت جمهرة كبيرة من فقهاء الشيعة وعلمائها إلى عدم تشيع ابن أعثم فالمجلسي (ت ١٠٧٠ ه/١٦٥٩ م ) الذي قسم مصادر مصنفه بحار الأنوار إلى قسمين :مصادر شيعية، ومصادر مخالفين، وجاء ذكر ابن أعثم ومصنفه الفتوح ضمن مصادر المخالفين[١٤] واستشهد به الشيرازي، أحد علماء الشيعة، في مناظراته مع علماءالسنة في باكستان؛ على أنه من أهل السنة، وقد نقل عنه سيرة عثمان بن عفان[١٥]. ومن علماء الشيعة الذين قالوا بعدم تشيع ابن أعثم، نور الله الشوشتري في مصنفه مجالس المؤمنين، حيث اعتبره شافعي المذهب[١٦] .وقد أكد على ذلك عبد الجليل القزويني الرازي حين ذكر ابن

أعثم في مصنفه، النقض، على أنه شافعي ولعل رواية ابن أعثم عن الإمام الشافعي مع هارون الرشيد وراء القول بأنه شافعي [١٧] وعلى أي حال، فإن ابن أعثم بحسب رأينا، كان مفتوح الذهن، فلم يلتزم بخط معين. ويتضح مما سبق الاختلاف في شأن ابن اعثم بين من عده شيعيا او متأثرا بمذهب التشيع لآل البيت، من خلال ما أورده من روايات تشير إلى خط التشيع، بما فيها من تمجيد للعلويين وأنصارهم، وفي ذات الوقت ذم لمخالفيهم وبين من عده غير شيعي من خلال مخالفته الصريحة للمباديء الرئيسة في الفكر الشيعي الامر الذي جعل من مؤلفه موضع شك وريبة عند الكثيرين وشككوا بصحة كل ما في الكتاب بل قالوا انه لابد من اخضاع كل ما في كتب التاريخ للتمحيص والتدقيق وجمع القرائن للوصول الى النتيجة الصحيحة.

مصادره عند الكتابة:

١- المصادر الشفوية: أفاد ابن أعثم من مصادر شفوية في روايته عن بعض الأحداث فاستخدم تعبير (حدثني) كما في روايته عن حبس الكميت بن زيد الاسدي الكوفي وفي روايته عن عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خالد[١٨].

٢-المصادر المكتوبة: وجاء تصريح ابن أعثم الكوفي عن بعض مصادره المكتوبة، بذكره اسم صاحب المصنف دون الإشارة إلى مصنفه فمثلا صرح بنقله عن الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦ ه /٨٢١ م )مرسلا عنه أربع روايات: الأولى :بعنوان خبر الجارتين ابنتي تبع الحميري ومحمد بن يوسف أخي الحجاج[١٩] والثانية عن موقف ابن الأشعث مع احد رجاله ويكنى أبا حارثة[٢٠] والثالثة عن فتنة ابن الأشعث بالعراق، والمعارك التي انتصر فيها أهل العراق على أهل الشام [٢١] والرابعة عن وقعة دير الجماجم بين ابن الأشعث والحجاج وعن مدة الاقتتال بينهم[٢٢].

منهجيته في الكتابة:

إن المنهجية ( يقابلها باللغة الفرنسية (Méthodologie)) وهذا المفهوم مركب من كلمتين Méthode و تعني المنهج (الطريقة) و logie و تعني علم، ومن خلال التحديد اللغوي لمفهوم المنهجية يتجلى لنا واضحا بأن المنهجية اصطلاحا هي عبارة عن ذلك " العلم الذي يهتم بدراسة المناهج أي أنها علم المناهج (علم طرق البحث العلمي)".

والمنهجية هي مجموعة الإجراءات والآليات المتعارف عليها بين العلماء والتي يمكن استخدامها للملاحظة والكشف والتحقيق في اكتساب المعرفة والوصول للحقائق. والغرض الاساسي من المنهجية هو محاولة فهم الأمور والعلاقات في المحيط الذى يعيش فيه الانسان من أجل الوصول الى النظريات والقوانين التي تحكم الكون وتُسيره. وهو العلم الذي يدرس المناهج البحثية المستخدمة في كل فرع من فروع العلوم المختلفة. لذلك يعتبر فرعا من فروع الأبستمولوجيا . فالمنهجية اذن : هي الطريق التي يتبعها الباحث من أجل الوصول الى الهدف المنشود، وهي مجموعةُ معايير وتقنيات ووسائل يجب اتِّباعها قبلَ البحث وفي إثنائه[٢٣].

اولاً: عدم الالتزام بالإسناد:

ظهر لدى بعض المؤرخين عدم الالتزام بالإسناد، وكان في مقدمتهم اليعقوبي، فهو لا يرى ضرورةلإعطاء الأسانيد، وذلك لأن النظرة إلى الأسانيد التاريخية الهامة استقرت قبله، ولذا فإنه يكتفي بذكر مصادرهالأساسية في مقدمة كتابه، وباتخاذه الكتابة المرسلة منهجًا في كتابته ذكر الرواية دون إسناد وبذلك يكون قد أحدث منهجًا جديدًا لم يطرقه أحد قبله[٢٤]وبدا ابن أعثم الكوفي متأثرًا بمنهج اليعقوبي في استخدامه الكتابة المرسلة في روايات مصنفه الفتوح، إلا أنذلك لم يكن بشكل مطلق، فقد استعمل الإسناد أحيانًا، وذلك حال الكثير من الإخباريين الذين لم يكن باستطاعتهم تجاهل الإسناد، مع أنهم استعملوه بحرية وبشيء من التساهل فعلى سبيل المثال أورد ابن أعثم إحدى وعشرين رواية عن فترة الخلافة الأموية، كان منها رواية واحدة بإسناد متصل أما بقية الروايات فجاءت أسانيدها منقطعة، بل ومتفاوتة في عدد رجالها[٢٥] يظهر من سياق أسانيد ابن أعثم الكوفي أن الروايات الواردة عنها لا تعطي صورة دقيقة أو مترابطة للحدثوذلك لأنها تفتقر إلى بعض المسائل الهامة في تحقيق ذلك، ومن أبرزها عدم وجود صلة بين ابن أعثم الكوفي وبين رجال أسانيده، والتي غالبًا ما تنتهي عند شاهد العيان لأحداث الرواية، باستثناء بعض الروايات، والتي أظهر من خلالها مدى تهاونه بالإسناد، فقد اكتفى في بعض رواياته بذكر أحد شهود العيان لأحداث الرواية ، وثمة بعض الروايات

التي ذكر ابن أعثم أحد رجالها ولم يكن من المعاصرين للحدث أما بالنسبة للتعابير التي استخدمها ابن أعثم للدلالة على طريقة نقله من تلك الأسانيد، فإنها لا تشير إلى لقائهبأي منهم، والدليل على ذلك استخدامه عبارة( قال ) و( ذكر) في جل أسانيده وهذين اللفظين يحملان معنيين، إما سماعي وإما روايات منقولة من مدونات وهو الأقرب للمعنى واستخدم ابن أعثم عبارة(حدثني) في موضعين فقط من أسانيد رواياته عن فترة الخلافة الأموية، الأول فيقوله" :حدثني نصر بن خالد النحوي قال حدثني الحكم بن سعيد الأسدي قال أخبرني عيسى بن أعين وكان حاجبًا لأبي عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنهما قال :كان السبب في حبس الكميت بن زيد الأسدي أنه.....[٢٦] ، والثاني في قوله" :حدثني أبو الحسن المدائني قال :حدثني أبو الحسن بن الفرات قال :سايرت عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب...[٢٧] إلا أنه لم يثبت في كلا الموضعين صحة لقاء ابن أعثم بمن حدثه فمثلا في قوله :بأن إبراهيم ابن عبد الله القرشي قد أخذ روايته عن والده والذي أخذها بدوره عن الزهري(ت ١٢٤ ه /٧٤١ م ) وتقدير وفاة والد إبراهيم القرشي في عام (١٦٤ ه /٧٨٠ م) وتاريخ وفاة ابنه في عام( ٢٠٤ ه /٨١٩ م ) فإنه لن يتأتى لابن أعثم لقاء القرشي، لأن ابن أعثم لم يكن قد ولد بعد.وثمة أمر آخر له علاقة بأسانيد ابن أعثم هو اتهام بعض رجال أسانيده بالكذب تارة، وبالوضع تارة أخرى وأحيانًا بالضعف .وإذا ما ورد في الإسناد ممن هو ثقة، فالثقة مشكلة أخرى وهي عدم اتصال السند بابن أعثم،ناهيك عن بعض رجال الإسناد الذين لم ترد لهم ترجمة، بالإضافة إلى إسناد رواياته إلى مجهول دون أني حددها بدقة، واستخدامه لصيغ مبهمة، كما في قوله :فذكروا أنه مات....."..[٢٨]" قال أهل العلم كما حدثني به غير واحد ممن جمع هذه العلوم..[٢٩].

خلاصة القول أن روايات ابن أعثم وطبيعة أسانيدها حفظت نصوص كتب عديدة فقدت، ولم يبق منهاسوى العنوان أو أسماء مؤلفيها، كتلك التي تعود للهيثم بن عدي، والمدائني، والشعبي، والقرشي، وهؤلاء هم الذين اعتمد ابن أعثم على مصنفاتهم في جمع روايات مصنفه الفتوح.

ثانياً:اظهاره للنقد لرواياته:

يظهر النقد لدى ابن أعثم من خلال تمحيصه للروايات، فمن أجل التأكيد على صحة بعض رواياته قام بنسبتهالأهل العلم العارفين بالتاريخ دون الإشارة إلى أسمائهم، كقوله" :فذكر أهل العلم بهذه الأخباروعند عدم قطع ابن أعثم بصحة بعض رواياته فإنه يعمد لاستخدام بعض العبارات الدالة على ذلك، كقوله..."والله أعلم، والله أعلم وأحكم، ويقولون وقيل ويقال"... مع اكتفاء ابن أعثم بذكر رواية واحدة للحدث أو المعلومة إلا أن ذلك لم يكن بشكل مطلق، فقد أورد أحياناً روايات متعددة حول الحدث أو المعلومة الواحدة ويظهر ذلك في روايته عن كربلاء وتحديد يوم الوصول إليهاكقوله" :ثم صاح الحسين في عشيرته...حتى نزل كربلاء في يوم الأربعاء أو يوم الخميس..[٣٠]

ثالثاً: اهتمامه بالتسلسل التاريخي للأحداث:

أبدى ابن أعثم الكوفي اهتماماً واضحاً بتقديم تاريخ متصل لأحداث الفترات التاريخية في مصنفه الفتوح،لاسيما فترة الخلافة الأموية ويظهر أن ابن أعثم كان حريصاً على موضوع تسلسل الأحداث وترابطها، ويبدو ذلك واضحاً من رواياتهعن الموضوعات المختلفة، فإذا انتهى من موضوع، فإن الموضوع الذي يليه يكون في الغالب ذا صلةبالموضوع الذي سبقه، ومن الأمثلة على ذلك" ذكر خبر أهل البصرة وما كان من خلافهم على معاوية ...وأقام عمر بن أبي أرطاة بالبصرة ستة أشهر، ثم عزله معاوية وولى مكانه زياد بن أبيه"[٣١] وعند وصوله لخبرتولية معاوية لزياد بن أبيه على البصرة يكون ابن أعثم قد وصل إلى نهاية الرواية، ليبدأ حديثه عن زياد بنأبيه بعنوان منفصل هو " ذكر زياد بن أبيه[٣٢]. وقد استخدم ابن أعثم عبارات مختلفة للدلالة على بداية الحدث، كقوله " ابتداء أخبار الحسين بن علي..."[٣٣] كما استخدم بعض العبارات للدلالة على خاتمة الحدث والتي تعتمد على طبيعة الموضوع وتداعياته، حيث عبر عن انقضاء حديثه عن الحسين بن علي بقوله : "تم مقتل الحسين بن علي[٣٤].

ويلاحظ أن ابن أعثم كان حريصاً على تقديم موضوعات متسلسلة ومترابطة في الغالب، ولكنه لم يتمكن من تطبيق هذا المنهج على جلّ رواياته، لوجود بعض الأحداث ذات الفعاليات الممتدة إلى سنوات عديدة من فترة الخلافة الأموية، ولظهور أحداث جديدة متزامنة مع الحدث موضوع الرواية الرئيسي، مما يستدعى التوقف عن مواصلة سرد الرواية، والبدء بالموضوع المتزامن لها، ومن ثم العودة مرة أخرى إلى إكمال ما بدأ به سابقًا. ويبدو أن تجزئة الرواية الواحدة، قد يفقدها الوحدة في الموضوع .ولكي يتفادى ابن أعثم هذه الإشكالية، ويحافظ على تسلسل رواياته وسلامة ترابطها، قام بتدوين بعض الملاحظات التي تعين على معرفة الموضوع الرئيسي من الموضوع الآخر المتزامن معه، وتحديد موقع الخروج من الرواية والعودة إليها، ومن الأمثلة على ذلك

عندما كان بن أعثم مسترسلا في عرض موضوع قدوم سلم بن زياد، أخي عبيد الله بن زياد، على يزيد بن معاوية وتوليته بلاد خراسان، إلى أن قال" :فلم يزل سلم بن زياد بخراسان إلى أن مات يزيد، وسنرجع إلى خبره إن شاء الله تعالى[٣٥]وقد يعود ابن أعثم إلى الخبر الرئيسي دون أن يشير إلى ذلك، كما حدث في أخباره عن خراسان، عندما أشار إلى اضطراب أوضاع الشام نظراً للفراغ السياسي الذي حل بها عقب موت يزيد بن معاوية، وتنازل خالد بن يزيد عن الخلافة؛ واستتباب الأمر في الحجاز إلى عبد الله بن الزبير، الأمر الذي جعل سلم بن زياد يتجهز للخروج إلى الشام، وهو يومئذ بخراسان، وكان يزيد بن معاوية قد ولاه أمرها من قبل .وفي هذه الأثناء تغلب ابن حازم على بلاد خراسان؛ وأخذ يدعو لعبد الله بن الزبير، ثم خرج عليه رجل من أهل خراسان يقال له بكير بن وشاح التميمي واستولى على بلاد خراسان[٣٦] وبهذا يكون ابن أعثم قد رجع إلى أخبار خراسان، ووواليها سلم بن زياد، دون أن يضع ملاحظة تبين رجوعه إليه، وهكذا سار ابن أعثم على نفس النهج مع بقية رواياته الممتدة لسنوات طويلة.

رابعاً: استخدامه الاسلوب القصصي:

حاول ابن أعثم أن ينظم موضوعاته من خلال استخدامه الأسلوب القصصي في عرض مادته، مظهراً براعة فائقة في عرضه للأحداث، جاعلا منها صوراً مجسمة أمام القارىء، متعايشاً مع وقائعها وفعاليات
أحداثهافهو بذلك أحد الإخباريين الذين لديهم القدرة على تنظيم الأخبار، وسردها بأسلوب قصصي مترابط(٣٧).

الخاتمة

إن نظرة عابرة لنتاجات الفكر والفلسفة والفكر الانساني يظهر لنا مدى اختلاف المنهجية من شخص لآخر ومن مدرسة لأخرى ومن مذهب لمذهب اخر . وكل هذا يعتمد على الواقع والزمان والمكان والمعرفة والتراث .

والانسان عندما يفكر بشيء ما او يحاول تحليل او تفسير شئ ما يعتمد في ذلك كله على تلك المنهجية التي تشكلت لديه . ولهذا فالمنهجية ضرورية للفرد وللمجتمع لأنها الطريق الى الحقيقة وبها يستطيع الانسان بناء المعرفة .ونحن عندما نريد ان ندرس شئ او ظاهرة او علم يجب ان ننتبه الى منهجية الشخص الذي بنا هذه الفكرة او من قام بتحليلها وتفسيرها لان قضية المنهجية في بعدها الفكري لا تنفصل عن الواقع والحياة. فغاية الفكر إقامة الحياة المثلى . وإذا انعزل الفكر عن الحياة فإنه يفقد فاعليته وتتجاوزه الحياة. وكذلك الحياة إذا غايرت الفكر السليم ضلّت الطريق وسقطت في متاهات القيم والتصورات الخاطئة.وان الأزمة الفكرية التي تعاني الأمة منها، ما هي الا وجه من وجوه غياب المنهجية الفكرية.

ولّما كانت المنهجية هي علم بيان الطريق، فإن الوعي المنهجي ضرورة لازمة لأنّ الطريق قد يطول وتعتريه الكثير من العوارض وتتعدد فيه المنازل، فما بين المنحنيات التي قد تخرج السالك عن سبيله، وما بين المعارج التي قد ترتفع به لتفسح الآفاق، تكثر المزالق والمهلكات التي تتعثر إزاءها الخطوات، وعندها تكون المنهجية مصدراً لابتغاء الرشد.

ومع أن كثيراً من المفكرين والباحثين المسلمين قد كتبوا –قديماً وحديثاً– عن المنهجية وأهميتها وضرورة التفكير المنهجي ومظاهر الخلل في فعاليات العقل المسلم، فإن مظاهر التخلف العديدة في الواقع المعاصر للأمة المسلمة يشهد على كثير من الخلل المنهجي في

التفكير وفي البحث وفي التعامل مع الأمور؛ الأمر الذي يستدعي استمرار التنبيه على أهمية الموضوع، ودعوة فئات الأمة عامة والقيادات الفكرية الواعدة فيها على وجه الخصوص، إلى التمكن من متطلبات التفكير المنهجي ولوازم العمل المنهجي، في ميادينه ومستوياته المختلفة.

**الخلاصة**

يؤثر المنهج وطريقة التفكير تأثيراً بالغ الأهمية على أسلوب الحياة، وطريقة التعامل، وصيغة الحضارة التي يصنعها الإنسان،فما نشاهده من أنماط مختلفة من أحداث التاريخ، وصيغ الحضارات، وأنواع العلوم والمعارف التي تظهر في كل مرحلة من مراحل التأريخ، يرجع في الأساس إلى طريقة تفكير الإنسان ونهج تعامله مع الموجودات، ومدى قدرة هذا التفكير والمنهج على الاستيعاب والتشخيص.

في هذا البحث سنسلط الضوء على مؤرخ من مؤرخي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ويعد كتابه الفتوح من الكتب التاريخية الهامة التي عنيت بالفتوحات والأحداث من عصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين إلى خلافة هارون الرشيد الا انه لم يحظ باهتمام مؤلفي كتب الفتوح والتاريخ، أو باهتمام الباحثين في التأريخ، انه أحمد بن أعثم بن نذير بن حباب بن حبيب الأزدي الكوفي وشهرته ابن أعثم الذي انقسم اصحاب كتب المعاجم والطبقات في اصوله الفكرية وشككوا بصحة كل ما في الكتاب بل قالوا انه لابد من اخضاع كل ما في كتب التاريخ للتمحيص والتدقيق وجمع القرائن للوصول الى النتيجة الصحيحة.

**Abstract**

The curriculum and way of thinking have a very important impact on the way of life, the way of dealing, and the form of civilization that man makes. What we see from different types of history events, the forms of civilizations, the types of science and knowledge that appear at every stage of history, Human and the approach of dealing with assets, and the extent of the ability of this thinking and the method of absorption and diagnosis.

In this research, we reviewed a historian of the third century AH / ninth century AD, and his book Al-Fotouh of important historical books that

meant the events from era of the Al-Rashdeen Caliphs , and the Umayyad and Abbasid Caliphate to the Abbasid Caliph Haroon AL-Rasheed, but he did not receive the attention of the authors of the books and history, The researchers in history, that Ahmed ibn A'tham bin Nazir bin Habab bin Habab Al-Azdi Al- Kufi and his fame Ibn A'tham Al-kufi, who the owners of books and dictionaries split in the intellectual origins and questioned the validity of everything in the book, but said that everything must be subject in the history books for scrutiny and scrutiny and the collection of clues to get the right result.□

**الهوامش:**

(١) محمد عمارة- مقام العقل في الإسلام- نهضة مصر-٢٠٠٨ - ص ٥٨٨.

(٢) أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي( ت ٦٢٦ ه /١٢٢٨ م )،معجم الأدباء، تحقيق محمد وعبد الزهرة المرعشلي، ج٧، ط ١، إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ، بيروت، ١٩٩٦ . ج ١، ص ٤٢٩ ينظر ايضا: خير الدين الزركلي، الاعلام، ج ١، ص ٩٦ ينظر ايضاً: حمزة السهمي، ، تاريخ جرجان، حيدرآباد -الدكن، ١٣٨٧هـ- ص٥٠

(٣)أبو سعده-ابن أعثم ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٨٧ ، ص ٣٦.

(٤)فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. د. ت ، ص ٥٢٧.

(٥)عمر رضا كحاله، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٢ ، ج ١، ص ١٥.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ١،مصدر سابق- ص ٤٢٩.

(٧) شهاب الدين بن أحمد بن علي بن محمد ابن حجر، العسقلاني الشافعي( ت ٨٥٢ ه /١٤٤٨ م ) -لسان الميزان، تحقيق محمدعبد الرحمن المرعشلي، ج ٩، دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٥ م، ، ص ٢٠٦.

(٨) السيد عبد الله شرف الدين، موسوعات رجال الشيعة، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١١ ه- ١٩٩١ م، ج ٧، ص٩٥ . ينظر ايضاً: محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦ ه /١٩٨٦ م، ، ص ٥.

(٩)السيد عبد الحسين شرف الدين ، المراجعات، نور الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١ م، ص ٢٥١-٢٦٩.

(١٠) أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، اعتناء إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤ ، ص ٢٧١.

(١١)احمد ابن أعثم، الفتوح، ج ٤، دار الاضواء للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤١١ هـ ، ص ١٦١. ينظر ايضاً: أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي الصدوق ( ت ٣٨١ ه ٩٩١ / م ) علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ١، ص ١٤٠.

(١٢)احمد ابن أعثم، الفتوح، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(١٣)احمد ابن أعثم، الفتوح،، المصدر سابق،ج٦ ،ص٢٥١.

(١٤) محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي،( ت ١٠٧٠ ه / ١٦٥٩م ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار، اللجنة الثقافية لدار الكتاب الإسلامي،مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٩٨٩ م .ج ٢٥ ، ص ١٩٤.

(١٥) محمد الموسوي الشيرازي، ليالي بيشاور، مؤسسة البلاغة، بيروت، ١٩٩٩ م، ص ٤٢٦ ، ٥٥٣

(١٦)علي بهراميان، ابن أعثم الكوفي، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٢، ص ٤٠١ .

(١٧)ابن أعثم، الفتوح، ج ٨، ص٢٤٨ ،٢٥٢.

(١٨)ابن أعثم، الفتوح، ج ٦، ص ١٦١.

(١٩)ابن أعثم، الفتوح ج ٧، ص٥٢، ١٣٨،١٣١،١١١

(٢٠)ابن أعثم، الفتوح ج ٧، ص٥٢، ١٣٨،١٣١،١١١

(٢١)ابن أعثم، الفتوح ج ٧، ص٥٢، ١٣٨،١٣١،١١١

(٢٢)ابن أعثم، الفتوح ج ٧، ص٥٢، ١٣٨،١٣١،١١١

(٢٣) فتحي حسن ملكاوي منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢.ط: الأولى، الرباط، المملكة المغربية. ص:١٢٩.

(٢٤)عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، ١٤٠٤ ه / ١٩٨٣ م .ص٥٢.

(٢٥)ابن أعثم، الفتوح، ج ٦، ص ٢٥٣.

(٢٦)ابن أعثم، الفتوح، ج ٨، ص٨٢.

(٢٧)المصدر نفسه،ج٨، ص ١٥٩.

(٢٨)المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٩٧.

(٢٩)المصدر نفسه، ج ٦، ص١٦١.

(٣٠)المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٤٨.

(٣١)أبن أعثم، الفتوح، ،ج٤، ص١٦٨

(٣٢)المصدر نفسه ،ج٤ ، ص ١٦٩.
(٣٣)المصدر نفسه ،ج٥ ، ص ١٠٩، ص ٢٥١
(٣٤)المصدر نفسه ،ج٥ ، ص ١٠٩، ص ٢٥١
(٣٥) المصدر نفسه، ج ٥، ص٢٥٦
(٣٦)المصدر نفسه، ج ٥ ، ص ٣٠٣.
(٣٧)عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ م، ص ٨٣.

**المصادر:**


١-احمد ابن أعثم، الفتوح، ج ٨،٧،٦،٥،٤ دار الاضواء للطباعة والنشر ، بيروت ،١٤١١ هـ ،

٢-أبو سعده-ابن أعثم ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٨٧.

٣-خير الدين الزركلي، الاعلام، ج ١، ص ٩٦ ينظر ايضاً: حمزة السهمي، ، تاريخ جرجان، حيدرآباد -الدكن، ١٣٨٧هـ.

٤-أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي( ت ٦٢٦ ه /١٢٢٨ م )،معجم الأدباء، تحقيق محمد وعبد الزهرة المرعشلي، ج٧، ط ١، إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ، بيروت، ١٩٩٦ .

٥-شهاب الدين بن أحمد بن علي بن محمد ابن حجر، العسقلاني الشافعي( ت ٨٥٢ ه /١٤٤٨ م ) -لسان الميزان، تحقيق محمدعبد الرحمن المرعشلي، ج ٩، دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٩٩٥ م.

٦- السيد عبد الحسين شرف الدين ، المراجعات، نور الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١ م،

٧-السيد عبد الله شرف الدين، موسوعات رجال الشيعة ،ج ٧، الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١١ ه-

٨-عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت، ١٤٠٤ ه /١٩٨٣ م

٩-عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧ م

١٠-علي بهراميان، ابن أعثم الكوفي، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٢،١٩٩١ م
١١-عمر رضا كحاله، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج ١،مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٢.
١٢-فتحي حسن ملكاوي منهجية التكامل المعرفي مقدمات في المنهجية الإسلامية المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠١٢.ط: الأولى، الرباط، المملكة المغربية.
١٣-فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. د. ت .
١٤-محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج ١٠، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦ ه /١٩٨٦ م.
١٥-محمد باقر بن المولى محمد تقي المجلسي،( ت ١٠٧٠ ه / ١٦٥٩م ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر إخبار الأئمة الأطهار، اللجنة الثقافية لدار الكتاب الإسلامي،مؤسسة أهل البيت، بيروت، ١٩٨٩ م
١٦-أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، اعتناء إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤.
١٧-أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بابويه القمي الصدوق ( ت ٣٨١ ه ٩٩١ / م ) علل الشرائع، ج١،مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٨ م
١٨محمد الموسوي الشيرازي، ليالي بيشاورمؤسسة البلاغة، بيروت، ١٩٩٩ م،
١٩-محمد عمارة- مقام العقل في الإسلام- نهضة مصر-٢٠٠٨.

# مقرئ الكوفة الفقيه زر بن حبيش الأسدي الكوفي ـ حياته وفقهه

أ.م.د. شفاء رشيد حسن
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية

( المقدمة )

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر الميامين ، ومن سار على هديهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد كانت وما زالت الكوفة مصدر إشعاع فكري وعلمي لكل الأجيال لما تحمله من رمزية وقدسية للمسلمين ، حيث احتضنت والتقت فيها مصابيح الهدى وعلماء الأمة ، فصارت مقصدا لكل من أراد أن ينهل من علمها ومعارفها لوجود الأئمة الأعلام والفقهاء الكبار من زمن الصحابة رضي الله عنهم الى يومنا هذا .

وإن الباحث ليقف متحيرا من دراسة أحد أعلامها لكثرتهم وتميزهم ومكانتهم العالية في قلوب الناس ، فكلهم حمل مبادئ الدين وتعاليمه ونشروها شرقا وغربا . فأخذ عنهم من أخذ فكان كالشمعة التي تضيء لتنير طريق الاخرين .

وكان من الذين نهلوا وأخذوا وحملوا من الرجال الصادقين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التابعي الجليل المقرئ الفقيه زر بن حبيش الأسدي الكوفي . ومن باب الوفاء لهذا الإمام الجليل الذي تفرق علمه في بطون الكتب وصعب على غير المختص أن يصل الى تصور لهذه الشخصية ، اخترته ليكون مدار بحثي ودراستي ، ليسهل على الناس الاطلاع والاقتداء بتلك النخبة الطيبة المباركة ، فأسميت بحثي : (مقرئ الكوفة الفقيه زر بن حبيش الأسدي الكوفي (حياته وفقهه)).

وقد كان منهجي في كتابة هذا البحث : أني تناولت حياته ، فبينت فيها كل شيء عنه ذكرته المصادر التاريخية وكتب التراجم .

ثم تناولت آراؤه الفقهية وما أثر عنه من فقه في مختلف أبواب الفقه . فبدأت في بيان منهجه في الاستنباط ، ثم ذكرت المسائل التي كان له رأي فيها ، فأبدأ بذكر رأي الامام زر بن حبيش ، ثم اذكر الذين ذهبوا الى هذا الرأي من الفقهاء من الصحابة ﷺ ،

والتابعين ، ومن وافقهم من أئمة المذاهب المعتمدين ، ثم أذكر الدليل على رأيه ورأي من وافقه فقط ، ولم أتطرق لذكر رأي المخالفين خشية الإطالة ، فيصبح البحث مملا كبيرا صعب التناول .

أما تقسيمي للبحث : فكان على مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة .

بينت في المقدمة أهمية الموضوع ، ومنهجي فيه ، وتقسيمي له .

أما المبحث الأول : فقد بينت فيه حياة الإمام زر بن حبيش الكوفي الشخصية والعلمية. وجعلته على مطلبين : المطلب الأول : حياته الشخصية . والمطلب الثاني : حياته العلمية.

والمبحث الثاني : تضمن منهجه في الاستنباط ، وآراؤه الفقهية . وهو على مطلبين . المطلب الأول : منهج الاستنباط عند زر بن حبيش الكوفي . والمطلب الثاني : آراؤه الفقهية .

ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

وختاما : أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

( المبحث الأول : حياة الإمام زر بن حبيش الكوفي الشخصية والعلمية )

( المطلب الأول : حياته الشخصية )

اسمه ونسبه : زر ـ بكسر أوله وتشديد الراء ـ بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي الكوفي ().

كنيته : أبو مريم ، وقيل : أبو مطرف ().

ولادته : لم تذكر لنا المصادر التاريخية سنة ولادة الإمام زر بن حبيش بالضبط ، إلا موطن ولادته وهي المدينة ، وبما أنه عاش مائة واثنان وعشرون عاما ، فبإنقاصها من سني وفاته والتي كانت سنة (٨١ هـ ) يتبين لنا أنه ولد سنة ( ٤١ ق . هـ ) تقريبا ، أي في سنة ( ٥٨٣ م ) على وجه التقريب ().

أسرته : لم تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم التي بين أيدينا أي شيء عن أسرته.

صفاته وسجاياه : نقلت لنا كتب التاريخ والتراجم الشيء القليل والقليل جدا عن صفات وسجايا الإمام زر بن حبيش ، والذي لا نستطيع من خلال ما ذكر رسم ملامح شخصية هذا الإمام ، ولكن من خلالها وعلى قلتها نستطيع أن نتعرف على شيء من شخصيته.

ومن ابرز صفاته أنه كان علويا محبا لعلي ﷺ ، ولأهل بيته .

ولكن هذا الحب لم يكن يدفعه الى التفرقة بين المسلمين ، بل كان يقف موقف الضد لكل من يرى رأيا يشق عصا المسلمين وكلمتهم ، قال عاصم : (( مر رجل على زر وهو يؤذن فقال : يا أبا مريم قد كنت أكرمك عن ذا ـ يقصد به الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ـ فقال له زر : إذاً لا أكلمك حتى تلحق بالله ))().

وكان واعظا لنفسه ولغيره ، ولم يكن يرى تقديم مرتبة لأحد إلا بالتقوى والورع ، ولم تكن تأخذه في الله لومة لائم .

أرسل إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يسترشده ويستنصحه ، فلم يأت بابه ، وإنما أرسل إليه كتابا يعظه فيه قائلا : ( ولا يطمعنك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحة بدنك فأنت أعلم بنفسك ، واذكر ما تكلم به الأولون :

إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كبر أجسادها
وجعلت أسقامها تعتادها فتلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأ الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق )().

فضلا عن كل هذا ، فقد كان من العباد المعروفين ، القارئين لكتاب الله ، قال عنه عاصم : (( ما رأيت أحدا أقرأ من زر ))(). وقال عنه أيضا : (( أدركت أقواما كانوا يتخذون هذا الليل جملا منهم زر ))().

وقال عنه أبو نعيم الأصفهاني : (( هو الإمام الوافد الغادي ، الذاكر في النادي ، وفد ليتعلم وغزا ليغنم ، الذي طالما تحمل الكلال طلبا للكمال ، فحفظ من الملال ، وثبت في الوصال )) ().

وكان إذا حضر الصلاة جاء بثوب واحد يشده على عاتقه ، وما ذلك إلا دليل على زهده وتقشفه في الحياة ().

وكان متعلقا بالمساجد منذ نعومة أظفاره إلى أن كبر وأصبح شيخا كبيرا قال ابن إدريس: (( رأيت زرا في المسجد يختلج لحياه من كبَر ))().

عصره : عاش الإمام زر بن حبيش في الجاهلية، ولذا فإنه يعد من المخضرمين ()، وقد قضى طورا من حياته في الجاهلية والطور الآخر في زمن النبي ﷺ ، إلا أنه لم ير النبي ﷺ ، ولذا فإنه يعد من كبار التابعين () .

وأدرك (رحمه الله) عصر الخلافة الراشدة ، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية أن له دورا في الأحداث التي حدثت زمن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ﷺ ، وعاش في زمن سيدنا علي ﷺ ، ولم يكن له دور في الأحداث التي حدثت في زمن خلافته.

ثم أدرك الخلافة الأموية ، ولم تذكر المصادر التاريخية أنه كان على تماس في الحياة السياسية ، وما ذلك إلا لورعه عن مثل هذه المسائل وإقباله على العبادة والبعد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذا الجو .

أما الناحية العلمية السائدة في ذلك الوقت فلم يكن الاتجاه نحو الحياة العلمية بذلك السلوك القوي ، كالذي نلاحظه في العصر العباسي فيما بعد ، وقد عاش في فترة كان الأساس فيها تدعيم سلطان الدولة الاسلامية ونشر الإسلام .

( المطلب الثاني : حياته العلمية )

مكانته العلمية واقوال العلماء فيه : رحل الإمام زر بن حبيش الأسدي الى الكوفة ، فأقبل عليه طلبة العلم ينهلون من معينه ، فقد كان عالما جليلا ، وهو مقرئ الكوفة . وقد اتفق العلماء على جلالة ، وعلم ، وثقة الإمام زر بن حبيش ().

فقد كان فقيها ، جليل القدر ، عالما ، ورعا ، من العباد ، وكان ذا فهم دقيق ثابت ، وكانت له مكانة علمية واجتماعية بين العامة والخاصة .

وكان حريصا على تلقي العلم ، حيث قال عن نفسه : (( كنت اختلف الى أبي بن كعب فقال لي : يازر ما تريد أن تدع آية إلا سألتني عنها ))().

وكانت له المكانة العالية بين أقرانه ، فكان الفقيه أبو وائل إذا جلس لا يتكلم ولا يحدث أدبا منه تجاه الإمام زر ().

شيوخه : كان للإمام زر بن حبيش العديد من الشيوخ من الصحابة ﷺ ممن عرفوا باعطاء العلم ، فأخذ منهم العلم ، وروى عنهم الأحاديث ، ومن أبرزهم ():

١. عمر بن الخطاب ﷺ .

٢. وعثمان بن عفان ﷺ .

وعلي بن أبي طالب ﷺ .

٣.وعبد الله بن مسعود ﷺ .

٤. وأبي بن كعب ﷺ .

٥. وعمار بن ياسر ﷺ .

٦. وحذيفة بن اليمان ﷺ .

٧.وعبد الرحمن بن عوف ﷺ .

٨.وعائشة (رضي الله عنها) .

٩. وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ .

تلاميذه : كان للإمام الجليل زر بن حبيش العديد من التلاميذ والطلاب الذين أخذوا منه العلم ، ورروا عنه الكثير من الروايات الحديثية ، وكان من أبرزهم ():

١. ابراهيم بن يزيد النخعي .

٢. أبو بردة بن أبي موسى .

٣.عامر بن شراحبيل الشعبي .

٤. سليمان بن مهران الأعمش .

٥. عدي بن ثابت الأنصاري .

وفاته : اختلف العلماء في سنة وفاة الإمام زر بن حبيش على آراء :

الرأي الأول : أنه مات سنة ( ٨١هـ ) ().

الرأي الثاني : أنه مات سنة ( ٨٢ هـ ) ().

الرأي الثالث : أنه مات سنة ( ٨٣هـ ) ().

والذي يبدو لي أنه مات سنــة ( ٨١هـ ) على أرجح الآراء ؛ وذلك أنه توفي قبل وقعة دير الجماجم ، وهي وقعة حدثت في سنة ( ٨١هـ ) ().

( المبحث الثاني : منهج الإمام زر بن حبيش في الاستنباط ، وآراؤه الفقهية )

( المطلب الأول : منهج الاستنباط عند زر بن حبيش الكوفي )

من خلال بحثي عن آراء الإمام زر بن حبيش الكوفي الفقهية والوقوف عليها وجدت أنه اعتمد كمصدر لتشريع الأحكام على : القران ، والسنة ، والإجماع.

( المصدر الأول : القران الكريم )

هو كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ بالوحي ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا نقلا متواترا بلا شبهة ، وهو اسم للنظم والمعنى جميعا ().

ويعد القران الكريم هو المصدر الأول للفقه عند الإمام زر بن حبيش ، وهو الأصل الذي يستنبط منه الأحكام الفقهية ، فهو يردها إلى آياته ما وسعه الرد ، ولا يخرج عن آياته إلى غيرها إلا أن يفتقد الحكم فيها فيطلبه في السنة .

ومن أمثلة ما استدل بالقرآن في مسألة : العدد اللازم لانعقاد الجمعة .

( المصدر الثاني : السنة النبوية الشريفة )

السنة عند الأصوليين : ما صدر عن رسول الله ﷺ من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو ولا معجز ولا داخل في المعجز من قول او فعل او تقرير () .

ولا خلاف بين المسلمين باعتبار السنة النبوية الأصل الثاني من أصول الأحكام ، إلا أن الخلاف حصل في كيفية استنباط الأحكام منها .

وفي فقه الإمام زر بن حبيش ما يدل على أنه كان يرجع في استنباط الحكم بعد القران إلى السنة قولية كانت أم فعلية . فمن الشواهد على السنة القولية مسألة : السجود في ثانية الحج . ومن السنة الفعلية ما ورد في الحكم فيمن يمشي مع الجنازة ، أين يكون مشي المشيع فقد اخذ بفعل النبي ﷺ .

( المصدر الثالث : الإجماع )

هو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على أمر من الأمور ().

والإجماع قسمان :

الإجماع الصريح : وهو أن يبدي المجتهدون آراءهم صريحة ثم يجمعون على رأي واحد().

الإجماع السكوتي : وهو أن يبدي المجتهد رأيه في مسألة ويبلغ هذا الرأي الآخرين ولا يبدون رأيهم صريحا لا قبولا ولا إنكارا ، ولم يكن هناك مانع من إبداء الرأي().

وقد استدل الإمام زر بن حبيش بالإجماع ، كما في مسألة : دخول الصبيان الى المساجد.

( المطلب الثاني : آراء الإمام زر بن حبيش الكوفي الفقهية )

المسألة الأولى : المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل :

اتفق العلماء على أن المرأة إذا رأت في منامها ما يرى الرجل فإنها تغتسل إذا رأت بللا().

وهو رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي . نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وهو قول عامة الصحابة والتابعين .

وإليه ذهب : أهل العلم كافة (). قال الترمذي : ولا نعلم فيه خلافا ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما روي عن أم سليم أنها جاءت الى النبي ﷺ فقالت : ﴿ إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم اذا رأت الماء ﴾().

٢. ما روي عن خولة بنت حكيم انها سالت النبي ﷺ : ﴿ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقال : ليس عليها غسل حتى تنزل ، كما ان الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل ﴾ ().

وجه الدلالة : إن الضابط في مسألة الإنزال هو وجود البلل لا الاحتلام ، فإذا عدم البلل لا يعتبر بالرؤيا ().

المسألة الثانية : موضع الإزار :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : إن الإزار الى منتصف الساق أو قريب منه .

نقل ذلك عنه ابن ابي شيبة ().

وجوز الفقهاء كافة ما تحت الساق الى الكعبين بلا كراهة ().

واستدلوا : بما روي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : ﴿ أزرة المسلم الى نصف الساق ، ولا حرج او لا جناح فيما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار ، من جرَّ إزاره بطرا لم ينظر الله إليه ﴾().

وجه الدلالة : يدل الحديث على أن إزار المسلم يصل الى نصف ساقه ، وهذه الهيئة هي المرضية ويمكن له إطالة إزاره او ثوبه الى الكعبين وما كان تحت الكعبين مع التكبر فهو في النار .

المسألة الثالثة : العدد اللازم لانعقاد الجمعة :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : إن الجمعة تنعقد باثنين أحدهما الإمام .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وإليه ذهب : الظاهرية () .

واستدلوا : بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ... الاية ﴾() .

وجه الدلالة : قال ابن حزم : (( إن الآية قد أوجبت الجمعة على كل من اجتمعت فيه شرائط التكليف بها فلا يخرج من هذا الحكم أحد إلا بنص او إجماع وقد خرج الفذ بالإجماع ، لاتفاق العلماء على اشتراط الجماعة لصحة الجمعة ، والجماعة تنعقد باثنين ولم يرد دليل صحيح باشتراط عدد أكثر من ذلك لصحة الجمعة ، فتبقى على الأصل ، وهو انعقادها بما تنعقد به الجماعة)) () .

المسألة الرابعة : التنفل في أوقات الكراهة :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : يكره التطوع في أوقات الكراهة ، وهي خمس : طلوع الشمس حتى ترتفع ، وعند استوائها في كبد السماء حتى تزول ، وعند الاصفرار حتى تغرب ، وبعد صلاة العصر الى غروبها ، وبعد صلاة الفجر الى طلوعها حتى ترتفع الشمس قدر رمح او رمحين .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وإليه ذهب : مالك ، والشافعي ، وأحمد ، والإمامية ، والزيدية ، والظاهرية .

إلا أن الإمام مالك : أجاز الصلاة عند الزوال .

وذهب الإمامية : الى جواز التنفل بماله سبب كصلاة الزيارة والحاجة وغيرها.
وقال الشافعي : لا تكره فيما له سبب كسجود التلاوة ، وصلاة الجنازة ، وسنة الوضوء ، وتحية المسجد ، وبمثله قال احمد ().
واستدلوا بما يأتي :
١. ما صح عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ أنه قال : ﴿ ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن أو أن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس وحين تضيف الشمس للغروب وحين تغرب ﴾ ().
٢. ما صح عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ لا صلاة بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ﴾ ().
وجه الدلالة : إن الحديث يدل دلالة واضحة على نهي النبي ﷺ عن صلاة التطوع في وقتين بعد العصر ، وبعد الفجر .
٣.ما وري عن قتادة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ﴾ ().
٤. ما روي عن أبي هريرة ﷺ : ﴿ إن الرسول ﷺ قال لبلال : يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ، قال : ما عملت عملا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل او نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي ﴾ ().
وجه الدلالة : الحديث يدل على أن طهوره ربما وافق وقت كراهة فيتطوع في وقته ما شاء أن يصلي .
يرد عليه : هذا في الصلاة التي لها سبب على ما قاله الشافعي فلا حرج فيها .
٥. ما كان عليه فعل أهل المدينة من جواز الصلاة عند الزوال ، وهو ما أخذ به مالك().
المسألة الخامسة : دخول الصبيان الى المسجد :
لا خلاف بين العلماء على كراهة الإتيان بالصبيان غير المميزين والذين يعبثون لصغرهم ، أما إذا كانوا لا يعبثون لصغرهم ويكفون إذا نهوا ، فلا بأس بذلك ويكون وقوفهم مما يلي صف الرجال في آخره ثم يلونهم النساء .

وهو رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي .

نقل ذلك عنه : ابن ابي شيبة ().

وإليه ذهب : الأئمة الأربعة ، والزيدية ، والإمامية ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما وري عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ جنبوا مساجدكم صبيانكم ، ومجانينكم ورفع أصواتكم ... الحديث ﴾ ().

وجه الدلالة : إن قوله ﷺ ( جنبوا ) أمر باجتناب الإتيان بالصبيان الذين لا يميزون الى المساجد ، وذلك لعبثهم داخله .

٢. ولأن الصبيان لا يؤمن تلويثهم للمسجد ، لأنهم لا يتحفظون عن النجاسة ().

المسألة السادسة : السجود في ثانية سورة الحج :

لا خلاف بين العلماء في وجوب السجود في سجدة الحج الأولى ().

واما السجود في ثانية سورة الحج :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : أنه يسجد في ثانية الحج .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وروي ذلك عن : عمر ، وعلي ، وابن عمر ، وأبي الدرداء ، وأبي موسى الأشعري ، وأبي العالية الرياحي (رضي الله عنهم) .

وإليه ذهب : الشافعي ، وأحمد في رواية ، والزيدية ، والإمامية ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما روي عن عقبة بن عامر قال : ﴿ قلت يارسول الله في الحج سجدتان ؟ قال: نعم ، من لم يسجدهما فلا يقرأهما ﴾ ().

٢. ما روي عن عمرو بن العاص ﷺ ﴿ ان رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القران منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان ﴾ ().

٣.ما روي عن ابن عمر ﷺ أنه قال : ( لو كنت تاركا إحداهما لتركت الأولى وذلك لأنها اختيار ، والثانية أمر ) ().

٤. وهو قول الصحابة ﷺ ، ولم يعرف لهم مخالف في العصر الأول ، فكان إجماعا ().

المسألة السابعة : السجود في سورة النجم :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : إنه لا سجود في سورة النجم .

نقل ذلك عنه : ابن ابي شيبة () .

وروي ذلك عن : ابن عمر (رضي الله عنه) ، والحسن ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، وعطاء ، ومجاهد ، وطاووس .

واليه ذهب : مالك في رواية ، والشافعي في القديم ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما روي عن زيد بن ثابت قال : ﴿ قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها ﴾ ().

٢. ما روي عن ابن عباس ﷺ : ﴿ إن النبي ﷺ لم يسجد في شيء من المفصل منذ تحول الى المدينة ﴾ ().

يرد عليه : في سنده أبو قدامة الحارث بن عبيد ، ضعفه أحمد ، والنسائي وغيرهما().

وكذلك : إن ترك النبي ﷺ للسجود إنما ينافي الوجوب لا الندب ().

٣.ما روي عن أبي الدرداء قال : ﴿ قد سجدت مع النبي ﷺ احدى عشرة سجدة ، ليس فيها من المفصل شيء.... الحديث ﴾ ().

يرد عليه : في اسناده عثمان بن فايد ، وهو ضعيف () .

المسألة الثامنة : عدد التكبيرات في صلاة الجنازة :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : إن التكبير على الجنازة أربع تكبيرات مع تكبيرة الاحرام .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة () .

وروي ذلك عن : عمر ، وابنه عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وجابر ، وأبي هريرة ، والحسن بن علي ، ومحمد بن الحنفية ، وعطاء ، والأوزاعي .

وإليه ذهب : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ().

واستدلوا بما يأتي :

ما روي عن أبي هريرة ﷺ : ﴿ إن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم الى المصلى ، فصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات ﴾ ().

وجه الدلالة : إن الحديث صريح في صفة الصلاة التي صلاها النبي ﷺ على النجاشي حيث كبر أربع تكبيرات مع تكبيرة الاحرام .

المسألة التاسعة : مكان المشيع من الجنازة :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : إن الأفضل لمشيع الجنازة أن يمشي أمامها.

نقل ذلك عنه : البروي ().

وروي ذلك عن : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وابن عباس ، وابن الزبير ، والحسن بن علي ( رضي الله عنهم )، وشريح ، والقاسم ، وسالم ، وعروة .

واليه ذهب : مالك ، والشافعي ، واحمد ، والظاهرية ، والزيدية ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما روي عن سالم عن ابن عمر ﷺ : ﴿ إن رسول الله ﷺ ، وأبا بكر ، وعمـــر ، كانوا يمشون أمام الجنائز ﴾ ().

٢. ما روي عن الزهري : ﴿ إن النبي ﷺ كان يمشي أمام الجنازة ، وقال : اخبرني سالم بن عبد الله أن أباه ـ أي ابن عمر ـ كان يمشي أمام الجنازة ﴾().

وجه الدلالة من الحديثين : إن لفظة ( كان ) عبارة عن دوام الفعل والمقام عليه ، والنبي ﷺ يفعل الجائز مرة ، ولا يدوم إلا على الأفضل ().

٣.ما روي عن عمر أنه قال للناس في جنازة زينب بنت جحش : ( امشوا أمام أمكم)().

٤. ما روي عن الزهري قوله : المشي خلف الجنازة من خطا السنة ، أي من مخالفتها ().

المسألة العاشرة : ليلة القدر :

رأي الإمام زر بن حبيش : إن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان.

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وروي ذلك عن : أبي بن كعب ﷺ . وهو رواية عن : ابن عباس ﷺ ().

والحجة لهم :

١. ما رواه زر بن حبيش عن أبي بن كعب أنه سأله فقال : ( سألت أبي بن كعب ، فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر . فقال : رحمه الله أراد ألا يتكل الناس ، أما إنه قد علم أنها في شهر رمضان ، وأنها في العشر الأواخر

، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين . فقلت : بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ فقال : بالعلامة التي أخبرنا رسول الله ﷺ ، وفي الشمس من صبيحتها أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها ) ().

٢. كان ابن عباس ﷺ يقول : إنها ليلة السابع والعشرين فقيل : له ومن أين تقول : ذلك قال : لأن سورة القدر ثلاثون كلمة وقوله ( هي ) الكلمة السابعة والعشرون وفيها إشارة إلى ليلة القدر ().

المسألة الحادية عشرة : حكم لبس المعصفر () للمحرم :

رأي الامام زر بن حبيش الكوفي : لا يحرم لبس المعصفر ، ولا فدية فيه .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة () .

وإليه ذهب : مالك ، والشافعي ، وأحمد في الصحيح من مذهبه ، والإمامية ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما روي عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في لباس المحرمة : ﴿ ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب معصفرا أو خزا أو حليا أو سراويل أو قميصا أو خفا ﴾ ().

٢. ما روي عن عثمان ﷺ أنه رأى على عبد الله بن جعفر ﷺ رداء معصفرا في إحرامه فأنكر عليه ذلك ، فقال علي ﷺ : ما أرى أحدا يعلمنا السنة ().

وجه الدلالة : إن قول علي ﷺ ( يعلمنا السنة ) له حكم المرفوع ، وفيه دليل على أن لبس المعصفر هو مما لم ينكره النبي ﷺ .

٣.إنه لا لون له ولا طيب ، فيجوز لبسه ().

المسألة الثانية عشرة : المسجد ينسب لبني فلان :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : جواز نسبة المسجد لأحد من الناس سواء كان حيا أو ميتا .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وروي ذلك عن : أبي وائل ().

والحجة لهم :

١. ما روي أن رسول الله ﷺ : ﴿ كان يصلي الظهر في مسجد بني سلمة ، فلما صلى ركعتين نزل عليه صرف القبلة إلى الكعبة واستدار حتى جعل وجهه إلى الكعبة فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ﴾ ().

وجه الدلالة : لم يثبت أن النبي ﷺ أنكر التسمية أو عمل على تغييره .

٢. ما روي عن عبد الله بن شداد أنه قال : ( لقد رأيت عليا ﷺ في مسجد بني فلان ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ) ().

وجه الدلالة : إن قوله ( في مسجد بني فلان ) أن نسبة المسجد لأحد من الناس هي مما كان متعارفا عليه في ذلك الزمن ، ولم يثبت إنكار أحد على هذه التسمية.

المسألة الثالثة عشرة : شرب نبيذ الجر :

رأي زر بن حبيش الكوفي : جواز الانتباذ في الدباء ، والحنتم ، والنقير ().

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وهو رواية عن : علي بن أبي طالب ﷺ .

وإليه ذهب : الحنفية ، والشافعية ، وأحمد في الصحيح من مذهبه ، والظاهرية ().

واستدلوا بما يأتي :

١. ما صح عن أبي بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ نهيتكم عن ثلاث وأنا آمركم بهن : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة ، ونهيتكم عن الأشربة أن تشربوا إلا في ظرف الأدم فاشربوا في كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكرا ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي أن تأكلوها ﴾ ().

٢. ما صح عن جابر بن عبد الله ﷺ قال : ﴿ لما نهى رسول الله ﷺ عن الأوعية ، قالت الأنصار : إنه لا بد لنا ، قال : فلا إذن ﴾ () .

وجه الدلالة : إن النهي قد نسخ بنص رسول الله ﷺ فينبغي المصير إليه ().

المسألة الرابعة عشرة : هدايا السلطان :

رأي الإمام زر بن حبيش الكوفي : كراهة قبول هدايا السلطان عامة .

نقل ذلك عنه : ابن أبي شيبة ().

وروي ذلك عن : سعيد ، والقاسم ، والثوري ، وابن المبارك .

وكان هذا منهم على سبيل الورع لا على أنها حرام كما قال ذلك ابن قدامة ().
وإليه ذهب : أبو حنيفة ، وأحمد في المشهور عنه ().
إلا أن أبا حنيفة قال : لا يجوز قبول هدية أمراء الجور إلا إذا علم أن أكثر ماله حلال ().

( الخاتمة )

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافىء مزيده ، ياربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ، وأترضى عن آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين .

أما بعد :

ففي ختام هذا البحث توصلت الى نتائج أهمها :

١. يعد الإمام زر بن حبيش الكوفي أحد الأعلام البارزين الذين تركوا أثرا واضحا في الحياة العلمية في الكوفة .

٢. إن دراسة فقه السلف تحتاج الى دراسة دقيقة ، وعميقة ، بعيدة الغور ، ذلك لأن تراثهم الفقهي قد نقل إلينا مما نجده في كتب التفسير والفقه والآثار .

٣.إن أكثر مسائل الإمام زر بن حبيش كانت في باب العبادات .

٤. إن الورع والاحتياط ظاهر في آراء الامام زر بن حبيش ، وقد تجلى هذا من خلال المسائل التي عرضتها .

٥. من خلال المسائل التي ذكرتها في فقه الإمام زر بن حبيش ، والاستدلال له ولمن وافقه تبين أن الإمام يستدل لرأيه بالمنقول ـ وهو الأكثر ـ من مصادر التشريع.

وختاما : أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين .

الملخص:

كانت وما زالت الكوفة مصدر إشعاع فكري وعلمي لكل الأجيال لما تحمله من رمزية وقدسية للمسلمين ، حيث احتضنت والتقت فيها مصابيح الهدى وعلماء الأمة ،

فصارت مقصدا لكل من أراد أن ينهل من علمها ومعارفها لوجود الأئمة الأعلام والفقهاء الكبار من زمن الصحابة رضي الله عنهم الى يومنا هذا . وإن الباحث ليقف متحيرا من دراسة أحد أعلامها لكثرتهم وتميزهم ومكانتهم العالية في قلوب الناس ، فكلهم مبادئ الدين وتعاليمه ونشروها شرقا وغربا ، فأخذ عنهم من أخذ فكان كالشمعة التي تضيء لتنير طريق الاخرين ، وكان من الذين نهلوا وأخذوا وحملوا من الرجال ، التابعي الجليل المقرئ الفقيه زر بن حبيش الكوفي . ومن باب الوفاء لهذا الإمام الجليل الذي تفرق علمه في بطون الكتب وصعب على غير المختص أن يصل الى تصور لهذه الشخصية ، اخترته ليكون مدار بحثي ودراستي ، ليسهل على الناس الاطلاع والاقتداء بتلك النخبة الطيبة المباركة .

وقد كان منهجي في كتابة هذا البحث : أني تناولت حياته ، فبينت فيها كل شيء عنه ذكرته المصادر التاريخية وكتب التراجم . ثم تناولت آراؤه الفقهية وما أثر عنه من فقه في مختلف أبواب الفقه ، فبدأت في بيان منهجه في الاستنباط ، ثم ذكرت المسائل التي كان له رأي فيها ، فأبدأ بذكر رأي الامام زر بن حبيش ، ثم اذكر الذين ذهبوا الى هذا الرأي من الفقهاء من الصحابة ﷺ ، والتابعين ، ومن وافقهم من أئمة المذاهب المعتمدين ، ثم أذكر الدليل على رأيه ورأي من وافقه فقط ، ولم أتطرق لذكر رأي المخالفين خشية الإطالة ، فيصبح البحث مملا كبيرا صعب التناول .

أما تقسيمي للبحث ، فكان على مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة . بينت في المقدمة أهمية الموضوع ومنهجي فيه وتقسيمي له . أما المبحث الأول : فقد بينت فيه حياة الإمام زر بن حبيش الشخصية والعلمية ، وفيه مطلبان . والمبحث الثاني : تضمن منهجه في الاستنباط وآراؤه الفقهية . وهو على مطلبين . ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، والتي من أهمها:

١. إن دراسة فقه السلف تحتاج الى دراسة دقيقة ، وعميقة ، بعيدة الغور ، ذلك لأن تراثهم الفقهي قد نقل إلينا مما نجده في كتب التفسير والفقه والآثار .

٢. يعد الإمام زر بن حبيش الكوفي أحد الأعلام البارزين الذين تركوا أثرا واضحا في الحياة العلمية في الكوفة .

٣.إن أكثر مسائل الإمام زر بن حبيش كانت في باب العبادات .

٤. إن الورع والاحتياط ظاهر في آراء الامام زر بن حبيش ، وقد تجلى هذا من خلال المسائل التي عرضتها .

# مدينة الكوفة في كتابات المستشرقين لويس ماسنيون انموذجا

د. بيداء حيدر علي حسان العبودي
الجامعة العراقية ..كلية الاداب .. قسم التاريخ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات سبحانه لا اله الا هو نحمده ونشكره ونشهد ان لا اله الا هو و الصلاة و السلام على سيد المرسلين محمد الصادق الامين و اله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ..

و بعد ..

تعد الدراسات الاستشراقية مصدرا مهما للكثير من الغربيين لفهم الحضارة والثقافة الاسلامية فضلا عن اهميتها للعرب و المسلمين انفسهم ، اذ تناولها المستشرقون بصورة موضوعية وعلمية بحتة ، ولا يخفى عن الباحثين في هذا المجال ان للمستشرقين ميزات عديدة لابد من الوقوف عندها مثل نشاطهم في البحث وسعه اطلاعهم و حرصهم على الاطلاع على لغات الشعوب الشرقية ولاسيما العربية ، كذلك جدهم بالاستقصاء في البحث عن الاجزاء الدقيقة لدراساتهم الاستشراقية ..

ومن اهم تلك الدراسات دراسة المدن الاسلامية وعمارتها و البحث في بداية تكوينها ، حيث اولى المستشرقون اهتماما بالغا في هذا المجال و درسوا المدن و قارنوا ووضعوا الخطط لها و كانت مدينة مدينة الكوفة من اكثر المدن اهمية في نظر المستشرقين حيث نالت النصيب الاوفر من تلك الدراسات لما لها من اهمية تاريخية ودينية وحضارية في الدولة العربية الاسلامية..

لذلك كانت هذه الدراسة لتسليط الضوء على اهم من كتب عن هذه المدينة و هو المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون من خلال كتابه خطط الكوفة ، تناولت الدراسة توطئة عن مدينة الكوفة وانتقال المسلمين لها ثم تطرقت الدراسة الى اهتمام المستشرقين بالمدن الاسلامية عموما ثم اعطت الدراسة نبذة مختصرة عن حياة المستشرق الفرنسي واهم مؤلفاته وبعدها جاء لب الدراسة و هو كتابه مخطط مدينة الكوفة الذي توسع فيه

من حيث تمصير المدينة واهم قطائعها واسواقها و القبائل التي سكنت فيها مع التاكيد على اهم المصادر التي اعتمدها المؤلف في طرحهلاهمية مدينة الكوفة ..

توطئة

ورد اسم مدينة عاقولا كثيرا في المصادر السريانية لكن لا يعرف بالضبط متى شيدت بلدة عاقولا قيل انها بنيت في ارض الكوفة على انقاذ مدينة فرثية بناها الملك ولكاش (نولكاش الاول )(٥١ _ ٨٧ م ) واحيانا يرد اسم عاقولا ويقصد بها الكوفة او الكوفا.. وورد ان القائد سعد بن ابي وقاص قد عسكري بالقرب من مدينة الكوفة اي عاقولا مع العلم انه الكوفة لم تكن قد مصرت قبل فتح طيسفون اي في عام ١٧هجرية .. ونظرا لوجود اثار عشرة اديرة في ظاهر الكوفة لتساءلنا هل يمكن ان تكون بلدة عاقولا قد بنيت بالقرب من الكوفة قبلها بزمن ثم طالها عمران الكوفة فأندمجتا بعد توسيع مدينة الكوفة و يذكر في هذا الصدد انه كان في الكوفهة اسقفان احدهما نسطوري و الاخر يعقوبي يسكنون في دار الروم لان نصارى الكوفة كانوا يسمونها عاقولا بالسريانية[١]

ولقد كان من اهم نتائج التي ترتبت على انتصار العرب المسلمين في معركة القادسيه تاسيس مدينه الكوفة في سنه ١٧هجرية لاتخاذها مخيمات و معسكرات ولكي كيف تكون نقطة الانطلاق نحو بلاد فارس والديلم وطبرستان بعد معركة نهاوند بحسب قول عمر ابن الخطاب (لان يتخذوا دار هجرة و لا يجعل بينه وبينهم بحرا) [٢]..

وكان سعد بن ابي وقاص يعتقد ان المدائن هي المكان المناسب لسكن المقاتلين ولاسيما كونها كانت عاصمة للساسانين وتتمتع بالمناعة و التحصين فضلا عن تمتعها بموقع استراتيجي مهم يساعد المسلمين في الانطلاق نحو الشرق فأختطها سعد واسكن القبائل العربية فيها لكن سرعان ما استوبأها العرب مما دفعهم بامر من الخليفة الى التحول بعد ان كتب الخليفة عمر الى سعد يستفسر عن تغير الوان العرب و معالمهم بعد ملاحظته ذلك على الوفد الذي جاء يخبره بنتائج البحث فامره ان يفتش عن مكان يلائم العرب و حثه على ان يختار لهم ما يوافق طباعهم اذ قال (ان العرب لا يوافقها الا ما يوافق أبلها من البلدان )[٣]..

ويعد العامل المناخي الاساس في انتقالهم من المدائن لكنه ليس الوحيد بل كان الى جانبه العامل العسكري متمثلا بوجود حواجز طبيعية بين مركز الخلافة وبينها ويتضح ذلك من كتاب عمر(ان لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى ما اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم عليكم قدمت ).[٤]...

وشرع سعد بالتفتيش عن موضع مناسب تنطبق عليه الشروط فتحول الى الانبار واراد ان يتخذها منزلا للمسلمين ولكن كثرة الذباب في تلك المنطقة حالت دون ذلك فتحول الى سوق الحكمة [٥] ، وعند بعضهم الكويفة وهي منطقة دون الكوفة وهي كويفة ابن عمر [٦] ونظرا لعدم ملائمة هذه الاماكن لسكن العرب فيها ..

ولاسباب مناخية وواخرى ستراتيجية بعث حينذاك كلا من سلمان المحمدي وحذيفة بن اليمان بحثا عن مكان لائق فانطلق سليمان حتى اتى الانبار ثم سار غرب الفرات لا يرضاه شيئا حتى اتى الكوفة وسار حذيفة شرق الفرات ولم يرضه شيء سوى الكوفة وعندما اجتمع رئيهما عليها كتبا الى سعد بن ابي وقاص حيث ارتحل اليها واسكن العرب فيها في محرم سنة ١٧ هجرية وكانت الكوفة تمتلك مقومات قيام المدينة والتي من ابرزها الماء والكلأ والمحتطب[٧]..

وتفردت مدينة الكوفة بخصوصية مميزة لارتباطها بظاهرة الفتح الاسلامي حيث شكلت ثمرة مباشرة لعمليات الفتح ذلك ان مدينة الكوفة تحتل موقع القلب من المنطقة التي تدور فيها المعارك بين العرب و الامبراطورية الساسانية.. منطقة معدة لكي يعمرها المشاركون في القتال و يستقر فيها اغلب المجاهدين العرب و فضلا عن ذلك فقد تجاوز الفتح العربي للعراق مصير الكوفة بصفته قضية تاريخية ذلك ان الكوفة تندرج ضمن ظاهرة الفتح العربي الذي اكتسح العالم[٨]...

الاستشراق والمدينة الاسلامية

مع بداية حركة الاستشراق ازداد اهتمام المستشرقين بالقضايا التي تتعلق بالمسلمين مثل عمارة وتخطيط المدن الاسلامية بشكل ملحوظ وقد تاثرت هذه الدراسات بالمفاهيم و النظم الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية التي تحكم المدينة الغربية وبالتالي انتهت هذه الدراسات الى نتائج خالفت الواقع الى حد بعيد حيث انهم حاولوا اثبات عدم

مساهمة المسلمين في بناء المدن وان مدن المسلمين كانت امتداد للمدن الرومانية والساسانية فقط وان علم التخطيط هو علم حديث ظهر ابان الحرب العالمية الثانية [٩] لكن الحقيقة التي لامراء فيها ان المدن الاسلامية التي بناها المسلمون مثلت صورة صادقة للحضارة الاسلامية ما زلنا نراها في العديد من المدن الاسلامية حيث اختار المسلمون المواقع المميزة واضافوا اليها فنونهم المختلفة و المتعددة في شتى المجالات حيث تميزت هذه المدن باتجاهات تخطيطية و عمرانية كانت وليدة احتياجات ظروف سكانها و لم يكن حينها علم التخطيط معروف بمفاهيميه ونظرياته المعاصرة، و بدا الكثير من المخططون اليوم يعودون لانظمة وتخطيط المدن الاسلامية التي حققت التطابق و التوافق في الاحتياجات المادية والمعنوية التي انتجت تشكيلا معبرا عن المؤثرات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافي و الدينية[١٠] ..

وعلى الرغم من ذلك ظهر الكثير من المستشرقين امثال جرنوبيوم وكريسويل ولامنس الذين نقد وا المدن الاسلامية من جوانب مظهرية غير مدركين لحقيقة الفقه الذي انطلقت منه متجاهلين الجوانب المعنوية لهذه المدن ومن بين الحضارات المعمارية الكبرى تبدو المدينة الاسلامية اكثر تميزا مقارنة مع حضارات اخرىمثل حضارة الفراعنة و اليونان والرومان فنجد ان عمارة الفراعنة في اهراماتها ومعابدها عمارة متجهة نحو السماء في حين اهتم اليونان بجسم الانسان الذي كان موضوعا رئيسيا في عمارتهم ، اما بالنسبة للرومانيه فكانت عمارة ومبان ذا طبيعة اجتماعية مدنية تهتم بالشأن الدنيوي اليومي..[١١]

و قبل ظهور الحضارة الاسلامية وانتشارها في الجزيرة العربية الى اقصى الشرق والغرب شهدت منطقة بلاد الشام و العراق و سبأ و الجزيرة العربية تعاقبا لمختلف الحضارات التي اعطت البشرية ما لم تعطه الحضارة الرومانية و الساسانية التي ظهرت في اوروبا ، واستفادت الحضارة الاسلامية من ثمرات الحضارات التي سبقتها دون ان يؤثر ذلك في اساسيات الفقه المعماري لهذه المدن [١٢]

فقد كان التبادل الحضاري حاجز بين المدن العربية الاسلامية داخل رقعتها الجغرافية وكذلك بينها وبين ما جاورها من المدن في الية اختلف المستشرقون في تفسيرها وان

جنحت في معظم مفاصلها باتجاه غمط حق العرب المسلمين في ما ابدعوا به وحاولوا الصاق البداوة بالعرب وجعلها سبب تخلفهم ، وقالوا انه لا ينبغي اقران اسم العرب بالحضارة و العمارة لانهم اصحاب افكار باهته و بدائية [١٣]

ولقد حاول قسم كبير من المستشرقين النظر للمدينة العربية الاسلامية على وفق ما جاءت به نظريات علمائهم واختصاصيهم مثل نظرية ماكس وبير الشهيرة ذات الخصائص الخمسة و التي تسمى بنظرية النموذج المثالي او من سار على نهجه مثل المستشرق جروبانيوم والمستشرق بيرنيه و غيرهم و هذا بحد ذاته اسقاط مجحف لان المستشرقين لم يدركوا خصوصية المدينة الاسلامية لارتباطها بقواعد الشريعة، على ان اختلاف اراء قسم منهم في هذه النظرة مؤشر لبعض الانصاف في رؤية المدينة الاسلامية مثل نظرة المستشرق البرت حوراني و ريموند و غيرهم ومنهم من نظر لها وفق مؤسساتها الاجتماعية وكيفية السيطرة عليها من خلال ربط كافة شرائح المجتمع بنظام اساسه سلم التدرج في التركيبة الاجتماعية لذلك المجتمع و حسب ما قاله المستشرق غرونيباوم ( ان المستشرقين الفرنسيين المتخصصين في تاريخ المدن الاسلامية في المدن ولعون بها) [١٤]

ومن ابرز اولئك المستشرقون هو المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون الذي تناول مدينة الكوفة و مخططها وقبائلها حيث عد الاستقرار تجربة حاسمة في الكوفة التي كانت لديه نموذجا جديرا بان يبدي الراي فيه المخططون و تتبعه في ذلك ريتشارد يوليان و عرض كل منهما تفسيرا لهذا النجاح العظيم الذي بلغته عملية الاستقرار[١٣] حيث عزاها ماسينيون الى الدور الذي لعبه اليمنيون المتحضرون في القدم و عزاها يوليان الى فقدان الفاصل بين ظاهرة الترحال وظاهرة الاستقرار في ماضي الشرق قبل ظهور الاسلام[١٤]

لويس ماسينيون

يعد احد اعلام المدرسة الفرنسية للاستشراق و التي لعبت دورا مهما في الدراسات الاستشراقيه في جميع نتاجاتها العلمية والادبية و حسبنا نعرف ان اول مؤتمر للاستشراق في العالم عقد في سنة ١٨٧٣ في باريس [١٥]

و يعود الفضل لماسنيون في اكتشاف العديد من الاثار المهمة في المنطقة العربية كما وتنوعت نتاجاته العلمية والادبية التي تربو على ٦٠٠ ما بين كتب و مقالات و بحوث

منشورة في المجلات العلمية المتخصصة في الدراسات الاستشراقية [١٦]، ولد ماسينيون في فرنسا عام ١٨٨٣ في احدى ضواحي مدينة باريس لاسرة علمية معروفة [١٧] و في سن مبكرة من دراسته في الثانوية اسس مع مجموعة من اصدقائه الطلبة مجلة اطلق عليها اسم (نحلة فرنسا ) [١٨] ، ثم بعدها نال شهادة البكالوريوس في الاداب و الفلسفة سنة ١٩٠٤ وبعدها حصل على بكالوريوس الرياضيات و هو العلم الذي اولاه ماسينيون عناية فائقة وظل مولعا به حتى وفاته سنه ١٩٦٢..

كان لنشأة ماسينيون في عائلة علمية اثار مهما في كتاباته عن الشرق وحضارته اذ اشتهر والده فن النحت بعد ماترك دراسة الطب ، و يذهب عبد الرحمن بدوي في موسوعته الى ان ولادة ماسينيون في هذا الجو الفني الاثر البالغ في في فكره ونشاته كما انه عني بالاثار القديمه اذ ارسل سنة ١٩٠٧ على راس بعثة للتنقيب عن الاثار العراقية ونجح في الكشف عن مواقع اثرية مهمة تعود ا الى حقب تاريخية مختلفة وتكللت جهوده باكتشاف قصر الاخيضر

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى تم استدعاؤه من قبل الجيش الفرنسي ليعمل كمستشار لوزارة المستعمرات الفرنسية لمده خمس سنوات [١٩]

واعتقل ماسنيون سنة ١٩٠٨ من قبل السلطات العثمانية وزجبه في السجن بتهمة التجسس ولم يطلق سراحه الا بعد تدخل مباشر من عائلة الالوسي [٢٠] وظل يحتفظ لآل الالوسي ذلك الموقف النبيل و كان يفتخر انه اقام عندهم و اكرموا ضيافته وحصل منهم على مصادر مهمة ساعدته على اتمام اطروحته للدكتوراه [٢١] ، و بعد انتهاء الحرب العالمية عاد الى نشاط الاستشراقي وعين في عام ١٩١٩ رئيسا مؤقتا لقسم علم الاجتماع الاسلامي في كلية دو باريس [٢٢] تعلم الالمانية و العربية و الفارسية و التركية الامر الذي اتاح اطلاعه بصورة مباشرة عن المصادر الاساسية من تاريخ وثقافة الشعوب الشرقية و من العربية الاسلامية على وجه التحديد

لقد حجز ماسينيون لنفسه موقعا متميزا في عالم الدراسات الاستشراقية ونال شهرة واسعة في هذا المجال ، زار ايران و مكث فيها مدة ليست بالقصيرة والتقى بكبار علماء الشيعة [٢٣] ، واعتمد على بعض المؤلفين كالنفلي الشيرازي [٢٤]، وكتب عن الحركات

الباطنية كالاسماعيلية [٢٥]والعلوية والنصيرية [٢٦] ، وله بحث عن السيدة الزهراء وانصرف في اواخر حياته لدراسة قصة اهل الكهف في القرآن الكريم [٢٧]

مؤلفات لويس ماسنيون

اهم مؤلفات لويس ماسينيون :

١_ بحث بعنوان مهمة في ما بين النهرين مركز الدراسات العربية و الشرقية في القاهرة

٢_ بحث في الاصول اللغوية لمصطلحات التصوف الاسلامي

٣_ مختارات من نصوص غير منشورة تخص تاريخ التصوف في بلاد الشام

٤_ هجرة اسماعيل

٥_ حولية العالم الاسلامي بالاشتراك مع مونتي

٦_ اخبار الحلاج

٧_الطواسين

٨_ ديوان الحلاج

٩_عذاب الحلاج المتصوف الشهيد في الاسلام اربع مجلدات

١٠_ دروس في تاريخ المصطلحات الفلسفية العربية

١١_ مخطط الكوفة وغيرها من الكتب و المقالات و المحاضرات [٢٨]

وما يهمنا من كتابات ماسنيون هو كتاب مخطط الكوفة

كتاب مخطط الكوفة

تفرد المستشرق لويس ماسينيون في وضع الخريطة الطبوغرافية للكوفة القديمة و شرحها و ايضاح ما يتعلق بها من الوجهات التاريخية و السياسية و العسكرية و العلمية و الادبية و الاقتصادية [٢٩]ويطرح ماسينيون هذا التفرد في مقدمته حيث يذكر ان فكرة وضع الخريطة الخاصة بالمدينة كانت قد راودت كلا من المستشرق فلهاوزن وهنري لامنس لكنهم لم يحققاها ويخرجاها الى حيز الوجود ، و شخص عدم تنفيذ تلك الفكرة بانه نقص قد لاحظه في بعثته الاولى للعراق [٣٠] ثم يعلل وصفه خريطه مدينة الكوفة بانها مساعدة على دراسة التاريخ العراقي كذلك عدها درس اجتماعي في كيفية ائتلاف

الاعراب لحياة المدن و تحضرهم [٣١]و في رأينا المتواضع ان الكتاب لم يحط بما وصفه ماسينيون عن مدينة الكوفة من جميع جوانبها ..

عد ماسينيون الكوفة مركزا مهما لحادث اجتماعي عظيم و عاصمة لتاسيس الحضارة الاسلامية ووصفها بانها عاصمة واسعة لمستقبل اللغة العربية وعلومها ..واعتقد انه قصد بالحادث الاجتماعي هو انتقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب سلام الله عليه و اله و جعلها عاصمة لحكمه لكنه لم يتطرق ولو بشيء بسيط عن اهمية تلك المدينة مثل اسباب اختيار امير المؤمنين سلام الله عليه عاصمة لحكمه وان كان قد تطرق لاهميتها الجغرافية

و يطرح ماسنيون الفرق بين الزيارتين التي زار فيهما المدينة ويؤكد على ان الفائدة المتوخاة حدثت في الزيارة الثانية حيث كانت زيارته الاولى قد استغرقت ثلاثة ايام فقط و لم يتمكن من نقل شيء عنها سوى بعض الصور الفوتوغرافية و يستعرض ماسينيون في مجمل زيارته للمسجد و الاماكن المجاورة لها مثل قبر مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ويقارن ما بين الزيارتين الاولى و الثانية باشارته الى انه لم يتمكن من جمع ما يريد جمعه من المعلومات وذلك لوجود رفقاء له من اهل السنة حيث لم يستطيع سوى التقاط صورتين فوتوغرافيتين و لا نعرف سبب اشارته تلك وماذا كان يقصد من وراء ما اشار اليه رغم انه زيارته الثانية كانت في ١٩٠٨ ..

ويستطرد ماسينيون في وصفه للاماكن التي زارها مع شرح جغرافي مميز لتلك الاماكن ويقرن بعض الاماكن بالاحداث التاريخية مثل وصفه لمنطقة الحنانة [٣٢]حيث يقول (وهو الموضع الذي وضع عليه جثمان علي )و في الحقيقة ان الجثمان الطاهر قد مر بهذا الموضع والاصح انه كان قد وضع فيه راس الحسين سلام الله عليه و رؤوس اهل بيته اثناء طريقهم الى الكوفة ويكمل وصفه الدقيق للموقع الجغرافي لمدينة الكوفة و تشابك جد اولها واراضيها في فتره الفرس الاخمينيين و الفتره العثمانية ..

وتطرق الى تمصير الكوفة في سنة ١٧ هجرية و يصفها بانها كانت عبارة عن اكوام وكتل من الخصاص (اكواخ القصبية) في الاعوام الخمسة الاولى ومن ثم تطورت وبدأت تملؤها المساكن الحقيقية من الاجر في حين تذكر المصادر القليلة و الخاصة بالكوفة و

تشيدها الى ان الكوفة حصلت على خاصيات المصر الاساسية من اول انطلاقة لها ، و ربط ماسينيون الكوفة بالسواد وانا تستمد عيشها و قاعدتها المادية كنقطة لامتصاص الفيء ، ومرتبطة ببلادببلاد العرب حيث تستمد جوهرها البشري و الثقافي الا ان نشاطها ارتبط بالاحرى بالافق الفارسي الذي اتجهت الى بطاقتها الكاملة [٣٣]حيث استعرض فيه مراحل التمصير معرفا اياه بانه (الانتقال من مرحلة تجمع المعسكرات الى مرحلة التوزيع على حارات المدن )و اضاف (من المعلوم ان الكوفة بعد سنه هجرية ١٧ لم تكن خلال السنوات الخمس الاولى من انشائها سوى مجرد تجمع من خصاص القصب و اثناء ولاية المغيرة٢٢هجرية _ ٢٤ هجرية ظهرت مواقع الخيام المصففة بصورة دائمة في شكل حيطان صغيرة من لبن ، وفي سنة ٥٥ هجرية بدأ الشروع في بناء دور حقيقية من آجر وكان ذلك في ولاية زياد بن ابيه [٣٤].. اعتمد ماسينيون على ياقوت في معجم البلدان وأجتزأ عبارة (جدران صغيرة من لبن) لكن لم نجد لها ذكر عند هذا المؤلف ..

ويرى ماسينيون انها كانت اقامة عسكرية في البداية و فسر ضعف الاستقرار ( بان الكوفيين بذلوا نشاط اواسعا في منطقة الجبال واستقر القوم بعد معركة نهاوند سنة ٢١هجرية وبذلك عوضت الخيام ببيوت من لبن و يمكن ان تكون المناهج وحدها هي التي ابتنيت فحددت بحيطان صغيرة من لبن) على ان ماسنيون يماثلها بصفوف الخيام [٣٥] ويستعرض بمزيدا من الوضوح القبائل المستقرة ومواقعها ..

ينقل لنا الطبري بعض الاحداث في تسلسلها فحالما استقر اهل الكوفة طلبوا من عمر الاذن في البناء بالقصب ، ويذكر ان عمر لم يرفض مع انه كان يفضل البقاء بالمعسكرات ولا شك انه كان يؤيد نصب الخيام .. ويذكر انه شب حريق في شوال فقضى على كل شيء وحدث ذلك بعد عشرة اشهر من استقرار العرب وطالب اهل الكوفة بعد ذلك بأن يؤذن لهم الصلب [٣٦] يعني اللبن فكان ذلك منطلقا للتخطيط أي ان التخطيط قد تزامن مع قرار البناء .. و نستنتج من ذلك انه في فترة دامت عشرة اشهر برزت الى الوجود بصورة فوضوية و بدون تخطيط مسبق نواة مدينة ثابتة ومبنية بيوتها من قصب و هي متميزة عن المعسكر العادي لكنها لا تبتعد عنه كثيرا، كذلك الرغبة في البناء

الصلب أي انشاء مدينة حقيقية ظهرت بقوة وكانت سببا في كافة العمليات التي تؤدي الى تحقيق مشروع التخطيط و الدليل يقدمه علم الاثار بوجود شواهد تاكد على وجود قصر شيد تشيدا صلبا في المدة الاولى ، كذلك دور الاشراف كانت مبنية من الصلب أيضا [٣٧]

و ملخص القول ان المرحلة التي عدها ماسنيون خمسة اعوام هي فتره طويلة جدا حيث ساد التردد في بداية الامر و الاستقرار استتب بصورة فوضوية حيث ظهرت في الاول خصاص عفوية

على وجه ارض الكوفة معبرةعن الرغبة الجامحة في الاستقرار عليها فشكلت ما يشبه القرية العظيمة وجاء دور التخطيط و التمصير سريعا جدا باختلاف المادة المستخدمة في البناء فأنتصب على الارض شكل لمدينة مقبلة قادرة على حمل وجود جماعي جديد للاسلام و دائم و مدني و حضري ..

وقارن ماسينيون بين مدينة البصرة والكوفة حيث يشير الى اسبقية البصرة في التمدن و عزا ذلك الى كونها ميناء (ذلك الميناء الكبير و محل تنزيل البضائع من السفن وحفظها قبل تحميلها على ظهور الابل من المربد ) [٣٨] و قارن ايضا بين المدينتين من حيث الحركة العلمية اذ رجح الكوفة بالكتابة و الخط الكوفي كذلك في النثر و الشعر حيث وجد تطور ثقافي متعلق بالارث نحوي [٣٩]

وتناول ماسينيون تخطيط السكك و المقابر و طرق البريد و المفارق و القطائع كذلك تطرق الى الطبوغرافية الاقتصادية لمدينة الكوفة من حيث الاسواق و المهن المتداولة مثل الصرافة وغيرها وارجعها الى كل من اليهود و الاقلية المسيحية و من الطريف ان ماسنيون يذكر في هذا المجال ان قبيلة ثقيف كان رسول الله قد اجاز لها الربا اثناء كلامه عن احد ولاة الكوفة و هو المغيرة بن شعبة كونه من قبيلة ثقيف حيث فند المترجم لكتاب خطط مدينة الكوفة الرواية بذكره الايات القرانية بتحريم الربا و ترجيح في ما اذا كانت الرواية من مختلقات المغيرة الذي اشتهر بالكذب و الافتراء [٤٠]..

ثم يصف قصر الامارة ويحدد موضعه من المسجد وتطرق الى بيت الامام علي سلام الله عليه بكلام مقتضب و لم يوله ما يستحق من الاهتمام كون ان مدينة الكوفة اخذت

اهميتها من كونها عاصمة علي بن ابي طالب سلام الله عليه و نعت رشيد الهجري بالشيعي المتطرف في معترض كلامه عن بيت الامام علي بن ابي طالب سلام الله عليه[٤١]

ويؤيد ماسينيون المستشرق لامنس في ان العبادات لم تكن مقتصرة على المسجد الجامع فقط فيذكر عدد من المساجد منذ ابتداء تاسيس مدينة الكوفة وقسمها الى مساجد بطون القبائل مثل مسجد بني عبد قيس و مسجد بني فرن وغيرها من المساجد و القسم الاخر هو المساجد التي جعلتها الحوادث التاريخية اماكن مهمة و عزا بعضها للتبعية الشيعية مثل مسجد الاشعث بن قيس لخيانته لعلي و مسجد جرير بن عبدالله البجلي لاعتزاله قبل وقعة صفين و مسجد سماك بن مخزمة الهالكي الاسدي و هو من الهاربين الى الرقة قبل صفين و اطلق عليها المساجد الملعونة و كان ذكره متصل بتعريف لتلك المساجد من وجهة نظر تاريخية و مساجد مقدسة مثل السهلة وغيرها من المساجد..

ويصل ماسنيون الى النجف ومشهد الامام علي بن ابي طالب سلام الله عليه حيث يعطي معنى كلمه النجف و يعتمد على توزيع الاماكن في النجف الى المستشرق نيو هر و وصف محلاتها [٤٢] ويستعرض ماسينيون المصادر التي كتبت و حققت عن مدينة الكوفة مثل كتاب الهيثم بن عدي و ياقوت الحموي و البلاذري الطبري محللا تلك المصادر

واخيرا اردف الكتاب بذيول الاول كان عن طبوغرافية البصرة معللا ذلك بالارتباط السياسي و الاجتماعي للمدينتين و الذيل الثاني عن القبائل الكوفية و البصرية كذلك الحق الكتاب ببعض الخرائط لمدينة الكوفة القديمة و منشا البطون اليمنية [٤٣]

الخاتمة

و اخيرا يتضح لنا مما سبق ان الكوفة مدينة تركت بصمة واضحة في التاريخ العربي الاسلامي لما لها من دور حضاري وتاريخي وديني في ان واحد مما اتاح للمستشرقين فرصة للكتابة عنها بعد انجالوا و صالوا في كثير من الدراسات الاسلامية.. و تميز المستشرق لويس ماسينيون بالكتابة عن تلك المدينة بعد ان قام بزيارتين لها فكتب مخطط مدينة الكوفة و رسم بعض معالمها الاساسية وان كان قد او جز منها الكثير لكن الامر الواضح من تاليف الكتاب هو الصبغة الطبوغرافية للمدينة حيث وزع القبائل العربية على اماكنها بصورة ملفتة للنظر.. كذلك كان من نتائج تلك الدراسة ملاحظة ان

ماسنيون اعتمد على بعض ما كتب المستشرقين امثال هنري لامنس غيره و حاول ماسينيون ان يربط بعض الاحداث التاريخية ببعض الاماكن في الكوفة للتعزيز من مكانة المدينة رغم انه اخفق في بعض تلك الاحداث ..

عد ماسينيون الكوفة نقطة اتصال بين التاملات الدينية عند الغزاة و بين الاساطير الكلدانية القديمة في سياق حديثه عن مسجد الكوفة كذلك انا لارفاقه بعض الملاحق بكتابه مثل الخرائط لمدينة الكوفة القديمة دورا في اضفاء صبغة شبه ملمة لما بدأه من تخطيط لتلك المدينة العربية

الملخص:

تعد المدينة و التمدن ارقى انجاز توصل اليه الانسان في استقراره على الارض وهي المعنى الاساسي للحضارة كونها مركز الاشعاع الفكري الجامع لكل المظاهر المادية لتلك الحضارة فهي المعنى الحضاري الذي تم فيه التفاعل بين الناس على وفق قيم مقدسة يحترمها الجميع نابعة من المفاهيم المتمثلة لمصدريها الرئيسيين القران الكريم و السنه النبوية المطهرة ..

والمدينة الاسلامية ليست ظاهره جغرافية او تاريخية فحسب بل هي اولا وقبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتعبير و تنظيم مكاني حسب ما جاء في التشريع الاسلامي اذ امتزجت القوانين المادية والقيم الروحية .. وقد ورد عن رسول الله صل الله عليه و اله و سلم (لا جمعه ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع او مدينة عظيمة )..

وقد اختلف تاسيس المدن الاسلامية كلا وفق الغرض او الهدف من تاسيسها فمنها ما بدأ على هيئة معسكرات حربية مثل الكوفة و البصرة و الفسطاط وغيرها و منها لاغراض ادارية تواصل و منها ما انشأ كعواصم او حواضر الدول مثل بغداد و القاهرة ومنها ما كان في البداية كمناطق ارتكاز تحتصينية للدفاع و بمرور الزمن غلب عليها الطابع الديني و تحولت الى مدن مثل الرباط و مجريط وغيرها و منها ما نشأ ونما مرتبط بعوامل دينية النجف وكربلاء و الكاظمية و غيرها

ونتجزأ مدينة الكوفة من بين تلك المدن لاهميتها في التاريخ الاسلامي فقد تناولها القاصي والداني في البحث و الدراسة و التمحيص وكان للمستشرقين جانبا من تلك

الدراسات .. ولتسليط الضوء على بعض ما تناوله المستشرقون عن مدينة الكوفة كانت هذه الدراسة ..

فلا يخفى على كل باحث في الاستشراق ان معناه الاعم هو دراسة الشرق ثقافاته ، معتقداته ادابه و عاداته وتقاليده و اساطيره من قبل علماء و مؤسسات غربية و معناه الاخص فهو دراسة العلوم الاسلامية واداب المسلمين وحضارتهم واثارهم من قبل علماء وباحثين غير مسلمين ومؤسسات غير اسلامية ..

حيث شكلت كتاباتهم عن الشرق ماده خصبة للباحثين في مجال الدراسات الاستشراقية وانقسم المستشرقون في الكتابة عن مدينة الكوفة ما بين مادح وقادح فمنهم من نعتها بانها مدينة بلا وجه اي لا هي اسلامية ولا هي يونانية قديمة وقال قسم اخر انها ليست اسلامية لانها حافظت على تاثيرات المدينة اليونانية القديمة وكأن هم هذا القسم من المستشرقين الانتهاء الى حقيقة واحدة وهي انه ليست هناك مدن اسلامية لان مفهوم المدينة الذي يملكون من خبرتهم مع مدنهم لا ينطبق عليها و يتصل من جهة ثانية بالرؤية السائدة عن الانسان الشرقي و المنظومات الشرقية الشاملة التي تساعد على نشوء مجتمعات مدنية ..

ومنهم من اولى اهتماما بالغا بها وعدها عاصمة الحضارة الاسلامية انذاك و كان للمدرسة الفرنسية الاثر البالغ في الكتابة عن مدينة الكوفة متجسدا بكتاب خطط الكوفة لويس ماسينيون الذي اتخذته هذه الدراسة نموذج للمقال الاستشراقي عن مدينة الكوفة حيث تناولت تعريفا بالمستشرق و مؤلفاته ثم تطرقت الى البحث في الكتاب من حيث دراسته اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا من وجهة نظر المستشرق حيث تناول ماسينيون مدينة الكوفة طارحا اسباب تناوله لها في مقدمته اعتقادا منه ان هناك قصور من قبل المستشرقين في وضع خارطة للكوفة كذلك عزا اهتمامه بها كونها منبت لاكثر الفرق الامامية فبدءا بتمصير الكوفة و استعراض لاهم القبائل التي سكنتها ثم تناول اهم المصادر التي استسقى منها معلوماته عن المدينة وكذلك بحث الجوانب المختلفة لمدينة الكوفة مبتدأ بالجانب الثقافي من شعر ونثر وخط و مدرسة متكاملة العلوم ثم تطرق الى

الجانب الاقتصادي و العمراني خاتما الكتاب بخرائط للمدينة وفهارس الاعلام و الاماكن

english: Conclusion Finally, it is clear from the foregoing that a purely Islamic, Arab city of Kufa with all its details and had left a clear imprint in the Arab-Islamic history because of their historical, religious and cultural role. Allowing the orientalists, a chance to write about after many attacked and Gallois Oriental Studies in General and Islamic Arabic in particular. Featured French Orientalist Louis masnion writing about that city after he visited her, wrote about their plans and draw some basic parameters had outlined in it. Arabic: .. English: Where it was clear which topographic character book masnion has distributed Arabic tribes on places of domicile in the city of Kufa, a striking image. It was the outcome of this study note that masnion had adopted some of what was written about the city

English: Masnion tried to connect public spaces in the city of Kufa by historical events to enhance the prestige of the city though he failed to address some of those events. Kufa masnion promised connection point between alasbkien llfazah and religious Musings among ancient Chaldean mythology in speaking of the almofh mosque. Also to attach some supplements and maps of ancient Kufa play in a semi familiar to what he started planning for that city Islamic

الهوامش والمصادر:

١ – امين ، حسين ، مسجد الكوفهة في التاريخ مجلة الكوفة ، المجلد الخامس ، العدد الاول ٢٠٠١ ، ص ٥٦

٢ – البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر(ت ٢٧٨ هجرية) فتوح البلدان طبع مكتبة القاهرة ، ١٩٥٦ ص ٢٤٠

٣ – الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد(ت٠ ٣١ هجرية ) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، طبع دار المعارف، مصر ١٩٨٥ ، ج ٣، ص١٤٥

ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم( ٦٢٠ هجرية) الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبد السلام ، نشر دار الكتاب العربي، لبنان ج٢ ص ٢٥٧

٤- المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي( ٨٤٥ هجرية) المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف الخطط المقريزية نشر دار صادر، بيروت ،١٩٧٥ ، ج٢ ، ص ٨٥

٥- سوق الحكمة موضع بنواحي الكوفة ينسب الى حكمه بن حذيفه بن بدر الذي كان قد نزل عنده ينظر الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦ هجرية) معجم البلدان ، نشر دار صادر بيروت ١٩٨٠، ج ٣ ، ص ٢٨٣

٦- كويفة ابن عمر موضع منسوب الى عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد ان قتل ابنة ابى لؤلؤه و الهرمزان سكن فيه ينظر الحموي معجم البلدان ج٤ ، ص ٤٩٦

٧- ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ج ٢ ، ص ٢٥٩

٨- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد( ت ٨٠٨ هجرية) المقدمة ، تحقيق مصطفى الشيخ مصطفى، نشر دار الرسالة ، بيروت ص ٦٤٩ - ٦٥٠

٩- اللحام ،عبير، الاستشراق في قراءات المدينة العربية الاسلامية، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ١٦ ٢٠٠٤ ص ٩٥

١٠- عثمان ، حميد عبد الستار، المدينة الاسلامية ، نشر المجلس الوطني للثقافة و الفنون ، الكويت ١٩٨٨ ص ٤٥

١١- اكبر، جميل عبد القادر، عمارة الارض في الاسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢ ص ٥٢

١٢- عزب ، خالد محمد مصطفى ، فقه العمارة الاسلامية ، نشر دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ١٩٩٧ ص٧٣

١٣- الانصاري ، رؤوف احمد السياحة في العراق ودورها في التنمية و الاعمار، مطبعة هادي برس ، لبنان ٢٠٠٨ ص ٧٧

١٤- جعيط ،هشام ،الكوفة نشاة المدينة الاسلامية ، نشر دار الكويت للنشر ،الكويت ، ص ٨٥

١٥- بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، نشر دار العلم للملايين بيروت ،١٩٩٣ ص ٥٢٩

١٦- بير روكالف ، ماسنيون و الاسلام ، ترجمة عبد الرزاق الاصغر مجلة التراث العربي ، العدد ، ٨٣ دمشق ص ٢٥

١٧- بدوي موسوعة المستشرقين ص ٥٣٠

١٨- جابر ، بجيدة ابا زيد ، لويس ماسينيون وجهوده في الفكر الفلسفي الاسلامي، مجلة العربي ، ٢٠٠٨ ،ص ١ - ١١ سنة ٢٠٠٨

١٩- بدوي موسوعة المستشرقين ص ٥٣٢

٢٠- هم اسرة علمية معروفة في بغداد تنتسب الى مدينه الاوس و يرجع نسبها الى اهل البيت تولى عدد من افرادها بعض الوظائف الادارية في الدولة العثمانية وقد اشتهر من بينهم العلامة ابو الثناء الالوسي الذي الف العديد من الكتب في الادب و التفسير اشهرها كتاب روح المعاني في تفسير القران و السبع المثاني ينظر السيد علي

٢١ - بدوي موسوعة المستشرقين صفحه ٥٢٩ - ٥٣٠

٢٢- بييرروكالف ماسنيون و الاسلام ص ٢٣

٢٣- بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٧٤

٢٤- من علماء القرن السادس الهجري يطلق علىه الشطاح لكثرة شطحاته في كتب العرفان والتصوف توفي عام ٦٠٦ هجرية ينظر انصاريان، حسين العرفان الاسلامي ، نشر داراحياء التراث العربي ، بيروت ٢٠١٦،ص ٨٧

٢٥- نسبة الى اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق وقد تاسست بعد وفاة الامام الصادق سلام الله عليه المتوفى سنة ١٤٨ هجرية حيث انقسم الشيعة بعد وفاته الى فريقين احدهما مؤيد لاسماعيل الابن الاكبر للامام في حين طالبت الفرقة الاخرى بالامامة لابنه الاصغر الامام موسى الكاظم سلام الله عليه و قد اتسمت عقائد الاسماعيليه بالغموض الشديد لذلك يطلق عليها بالباطنية استطاعت في فترة تاريخية معينة من الانتشار و تاسيس عدد من الدويلات المنوائة للخلافة العباسية لاسيما في بلاد فارس و بلاد ماوراء النهر و عدت هذه الحركة النواة الحقيقية لتاسيس الدولة الفاطمية لاحقا و

اصبحت الاسماعيلية المذهب الرسمي للدولة الفاطمية ينظر لويس ، برنارد ، فرق ثورية في بلاد الاسلام ترجمة محمد موسى ، مكتبة مدبولي القاهرة ، ٢٠٠٦، ص ٤٩ وما بعدها

٢٦- العلوية لفظ ذو دلالة دينية سياسيه يطلق على كل من تولى الامام علي و شايعه وسعى في نصرته و احيانا تطلق يراد بها اولاد الامام و ذريتيه اما النصيرية العلوية فهي طائفة شيعية تتميز عن الفرق الشيعية من الناحية العقدية وسميت بذلك الاسم نسبة الى مؤسسها محمد بن نصير النميري و الذي هو بمثابة نائب الامام الغائب لدى النصيرية اما مراكز تواجدهم فهم ينتشرون في تركيا بكثرة كما يتمركزون في الساحل السوري و منطقة الجبل بالاضافة الى بعض المناطق في لبنان .. ينظر الخطيب محمد بن احمد ، الحركات الباطنية في العالم الاسلامي وعقائدهم و حكم الاسلام فيها ، دار صادر بيروت ص ٣١٩

٢٧ - بدوي ، موسوعة المستشرقين ص ٥٣٤

٢٨ - بدوي ،مصدر سابق ص٥٤٠

٢٩ - المصعبي ،تقي بن محمد ، مقدمة كتاب خطط الكوفة وشرح خريطتها لماسنيون ، نشر دار الوراق بيروت ١٩٣٩، ص ٨

٣٠- ما سنيون لويس خطط الكوفة وشرح خريطتها ترجمة تقي بن محمد المصعبي ١٩٣٩ ، ص ٣٩

٣١ - الطبري تاريخ الرسل والملوك ج٤ ، ص ١٢٢ وج ٦ ص ٣٤

٣٢- ما سنيون خطط الكوفة ، ص ٥٣

٣٣ - ما سنيون مخطط الكوفة ، ص ١٧ - ٣١

٣٤ - الحموي معجم الادباء ، تحقيق احسان عباس ، نشر دار العرب ، بيروت ،١٩٩٣ ج ٥ ، ص١٠٦ – ١١٥

٣٥ - ما سنيون خطط الكوفة ص٣٧

٣٦- الطبري تاريخ الرسل والملوك ج٥ ، ص ٥٠١

٣٧ - ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ( ت ٢٣٠ هجرية) تحقيق علي محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة، ٢٠٠١ ج ٦ ، ص ٢٣٨

٣٨ - ما سنيون ، خطط الكوفة ص ٢٥

٣٩ – ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد الوراق (ت ٤٣٨ هجرية ) الفهرست ، تحقيق ابراهيم رمضان ، نشر دار المعرفة ، بيروت

بيروت ، ١٩٩٧، ص٦٤ ، ص ٧٧

٤٠ - ماسينيون ، خطط الكوفة ص ٤٣

٤١- المصدر نفسه ، ص ٥٠

٤٢ - المصدر نفسه ، ص ٦٣ و ٣٣

٤٣ - المصدر نفسه، خطط الكوفة ص ٧٠

# الكوفة موطن التشيع، والثورات إبان الحكم الاموي في الدراسات الاستشراقية (المستشرق الألماني هاينس هالم Heinz Halm) أنموذجاً

م.د.حسن جاسم محمد حسين الخاقاني
كلية الإمام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الاسلامية الجامعة / أقسام بابل

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الخلق محمد(ﷺ) وعلى ال بيته الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

يختار الله تعالى بقعة من الارض لتكون مركزا مهما للأحداث ، وتصبح محط انظار العالم اجمع ، وينطبق ذلك تمتما على مدينة الكوفة العراقية التي انطلقت منها الجيوش الاسلامية صوب بقاع العلم المختلفة ، وتبوئت بعدها الريادة عندما أصبحت عاصمة للدولة الاسلامية عندما حط الامام علي رحاله فيها، ولم تكن هذه المدينة بعيدة عن اهتمام المستشرقين ومنهم المستشرق الالماني هاينس هالم (١٩٤٢...م) الذي انخرط في الدراسات الاسلامية، وحظيت الطائفة الشيعية بقصب السبق في دراساته عبر العديد من الكتب والدراسات التي تصدت الى جوانب مختلفة من شؤون الطائفة، وأفرد في كتابه (الشيعة) حيزا لا بأس به لدراسة اثر مدينة الكوفة في نشر التشيع ، والثورات المتلاحقة ضد الحكم الاموي، وتناول في دراسته العديد من الامور وارتىء الباحث ان يقسمها الى عدد من الفقرات التي ستكون موضع عرض و تحليل ونقد وهي:

١-الكوفة عاصمة للإمام علي (عليه السلام) أسباب الاختيار والتحديات.

٢-الكوفة موطن التشيع العربي المحض.

٣-الامام الحسن(عليه السلام) في الكوفة الخلافة وأسباب الصلح.

٤-الكوفة دار السفارة للإمام الحسين(عليه السلام) .

٥-ثورة التوابين في الكوفة التحضيرات والنتائج.

٦-الكوفة عاصمة للشيعة من جديد ثورة المختار الثقفي.

٧-زيد بن علي(عليه السلام) شهيدا في الكوفة.

ومن خلال هذه الفقرات فإن هاينس هالم يطرح افكارا ورؤى بعضها حقيقي والبعض الاخر لا يمت للحقيقة بصلة فهو يعيد سبب انتقال الامام علي (عليه السلام) الى مدينة الكوفة بعدم مبايعة الجميع له، ويسند التشيع الى التوابين متغافلاً العمق الحقيقي للتشيع ايام النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله)،ونجده في موضع اخر يشير الى هذه الحقيقة فيجعل قدم التشيع قدم الاسلام نفسه، لكنه يصيب كثيرا عندما يجعل الكوفة موطنا للتشيع ومحبي اهل البيت ويثبت عربية التشيع فيها، وغيرها من الافكار التي ستكون موضع للدراسة والتمحيص، وحضرت المصادر الاسلامية الاولى اضافة الى بعض المراجع كمادة بحث ومقارنة في هذا البحث، وتوصل الباحث الى عدد من النتائج منها أن هاينس هالم يعيد الاهتمام العالمي في التشيع الى الثورة الاسلامية في ايران ١٩٧٩م ومشاركة الشيعة في العديد من التطورات التي حصلت في الشرق الاوسط، وكانت الكوفة الند القوي لدمشق عاصمة الامويين ، وسببت لهم الرعب والخوف على طول مدة حكمهم، وهي الموضع الذي شهد الاحداث الحاسمة في تاريخ الالم الشيعي ،وان اسباب تغييب الشيعة عن المسرح السياسي العالمي لم يكن بفعل الحكومات الاسلامية فقط بل كان هاجسا عالميا لوصف الدول الغربية للشيعة بكثير من الصفات الشيطانية والله تعالى ولي التوفيق.

جعل المستشرق الالماني هاينس هالم [١] الثورة الاسلامية في ايران (١٩٧٩م) منطلقا للشيعة فيما اسماه وعي الرأي العام العالمي ، لا سيما بعد نجاح الثورة وتأسيس الجمهورية الاسلامية وبداية العداء الغربي لها ، وانخراط الشيعة في عدد من الصراعات السياسية في المنطقة منها الحرب الاهلية في لبنان[٢] ، والحرب الاهلية في افغانستان[٣] ، والصراع على جبل قره باغ[٤]، والانتفاضة الشعبانية في العراق[٥] ، وتلتها حرب اسقاط نظام الطاغية صدام حسين عام( ٢٠٠٣م) ليظهر للعالم فجأة، كما ينقل هالم ان الشيعة في العراق أغلبية ويطالبون بحصة مناسبة من حكم البلاد[٦] بعد تغييب لعشرات القرون عن الحكم، ويبدو واضحا من كلام هالم المديات التي بلغتها السياسة القمعية بحق الأغلبية من ابناء الشعب العراقي ليعيشوا مضطهدين في بلادهم، وطمس لهويتهم الدينية منذ ان حلت الملكية الوراثية في الحكم أبان العهد الاموي، وتلاها العهد العباسي

لغاية سقوط نظام الحكم في العراق (٢٠٠٣م)، فلم يعرف من طقوسهم الدينية الا صورة ضرب النفس بالسياط حد الادماء وشق الرأس بالسيف واصفاً إياه بالسلوك الصوفي، أو غير العقلاني ويرى هالم ان هذا التغييب لم يكن مداه العالم الاسلامي فحسب بل تعداه الى العالم الغربي الذي كان ينظر للشيعة بريبة وحذر ويلازمه هاجس الخطر الكبير الذي سيمثله الشيعة في حال استيلائهم على السلطة في أي مكان من العالم لارتباط الشيعة بصفات شيطانية كما يراها الغرب [٧] ، وهم في ذلك ينحون منحى المتطرفين من المسلمين في عدائهم للشيعة ، وهو عداء قديم قِدَمَ الاسلام نفسه ، ويعتقد هالم ان الصورة كانت تكتنفها الضبابية في الاعلام الغربي عند اندلاع الثورة الشيعية في العراق بين مناصر لمضطهد وخائف من استيلاء الشيعة على السلطة وخلصوا في نهاية المطاف ان الابقاء على صدام ضعيف افضل من اعتلاء الشيعة للسلطة قد يكون ارتباطها في ايران يمثل خطرا على العالم كما يرون[٨]، وهذا مدعاة لتصور قوة الاعلام المعادي للشيعة وهو الاعلام المهيمن على السلطة طيلة هذه القرون الطويلة ونجاحه في تصوير ابناء هذا المذهب بأنهم اخطر على العالم من نظام جائر وظالم لشعبه.

بعد هذه المقدمة التي أراد هالم ان تكون فاتحة لحديثه عن الشيعة يتحول صوب العديد من الفقرات

أولا: الكوفة عاصمة للإمام علي (عليه السلام) أسباب الاختيار والتحديات.

يتحدث المستشرق هاينس هالم عن اتخاذ الكوفة عاصمة للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) معللا ذلك بعدم قبول جميع المسلمين بيعة الامام في المدينة ما دفعه الى البحث عن مكان اخر فكانت الكوفة هي الوجهة التي اختارها قائلاً :"فلم يعترف الجميع بخلافة علي مما اضطره الى الانتقال من المدينة الى العراق حيث اتخذ من مدينة الكوفة الواقعة على نهر الفرات ، والتي بنيت كمعسكر للجيش العربي خلال فترة الفتوحات"[٩] ، ويبدو أن هالم لم يكن موفقا بذكره لهذا السبب من دون ان يتعمق لدراسة الاسباب الرئيسية التي دعت الامام علي (عليه السلام) الى مغادرة المدينة الى الكوفة، فلا يعقل ان وجود معارضة في مقر العاصمة وهي التي هرعت الا القليل لبيعة الامام كونه صاحب الحق في تولي امور المسلمين وفقا لبيعة غدير خم تؤدي به الى مغادرتها، وردا على ذلك

لابد من معرفة الاسباب الحقيقية التي وقفت حائلا دون بقاء الامام في المدينة، فينقل الطبري رواية مفادها ان عبد الله بن سلام[١٠] طلب من الامام علي (عليه السلام) عدم ترك المدينة لأنه لن يعود لها ثانية اذا تركها ولن يعود لها سلطان المسلمين ثانية فعمد اصحاب الامام الى مسبته ولم يرضي ذلك الامام علي (عليه السلام) [١١]، ويناقض الطبري قوله هذا عندما يجعل عبد الله بن سلام من الذين هربوا الى الشام ولم يبايعوا عليا (عليه السلام) اصلاً [١٢] ، وهو في هذه الرواية يرجح سبب اللحاق بطلحة والزبير قبل وصولهم الى البصرة بجيش اعده للقضاء على طموح معاوية في الانفصال وعدم بيعة الامام علي(عليه السلام)، واذا حكمن جدلا بقبول هذا السبب فانع لا يمكن ان يصمد امام الاسباب الاخرى وهي الاكثر نضجا وقوة ، وهي ضعف الاقتصاد في المدينة ومحيطها في مواجهة المتطلبات والتحديات الجديدة في حين تتمتع الكوفة بموارد اقتصادية كبيرة يمكن ان توفر ما تحتاجه الدولة الاسلامية ، كما ان العامل السكاني كان فاعلا فلا يمكن للمدينة ان توفر ما توفره الكوفة من المقاتلين، اضافة الى الاعداد الكبيرة من الصحابة الذين سكنوا الكوفة، وموقع الكوفة الجغرافي يساعد كثيرا في السيطرة والتحكم في حركة الجيوش المتوجهة صوب الشام والحجاز ومصر وبلاد فارس[١٣]، ولا يمكن استبعاد نقطة في غاية الاهمية وهي مسألة الولاء فقبائل اليمن التي تقطن الكوفة على دراية كاملة بشخص الامام علي (عليه السلام) فقد بعثه النبي الاكرم فاتحا لليمن(صلى الله عليه وآله)، و عمل قاضيا من لدن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) على اليمن وجُل انصاره من هذه القبائل، وهذه الامور مجتمعة يمكن اعتبارها الاسباب الرئيسية في اتخاذ الكوفة عاصمة للإمام علي (عليه السلام) ، وليس ما جاء به هالم من عدم بيعة جميع المسلمين في المدينة ، ويتحول هالم بعد ذلك الى العداء الذي حصل بين الكوفة ودمشق كون الكوفة مؤيدة للإمام علي(عليه السلام) ودمشق مؤيدة لمعاوية بن ابي سفيان العدو الذي وجب التخلص منه لإحلال الامن والوحدة في ربوع الامة الاسلامية التي يحاول معاوية بانفصاله عن جسدها ان يفت عضد هذه الامة فكانت معركة صفين[١٤] الحد الفاصل في هذه العلاقة التي انتهت بالتحكيم[١٥] الذي حصل في عضروه بين البتراء ومعان في الاردن الحالي بداية عام ٦٥٩م الذي يصفه هالم بانه انتهى لصالح معاوية وانقسمت الامة الاسلامية على ارض الواقع[١٦]، وهذا هو الواقع الذي ألمّ

بالأمة بعد حادثة التحكيم ، وأصبحت الكوفة مقرا لخلافة الامام علي ، وعمد على اصلاح النظام الاقتصادي و السياسي والاجتماعي ليعيد بذرة الخير والصلاح الى نفس الانسان المسلم لكنه اصطدم بالكثير من العقبات التي تراكمت بسبب السياسات التي سبقته لا سيما سياسة الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ويتحول هالم بعد ذلك الى مسألة استشهاد الامام علي في الكوفة على يد ابن ملجم ويحدد وقت الاغتيال في نهاية يناير( كانون الثاني) من العام ٦٦١م، الموافق ١٩- رمضان- ٤٠ه، ولم يحدد مسجد الكوفة مكاناً لاستشهاد الامام فيقول:"اغتيل علي عند باب احد مساجد الكوفة"[١٧] كما يصور طريقة استشهاده انه تعرض لعدة طعنات ادت الى مقتله بعد يومين ،ويظهر انه قد أخطأ كما أخطأ في تحديد المسجد ، فقد تعرض الامام بإجماع المؤرخين الى ضربة على الرأس أدت الى استشهاده وفي مسجد الكوفة[١٨].

ثانيا: الكوفة موطن التشيع العربي المحض:-

اعتبر هالم العراق منشأ المذهب الشيعي، وهو الى اليوم أحد البلدان الأساسية للتشيع ففيه وقعت الاحداث الحاسمة في تاريخ الالم الشيعي، وفيه اضرحة ستة من أئمة الشيعة، و الكوفة المركز السياسي والديني للشيعة عادا ذلك دليلا قاطعا على عروبة وعراقية التشيع نافيا محاولة البعض الحاق التشيع بإيران فهو عربي بحت كعروبة الاسلام [١٩] ، و أكد المستشرق هاينس هالم على عروبة التشيع وأن الكوفة هي الموطن الاصلي له معتبرا ما تبقى من الصحابة الذين رافقوا الامام علي (عليه السلام) في صفين ووقفوا بوجه السوريين اللبنة الاولى للتشيع بعد ان يعرف الشيعة بانها الحزب او الفرقة، واطلق ذلك على اصحاب علي الذين ناصروه ضد معاوية بن ابي سفيان، وبعد استشهاد الامام بقي هذا الحزب متحذا من الكوفة مقرا له، وكان يأمل بنهوض أحد ابناء علي (عليه السلام) وحمله للراية ويتمكن من اعادة الامور الى نصابها من جديد كما كانت في عهد الامام علي (عليه السلام) ، وجاء هذا ردا على الاستياء الكبير من السلطة الاموية بصورة عامة ، ومن ظلم الامراء الذين تولوا الكوفة نيابة عن بني أمية[٢٠]، ويبدو ان هالم كان مصيبا الى حد ما عندما يجعل الكوفة موطنا للتشيع فقد بقيت الكوفة محتفظة بهذه الميزة الى يومنا هذا وعبر كل العصور التي مرت عليها لتكون على طول الخط شوكة في حلق

الحكام الظالمين وما سنتعرض له من الثورات خير دليل على كلامنا ، كما ان عروبة التشيع الكوفي تضع حدا لبعض التخرصات التي تحاول اعادة التشيع الى عناصر غير عربية يهودية متمثلة بالسبئية[٢١] المرفوضة من الشيعة جملة وتفصيلا، أو الفارسية التي لم يدخل التشيع لها الا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في قضية الملك خدابندة[٢٢] المعروفة، ومن ثم جاء الشاه عباس الصفوي[٢٣] ليفرض التشيع في ايران بالقوة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ويعتقد هالم ان الشيعة في الكوفة لم تتخذ طابعا دينيا متميزا في بادئ الامر لا سيما في عهد الامام علي (عليه السلام) و ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) بل كانت مجرد حزب في الصراع على السلطة[٢٤] ، ولم يكن هالم موفقا في طرحه هذا الى حد بعيد فالصراع الذي خاضه الامام علي(عليه السلام) لم يكن على السلطة ودليل ذلك انه رفض السلطة عندما اراد الصحابة بيعته بعد عثمان ، وان كانت السلطة من حقه وفق المعطيات التي جاء بها القران الكريم والحديث الشريف[٢٥] لا سيما في بيعة غدير خم، وعلى الرغم من وضوح حقه في السلطة الا انه لم يطالب بها بعد ان اغتصبت منه في بيعة السقيفة للحفاظ على بيضة الاسلام ، وعندما اصبح خليفة للمسلمين كان لابد ان يحافظ على وحدة الدولة الاسلامية فخاض العديد من الحروب ضد اهل الجمل و معاوية والخوارج ولم تكن هذه الحروب باختياره بل كان مجبراً عليها لان من قام بها كان يريد السلطة والحفاظ على الامتيازات التي حصل عليها على مدى الحكومات الثلاث المتعاقبة، ويريد ابعاد اهل البيت عن مكانهم الحقيقي الذي اراده الله تعالى ورسوله الكريم(صلى الله عليه وآله) لهم، واستمرار هذا هذه الصورة بوجود الحسن والحسين ايضا مردودة عل قائلها فالحسن (عليه السلام) تنازل عن السلطة التي يدعيها هالم بمجرد احساسه بالخطر الداهم على مصير الامة وسنخوض في الاسباب عند الحديث في الفقرة القادمة عن خلافة الامام الحسن في الكوفة، والامام الحسين (عليه السلام) لم يكن طالبا للسلطة والدليل معرفته المسبقة انه مقتول لامحالة لعدم تكافئ القوى مع بني امية لكنه اراد احياء ما اماته بني امية من دين الاسلام.

ثالثا: الإمام الحسن(عليه السلام) في الكوفة الخلافة وأسباب الصلح

يعرج هاينس هالم على خلافة الامام الحسن(عليه السلام) في الكوفة بعد استشهاد والده الامام علي (عليه السلام)، ويبدأ ذلك بأن علي قد خلف العديد من الاولاد منهم اثنين من زوجته فاطمة بنت النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله)، والكبير هو الحسن البالغ من العمر السادسة أو السابعة والثلاثين ، وقد كان بوسعه الاعتماد على اهل الكوفة للحصول على حقه بالخلافة ، وفعلا بايعه اهل الكوفة في الخلافة عام ٤٠ه / ٦٦٠م [٢٦] ، ويبدو ان هالم كان محقا في مسألة اعتماد الامام الحسن على الشيعة في الكوفة فهم من اشد المؤيدين له لتسلم الخلافة كونه المعروف لديهم بالشجاعة والفصاحة والكرم وانه وارث ابيه الامام علي ، وهو سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢٧] ، ولكن هذا الاعتماد لم يدم طويلا عندما اخذ الكثير من اهل الكوفة بالتحول صوب معاوية الذي اغراهم تارة بالأموال والمناصب وتارة اخرى بالترهيب ، فبادر اليه قائد جيش الحسن(عليه السلام) عبيد الله بن العباس[٢٨] ، ولم يتطرق هالم الى هذه الاحداث الهامة في حياة الحسن(عليه السلام) بل اكتفى بنعت الحسن(عليه السلام) بانه كان كثير التردد وعديم التصميم عندما وصل جيش معاوية الى العراق[٢٩]، ويظهر ان هالم قد سار على نفس النهج الذي سار عليه معظم المستشرقين امثال الاب اليسوعي البلجيكي هنري لامنس، و المستشرق الالماني شتروثمان، والمستشرق البريطاني دونالدسون، والمستشرق الالماني مادولنك، والذين كالوا مختلف التهم والنعوت التي تحط من قدر الحسن(عليه السلام) كوصفه بقعيد الهمة والمزواج والباحث عن حياة الترف وجمع الاموال[٣٠]، ويرى هالم ان معاوية تمكن بعد ان اغرى الحسن بالأموال والقطائع ان يدخل الكوفة عاصمة العراق مما شكل خيبة امل عند الشيعة لفقدانهم السلطة لصالح الامويين[٣١] ، ولعل ما جاء به هؤلاء المستشرقين يستند الى شيء في التاريخ الاسلامي وزادوا عليه بخيالهم الخصب فينقل الطبري مثل هذا الخبر الذي يجعل من الحسن () غير مبالي في الخلافة قدر مبالاته بالمال فتفاوض مع معاوية من اجل الحصول على اكثر قدر من المال وكان له ذلك فبقول:" وكان الحسن لا يرى القتال ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة"[٣٢]، وهذا على النقيض مما ينقله اليعقوبي من استعداد الحسن () لقتال معاوية ولكن الخيانة التي

حصلت للجيش ، وما تعرض له الامام من جرح كبير في فخذه وافتراق الناس عنه قد جعله يذهب الى الصلح مع معاوية [٣٣].

رابعا: الكوفة دار السفارة للإمام الحسين(عليه السلام)

أعاد المستشرق هاينس هالم الضوء الى مدينة الكوفة العراقية من جديد لاسيما بعد تولي يزيد بن معاوية السلطة خلفا لوالده للإيذان ببدء الحكم الوراثي في الدولة الاسلامية ، وانبرى اهل الكوفة للتصدي للحكم الجديد محاولين اسقاطه فالتجئوا هذه المرة الى الحسين بن علي (عليه السلام) ليكون قائدهم في هذه المهمة، فيتحدث عن الرسائل التي وصلت للإمام الحسين من اهل الكوفة بواسطة رجال منهم قدموا الى المدينة معلنين استعدادهم للقتال تحت لوائه للوصول الى غايتهم المنشودة في اسقاط نظام الحكم السوري[٣٤]، ويرى الباحث ان هالم قد بدء بدايةً جيدة لمعالجة هذه القضية فقد وصلت الرسائل من الكوفة الى الامام الحسين(عليه السلام) تحمل تواقيع قادة الكوفة الذين ابدوا استعدادهم للموت في سبيل الخلاص من الامويين، ولكن الى مكة وليس المدينة التي خرج منها الحسين(عليه السلام) صوب مكة بعد رفضه مبايعة يزيد في المدينة، وفي مكة بدأت الرسل تصل الى الحسين تترا[٣٥] ، ويتحول هالم الى الخطوة التالية التي قام بها الحسين بن علي(عليه السلام) حيث ارسل مسلم بن عقيل(عليه السلام) سفيراً من لدنه الى الكوفة لكي يستطلع الوضع فيها ومدى استعداد اهلها للثورة ضد الحكم الاموي في دمشق فوجد الامور مهيئة ، وكتب الى الحسين ان الالاف مستعدين للثورة واسقاط الحكم الاموي، ويظهر ان هالم لم يتجاوز ما جاءت به كتب التاريخ الاسلامي من تهيئة الامور من قبل مسلم بن عقيل الذي استقبل في الكوفة بأحسن استقبال وانظم له وبايعه الالاف من اهل الكوفة لذا أرسل للحسين(عليه السلام) يحثه على القدوم لان الوضع لصالح الثورة ، وليس هناك من مانع يعكر مسألة مقدمه الى الكوفة[٣٦] ، وينتقل هالم صوب الخطوات التي اتبعها الامويين للقضاء على الثورة في الكوفة لاسيما بعد معرفتهم بمقدم الحسين(عليه السلام) اليها ومن اهمها تكليف عبيد الله بن زياد بمهمة اسكات صوت الثائرين هناك ،فقام بإعدام قادة الثورة ومنهم هانئ بن عروة ، ولم يسلم ابن عم الحسين كما يقول هالم من القتل على يد عبيد الله بن زياد[٣٧] ولم يكن هالم موفقا عندما ينتقد

اهل الكوفة جميعا دون ان يستثني أحد لعدم وفائهم بعهودهم التي قطعوها للإمام الحسين(عليه السلام) ويعبر عن ذلك بان من بين الالاف الذين بايعوا الحسين لم يأتي رجل واحد من الشيعة المزعومين لنصرة الحسين[٣٨] ، فقد ادّعى أن عدد الذين حضروا معه من مكة لا يتجاوز عددهم الخمسين نفرا بما فيهم اهل بيته، ولا توجد رواية تاريخية تشير الى هذا العدد[٣٩] ، وبلغ عدد الشهداء في نهاية المعركة اثنين وسبعين شهيداً فكيف وصل عدد الشهداء إلى هذا الرقم، في حين أنّ الحقائق التاريخية تشير بوضوح إلى أن أبا ثمامة الصيداوي[٤٠] قد استطاع الهرب من الكوفة وأخفى نفسه حتى مجيء الحسين(عليه السلام) والتحق به، كما أن شيخ قراء الكوفة برير بن الخضير[٤١] لم يتخلف عن الالتحاق به، ولا بد أن عددا أخر من اهل الكوفة قد التحق بالحسين(عليه السلام) حتى وصل العدد إلى الاثنان والسبعون شهيداً، وربما حالت الظروف الصعبة التي شهدتها الكوفة بعد وصول عبيد الله بن زياد واجراءاته التعسفية، وزجه بالسجن للمختار الثقفي وعدد من رجالات الكوفة المشهورين بولائهم لأهل البيت من الالتحاق بجيش الحسين(عليه السلام)، هذا سوى من استشهد في الكوفة ايام مسلم بن عقيل(عليه السلام) ومنهم عبد الاعلى بن يزيد الكلبي[٤٢] ، و عبد الله بن بقطر[٤٣] ، و عمارة بن صلخب الازدي[٤٤] ، و قيس بن مسهر الصيداوي[٤٥] ، وكل ذلك يظهر ان هناك من كان يريد التضحية بنفسه من اجل الحسين ، ولم يترك مسلم بن عقيل لوحده في الكوفة ودفع حياته ثمنا لذلك و كما لا يمكن اخفاء التخاذل الذي اصاب الكثيرين ، اضافة الى وجود اعداد كبيرة تدين بالولاء لبني امية .

تابع هالم تحرك الامام الحسين(عليه السلام) صوب الكوفة ، على الرغم من معرفته بمصير مسلم بن عقيل (عليه السلام) وما آلت اليه الامور في الكوفة ، ودفع عبيد الله بن زياد بدورية لمنع الامام الحسين(عليه السلام) من الوصول الى الكوفة ، فتحول الحسين(عليه السلام) صوب الشمال على بعد سبعين كليو متر عن الكوفة، وعشرين كليو متر عن الفرات، وفي اليوم التالي وصلت القوات الكوفية و حاصرت المعسكر ومنعت الماء عن الحسين (عليه السلام) ورفاقه واهل بيته، وتابع باقي تفاصيل المعركة كما نقلتها المصادر الاسلامية ليعيد الكوفة الى الواجهة من جديد ، ولكن ها هذه المرة مستقبلة لرأس الحسين(عليه السلام) في قصر الكوفة

والاسرى من اهل بيته[٤٦]، ويبدو ان هالم لم يفرق بين القوات الكوفية والقوات القادمة من دمشق وهذا ليس دفاعا عن اهل الكوفة لكنها الحقيقة فقد استقدم عبيد الله بن زياد قوات من الشام ، وهذا يوضح عدم وجود مساندة كبيرة من اهل الكوفة ، أو لعدم ثقة عبيد الله بأهل الكوفة كمقاتلين يقفون بالضد من الحسين وطبعا هذا لا يشمل اصحاب الولاء الاموي الخالص الذين شاركوا في المعركة، ويناقض هالم نفسه عندما يحصي عدد الشهداء ب ٣٢خيالاً ،و اربعين رجالاً[٤٧]، وهذا يناقض احصائه لأصحاب الحسين واهل بيته في بداية حديثه عن مقدم الحسين(عليه السلام) من مكة بخمسين نفر.

خامساً: ٥- ثورة التوابين في الكوفة التحضيرات والنتائج:-

من النتائج المهمة التي افرزتها ثورة الحسين(عليه السلام) في كربلاء ثورة التوابين[٤٨] عام ٦٤هـ، ٦٥هـ التي يعتبرها هالم مقرونة بأحداث كربلاء عام ٦١هـ هي المدة الزمنية لنشوء الشيعة ، ثم يعود الى خذلان اهل الكوفة بصورة مخجلة للحسين كما يصفها لعدم تحرك شخص واحد لنصرته[٤٩] .

ويمكن اعتبار ما جاء به هالم جزء من حقيقة نشوء الشيعة كون ثورة الحسين (عليه السلام) قد قلبت الموازين في الدولة الاسلامية ، وظل بني امية يعانون من تبعاتها حتى اندثار دولتهم على يد العباسيين، ولكن لا يمكن التسليم بذلك نهائيا لان الشيعة وجدت مع وجود الاسلام وهناك احاديث منقولة عن النبي الاكرم ثبت قدم التشيع قدم الاسلام[٥٠]، وسبق ان فندنا ما جاء به هالم من عدم نهوض اي فرد من اهل الكوفة و ما يسميه هنا الوقفة المخجلة لأهل الكوفة حيال ثورة الحسين[٥١] ، الا ان الكارثة التي حلت بالحسين في كربلاء قد جعلت الشيعة في حالة خطيرة من الندم وتأنيب الضمير تمخضت عنها ظهور حركة سميت باسم التوابين في الكوفة قادها سليمان بن صرد الخزاعي[٥٢]، وعاد هالم من جديد ليعتبرها النواة الاولى للشيعة ، بينما يعرف بسليمان على انه شيعي قديم قاتل مع علي (عليه السلام) في صفين، ويبلغ من العمر ستين عاماً[٥٣]،ويظهر ان هالم كان موفقا عندما تحدث عن الاسباب التي ادت الى انبثاق حركة التوابين في الكوفة فحتما قد وقع الكوفيين تحت هذا المؤثر النفسي الكبير لعدم

تمكن البعض بسبب وجوده في السجن او خوف وتخاذل الاخر عن النصرة، ومسألة اعتباره لحركة التوابين النواة الاولى للشيعة كان يمكن له تلافي الوقوع في الخطأ اذا اعتبرها الافراز الاول لثورة الامام الحسين(عليه السلام)، وأعطت دفعا قويا للشيعة للوقوف بوجه بني امية بعد الخذلان الذي شهدته الكوفة ابان ثورة كربلاء مكنتهم من القيام بثورات اخرى هزت اساسات الحكم الاموي وأرقت حكام بني امية، وتابع هالم حديثه عن التوابين من خلال التطرق الى تنظيمات هذه الحركة التي كان مقرها الرئيسي بيت سليمان بن صرد ، واعتمدت في برنامجها على تنمية روح التضحية بالنفس تعبيرا عن الندم، وتطورت هذه الروحية من لوم الذات الى الاعتراف بالعار من جراء التخاذل والاستعداد للموت تكفيرا عن عدم نصرتهم للحسين في كربلاء[٥٤]،ويرى هالم وفقا للرواية الشيعية ان التوابين قد استندوا الى آية في سورة البقرة التي تتحدث عن الإسرائيليين الذين عبدوا العجل المصنوع من الذهب فخاطبهم الله تعالى بلسان نبيهم موسى بن عمران(عليه السلام) الى ضرورة قتل انفسهم اعلاناً منهم للتوبة من هذا العمل، وهذه الآية هي ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٥٥]، ويبدو ان هالم قد سبر اغوار اعضاء هذه الحركة بعد استيعابه للرواية الشيعية في هذا الصدد فقد كان همهم الرئيسي التكفير عن الذنب الذي يرونه كبيرا بسبب تخاذلهم عن النصرة ، وأصبح لقائهم في بيت سليمان بن صرد بمثابة الدرس الذي يلهمهم مشاعر البأس والقوة للذهاب الى التضحية بالنفس، ويتحدث هالم عن اراء الشيعة بالتشابه بين ما يسميه التصورات المسيحية والعقائد الاسلامية ، وهو يرفض مصطلح التشابه بل يراه في بعض الاحيان تطابق في بعض المواقف فالخطيئة عند الشيعة ليست موروثة بل طارئة في حادثة معينة فشل تاريخي للفرقة بكاملها في حالة محددة على العكس من الخطيئة المسيحية التي هي خطيئة البشرية منذ بداية الخلق[٥٦] ، و ربما يكون هالم صائبا في هذا الرأي فالمسيحيون يعتقدون بالخطيئة الازلية التي بدأت منذ خطيئة ادم (عليه السلام) وجاء عيسى (عليه السلام) ليكفر عن هذه الخطيئة فتحمل الصلب من اجل التكفير عن خطيئة بني ادم المستمرة [٥٧]، وأضاف هالم و العقائد الاسلامية لا تجيز الانتحار

ذلك لان الانتحار فيها حرام وفقاً للآية ٢٩ من سورة النساء[٥٨] ، ويبدو ان هالم قد جعل ذلك فاصلا بين العقائد المسيحية والعقائد الاسلامية التي لا تجيز قتل النفس الا بالحق ، وخطب سليمان خطبة اراد فيها معرفة قدرات اصحابه على التضحية بالنفس فوجدهم على اتم الاستعداد لذلك وذكرهم بقضية بني اسرائيل الذين وضعوا انفسهم تحت السيف للتعويض عن الخطيئة ، ولكن بدون الدخول بما يغضب الله تعالى ويعني الانتحار، بعد ان اخبرهم عن كيفية التصرف اذا طلب منهم الاقتداء ببني اسرائيل [٥٩]، وأصبحت الامور مهيأة امام الكوفيين ( التوابين) بعد تحديد ساعة الصفر ، ولم يتحدث هالم عن تخلف الكثير عن القدوم لمناصرة اهل الكوفة لا سيما الزبيريين الذين كانوا يحكمون الكوفة ووعدوا بنصرة التوابين ضد الامويين كونهم العدو المشترك للطرفين مع اختلاف الاهداف التي ينطلق منها الطرفين فأهل الكوفة يريدون التعويض عن عدم نصرتهم للإمام الحسين (عليه السلام) ، بينما الحكومة الزبيرية تريد مواجهة عدوها الاول بني امية فهي لم تعلن النصرة حبا باهل الكوفة وانما لتضرب عصفورين بحجر واحد حيث تبين للكوفيين أنها معهم في قتال بني امية ، وتأمن نفسها من ثورة اهل الكوفة[٦٠] ، ويواصل هالم عرضه لأحداث ثورة التوابين بعد ان يعرض آرائهم بان التكفير عن الذنب سيكون في ساحة القتال امام اعداء الامام الحسين وليس بالانتحار الذي لن يجدي نفعاً ، ويعتقد هالم ان التضحية الجماعية ستكون بديلا عن الانتحار الجماعي والعدو هو المنفذ[٦١] ، ولا يمكن التسليم لاعتقاد هلم هذا فلم يكن الهدف الوحيد من ثورة التوابين التضحية بالنفس فقط ، وانما احتمال هزيمة العدو كان متوافرا لدى اهل الكوفة ، وقد أعدوا انفسهم لهذا الغرض من خلال التخطيط الذي استغرق وقتاً طويلاً ، وارسال الرسائل الى باقي الشيعة في العراق للانضمام اليهم في هذه الثورة فقد وصلت رسائلهم الى شيعة البصرة ولاقت استجابة ، وكذلك الامر في المدائن التي وافقت سليمان في نهضته على قتلة الحسين (عليه السلام) ،ويتحدث هال باقتضاب عن تفاصيل المعركة حيث ارسل سليمان بن صرد رسالة الى شيعة العراق يدعوهم الى مسيرة موحدة للموت وحدد الوقت في الثاني من تشرين الثاني – نوفمبر من عام ٦٨٢م / ٦٣ ه فخرج جيش التوابين من الكوفة ليأخذ طريقه شمالا بمحاذاة الفرات الى الاعلى قاصدا سوريا

بعد ان قضوا ليلة في كربلاء يعترفون بذنوبهم للإمام الحسين(عليه السلام) من خلال النحيب والحزن الشديد ، وتابعوا مسيرهم وفي يناير – كانون الثاني من عام ٦٨٥م/ ٦٦ه اعترضتهم القوات السورية في منطقة شمال ما بين النهرين وهنا فتكت بهم هذه القوات كما كانوا يأملون ويتوقعون، ولم يبقى منهم أحياء الا القليل الذي أخذ يندب حظه لعدم قتله في المعركة وغبط اصحابه الذين قتلوا لانهم نالوا درجة الشهادة بينما حرم منها هو والقلة الباقية معه[٦٢] ويظهر ان هالم قد عاد لاعتقاده السابق بالموت الجماعي للتوابين لاسيما بعد ان تخلف عنهم أصحابهم من اهل البصرة والمدائن ، ولكن سير المعركة يشير الى غير ذلك على الرغم من توافر النية المسبقة في التضحية لكن جيش الكوفة من التوابين تمكن ان يسطر بطولات رائعة تمكن من خلالها ان يلحق عدة هزائم بجيش الشام وكادت الامور ان تسير لصالحهم لولا الفارق الكبير في العدة والعدد ، فقد كان من المؤمل ان يجتمع للتوابين جيش قوامه ست عشرة الف مقاتل لم يلتحق منهم سوى اربعة الالاف مقاتل وتفرق الباقين لأسباب مختلفة ، ولم يلتحق سوى القليل من اهل البصرة والمدائن متأخرين عن الموعد ليجدوا المعركة قد انتهت وعاد من عاد الى الكوفة بعد خسارة المعركة ومقتل معظم الجيش[٦٣] ،والسنوات التي ذكرها هال في دراسته كان فيها خطأ فقد كانت ثورة التوابين بين العام ٦٤-٦٥ه وليس ما ذكره هالم، ويعتقد هالم ان ما فعله اهل الكوفة قائم الى الان فالشيعة الى اليوم يستمرون بالتكفير عن خطيئة اجدادهم ولكن ليس عن طريق الموت وانما عن طريق ضرب الجلد بالسياط وشج الجبهة بالسيف معبرين الندم ويقولون لو كنا في الكوفة آنذاك فلن نخذل الامام[٦٤] ويبدو ان هالم يريد ان يشير الى الشعائر الحسينية المستمرة الى يومنا هذا والتي تشير الى عمق الحزن والاسى على ما لحق بالإمام الحسين (عليه السلام) ، وبمرور الايام اصبحت هذه الشعائر مدرسة لتربية الاجيال على التضحية والفداء وعدم الركون للظالم ، وما حصل اليوم في العراق بعد فتوى الواجب الكفائي خير دليل وخير رد على تصورات هالم فقد لبى الشيعة هذه الفتوى وبذلوا انفسهم واموالهم ليحرروا بلدهم من أعتى اعداء الانسانية ومن أشرس هجمة تعرض لها العراق وجنت تلك الشعائر ثمارها عندما اتخذ

الشباب العراقي الحسين () واله وصحبه قدوة في رفض الانصياع للظالم والرضوخ الى من يريد ان يستبيح كل شيء في هذا البلد المقدس.

وأصر هالم على رأيه السابق بأن حركة التوابين الكوفية هي البداية الحقيقية للإسلام الشيعي لما تحمله من عناصر جوهرية "ومفاهيم التدين الشيعي وأهمها الفشل، الندم، التوبة، العقاب"[٦٥] ، ويمكن مناقشة رأي هالم بشأن المفاهيم لأننا ناقشنا رأيه في البداية الحقيقية للتشيع ، لان المفاهيم التي جاء بها هالم لا يمكن عدها المفاهيم الرئيسية للتدين الشيعي فمفاهيم التدين الشيعية لا تحمل مفاهيم الفشل و الندم ، وانما تأسست على اساس الصبر والتضحية لما تعرض له ابناء المذهب الشيعي من ظلم وتعسف امتد بامتداد الدولة الاسلامية ، وعندما تتاح الفرص فأن التشيع يظهر للواجهة كمقاوم للحكومات الظالمة ، وهذا ما اثبتته الاحداث التاريخية وقاد اهل البيت (عليهم السلام) المذهب صوب المبادئ الاسلامية الخالصة وانتقل التشيع في احيان كثيرة من المقاومة المسلحة الى رحاب العلم وتأسيس الجامعات العلمية التي رفدت الساحة العلمية بأسماء لامعة من العلماء في شتى ميادين العلم.

سادساً: الكوفة عاصمة للشيعة من جديد ثورة المختار الثقفي.

بعد انتهاء حركة التوابين الكوفية ، بدأت حركة جديدة في الكوفة أخذت بالظهور عام ٦٥ه و هي الاخرى كانت تعد العدة للانتقام من قتلة الامام الحسين (عليه السلام) وتبنت الخط الثوري فظهرت حركة المختار بن ابي عبيد الثقفي[٦٦]، تحمل شعار ( يا لثارات الحسين) وكانت اكثر تنظيما من سابقتها ، وتهدف الى السيطرة على الكوفة واعادتها كعاصمة للشيعة من جديد ، ولم يتطرق هاينس هالم الى تفاصيل تلك الثورة واكتفى بالحديث عن مزامنتها لثورة التوابين ، وثارت الكوفة من جديد بوجه الوالي الاموي الذي يمثلهم في الكوفة[٦٧] ، ويبدو ان هالم لم يكن دقيقا في هذا النقل لأن لا والي للأمويين في الكوفة عندما ثارت في ثورة المختار فالوالي الذي كان يدير الكوفة هو من قبل الزبيريين الذين حكموا الحجاز والبصرة والكوفة وبالتحديد كان الوالي هو عبد الله بن مطيع[٦٨]، وكان يرتبط بعلاقة مع المختار فعمل على اخراجه من الكوفة من دون ان يمسه اذى، وقيل انه خرج متخفيا بزي النساء قاصدا البصرة التي تقع تحت سيطرة

مصعب بن الزبير[٦٩] العدو اللدود للمختار والمنافس الذي اثبت عدم نزاهته في هذا التنافس فكان يتحين الفرص للاقتصاص من منافسه[٧٠] ، وكان النجاح من نصيب الثورة في الكوفة وأصبحت تواجه خطرين في ان واحد الخطر الاموي في الشام ، وخطر الزبيريين في الحجاز، وكان عليها الوقوف بوجه الاثنين بالإضافة الى خطر اعوان بني امية في الكوفة الذين قاموا بقتل الحسين (عليه السلام) في كربلاء، وأبرز ما اشار له هاينس هالم بحق هذه الامارة الشيعية في الكوفة هو الاقتصاص من قتلة الامام الحسين واصفا كربلاء بالمجزرة ، والعقوبات التي طبقها المختار الثقفي بالعقوبات الرهيبة[٧١] ، وكان هاينس هالم محقا فقد تم القصاص من قتلة الحسين(عليه السلام) كل حسب جرمه الذي اقترفه في كربلاء ، وهرب عدد منهم الى خارج الكوفة ، ولم يتطرق هاينس هالم الى انجازات الامارة الشيعية التي بسطت نفوذها على الموصل وتكريت، واكتفى بأن الحكومة الشيعية في الكوفة تولت الحكم في الكوفة واجزاء من جنوب العراق ولم يستمر حكمها سوى سنة ونصف السنة[٧٢] ، من دون الاشارة الى النصر الكبير الذي حققته على القوات الاموية في الموصل والتي انتهت بمقتل عبيد الله بن زياد أمير العراق اثناء حادثة كربلاء ، وفعلا لم تدم هذه الامارة الشيعية سوى سنة ونصف بعد القضاء عليها من قبل الزبيريين الذين استباحوا الكوفة ، وفي نهاية المطاف عادت الى الحكم الاموي من جديد بعد مقتل مصعب بن الزبير ونهاية الدولة الزبيرية.

سابعاً: زيد بن علي( ) شهيدا في الكوفة.

عادت الكوفة الى الواجهة من جديد كبؤرة لمقاومة الحكم الأموي وهذه المرة كانت القيادة بيد زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) [٧٣] الذي رفع راية المقاومة بوجه بني أمية ، وقام بالإعداد للثورة عام ١٢١ه ضد الحاكم الاموي هشام بن عبد الملك [٧٤] ، ولم يسهب هاينس هالم بالتطرق لتلك الثورة وانما اشار لها مجرد اشارة عندما يتحدث عن انعدام الطموح السياسي للإمام الباقر(عليه السلام) ، إلا ان أخاه غير الشقيق زيد قد تجرأ على قيادة ثورة ضد الحاكم الاموي عام ٧٣٩-٧٤٠م / ١٢٢ه واختار الكوفة موطن التشيع الاول مكاناً لانطلاق ثورته ، وأدت هذه الثورة الى فقدان حياته في قتاله ضد الامويين [٧٥] ، ويرى الباحث ان سبب اعتقاد هاينس هالم بعدم وجود دور سياسي للإمام

الباقر يأتي ضمن خطة مدروسة لإبعاد اهل البيت عن المشهد السياسي من خلال عدم ذكر نشاطاتهم السياسية في بطون الكتب التاريخية ولهذا لم يطلع المستشرق على الادوار السياسية للائمة الاطهار، ولا يمكن إغفال الدور الكبير للإمام الباقر (عليه السلام) عندما يجري الحديث عن حادثة القراطيس التي أُلمت بالاقتصاد الاسلامي وأحتار فيها الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان عندما رفض الامبراطور الروماني كتابة عبارات اسلامية عليها ، وهدده بكتابة عبارات شتم للنبي الاكرم على الدنانير التي تسك في بلاد الرومان، فأحتار عبد الملك ولم يجد الحل الا عند الامام الباقر الذي اشار عليه بسك العملة في بلاد المسلمين بعد ان اعلمه بأوزانها،

الخاتمة

بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث المتواضع توصل الباحث الى عدد من النتائج وهي على النحو الاتي:

أولا: كان للتنافس المذهبي بين المسلمين الاثر الكبير في رسم صورة قاتمة عن التشيع ليس في العالم الاسلامي فحسب ، وانما تعدى ذلك الى العالم الغربي.

ثانيا: وقفت الكوفة بوجه كل المحاولات التي ارادت ان تخرج التشيع عن قالبه العربي الاصيل الذي تأسس منذ تأسيس الاسلام ، وغرس جذوره الامام علي (عليه السلام) في الكوفة.

ثالثا: كانت الثورة الاسلامية في ايران ١٩٧٩م بمثابة الانطلاقة الحقيقية للشيعة بعد ان اصبح دور سياسي واقتصادي للشيعة على مستوى الشرق الاوسط والعالم اجمع.

رابعا: أخذت الكوفة على عاتقها منذ ثورة التوابين تأسيس الشعائر الحسينية التي أصبحت مدرسة للفداء والتضحية ، ورفض الركون للظالم.

خامسا: لا يمكن الفصل بين الشعارات والاهداف التي رفعتها كل الثورات ضد بني امية في الكوفة فكان الحسين (عليه السلام) والثأر له هو الشعار واسقاط نظام الحكم الاموي هي الاهداف على طول الخط.

الهوامش:

(١) هاينس هالم: مستشرق الماني ولد في ٢١/ شباط/ ١٩٤٢م في مدينة آندرناخ الالمانية ، تخصص في العلوم الاسلامية والسامية والعصور الوسطى، وكان للشيعة قصب السبق في دراساته الاسلامية ويقف كتابه الشيعة في طليعة هذه الدراسات ، من كتبه الغنوصية في الاسلام ، الاسلام الشيعي من الدين الى الثورة، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، امبراطورية المهدي – صعود الفاطميين، وغيرها ، وهو الان يدرس الاسلاميات في جامعة توبنغن الالمانية. ينظر: الشيعة، ص١١.

(٢) الحرب الاهلية في لبنان: اندلعت الحرب الاهلية في لبنان عام ١٩٧٥م، واستمرت لغاية عام ١٩٩٠م ، وشاركت فيها العديد من الاطراف اللبنانية من مسلمين ومسيح متمثلة بالعديد من الحركات والاحزاب اضافة الى القوات السورية ومنظمة التحرير الفلسطينية، تخللتها العديد من المجازر الدموية ، وأدت الى مقتل اكثر من مئة وخمسون الف ، وتشريد الالاف ،ومثلهم من المفقودين، وانتهت الحرب بانتشار القوات السورية في لبنان بحسب اتفاق الطائف. للمزيد حول الحرب ينظر: عيتاني، حرب لبنان صور. وثائق. احداث.

(٣) الحرب الاهلية في افغانستان: حصلت العديد من الحروب الاهلية في افغانستان وبمدد زمنية متقاربة وما يعنيننا الحرب الاهلية التي اندلعت عام ١٩٩٢م لغاية ١٩٩٦م والتي كان للشيعة دورا فيها عن طريق حزب الوحدة الشيعي والحركة الاسلامية ( شيعة محسني) .للاطلاع على المزيد من اخبار الحرب الاهلية في افغانستان ينظر .١٩٩٢-١٩٦ https;\\ar.wikipedia\wiki الحرب الاهلية في افغانستان.

(٤) الصراع على جبل قره باغ: اندلعت هذه الحرب عام ١٩٨٨م لغاية ١٩٩٤م بين أرمينيا وأذربيجان ، وتقع في الجزء الجنوبي الغربي من اذربيجان حيث دفعت ارمينيا بجماعات مسلحة في ناجورنو قرباغ للصدام مع حكومة اذربيجان. للمزيد من اخبار الحرب في قره باغ ينظر:\https;\\ar.wikipedia\wikiحرب مرتفعات قره باغ.

(٥) الانتفاضة الشعبانية:ثار ابناء الشعب العراقي عام ١٩٩١م بعد انسحاب نظام صدام من الكويت في ثورة عارمة اسقطت فيها كل المحافظات الشيعية ، لكن التدخل الخليجي الامريكي اعطى الضوء الاخضر للنظام باستخدام القوة المفرطة ضد ابناء شعبه وانتهت بالعديد من المقابر الجماعية ، لكنها وضعت اللبنة الاولى لانتهاء نظام صدام .ينظر: https;\\ar.wikipedia\wik الانتفاضة الشعبانية.

(٦) الشيعة، ص١٣.

(٧) الشيعة ، ص ١٤.

(٨) الشيعة ، ص١٤.

(٩) الشيعة ، ص٢٤,٢٥.

(١٠) عبد الله بن سلام: بن الحارث الإسرائيلي، اليهودي ، ثم الأنصاري لان له حلف مع الانصار، يكنى أبا يوسف. يقال كان حليفا للقواقلة من بنى عوف بن الخزرج ، وكان اسمه في الجاهلية الحصين

، فلما أسلم سمّاه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عبد الله ، وتوفى بالمدينة في خلافة معاوية بن ابي سفيان سنة ثلاث وأربعين ، وهو أحد الأحبار ، أسلم إذ قدم النبي صلى الله عليه واله وسلم المدينة، وهو وكعب الاحبار الذي أدخل الإسرائيليات في كتب التفسير والتاريخ الاسلامي . ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٣٥٢-٣٥٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب، ٣/ ٩٢٢,٩٢٣.

(١١) تاريخ الرسل والملوك، ٣/ ٤٧٤.

(١٢) المصدر نفسه، ٣/ ٤٥٢.

(١٣) القاسم، ازمة الخلافة والامامة، ص١١٢,١١٣.

(١٤) صفين: حصلت هذه المعركة عام ٣٦ه بين جيش الكوفة بقيادة الخليفة الشرعي الامام علي () وبين جيش الشام بقيادة معاوية ، وتخللتها العديد من الصدامات وكادت الامور ان تنتهي لصالح الامام علي لولا تخاذل الكثير من جيشه ومطالبتهم بالتحكيم. ينظر: ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين،ص١٥٤-١٩٠؛ اليعقوبي، التاريخ، ٢/ ١٨٧-١٨٩؛ مسكويه، تجارب الامم،١/ ٥١٢-٥٣٦.

(١٥) التحكيم: حيلة ابتدعها الداهية عمرو بن العاص واشار بها على معاوية كمحاولة اخيرة لتلافي الهزيمة المحدقة بجيشه لا محالة، وهي رفع المصاحف على الرماح وطلب اللجوء الى كتاب الله للفصل بين المتحاربين ، وقد جنى معاوية ثمار ذلك بعد انقلاب جيش الامام ضده وأصروا عليه بقبول التحكيم. ينظر: اليعقوبي، التاريخ، ٢/ ١٩٠؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٣٤، ٤/ ٤٩-٥١؛ مسكويه ، تجارب الامم ، ١/ ٥٤١- ٥٥١.

(١٦) الشيعة، ص٢٥.

(١٧) الشيعة،ص٢٥.

(١٨) اليعقوبي، التاريخ، ٢/ ٢١٢؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ١١٠-١١٢؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ١١٢؛ ابن الاثير ، الكامل في التاريخ، ٣/ ٣٩٠.

(١٩) الشيعة، ص١٥، و ص٣٤,٣٥.

(٢٠) الشيعة،ص٢٦.

(٢١) السبئية: وتنسب الى عبد الله بن سبأ اليهودي، وهي طائفة تقول أن الإمام علي هو الإله، ويلقب ابن سبأ بابن السوداء، و يقال انه يهودي من اليمن اسلم في عهد عثمان بن عفان واخذ يجوب البلاد الإسلامية لبث الفرقة بين المسلمين، ويعتقد الشيعة انه شخصية وهمية. ينظر:الدينوري،المعارف،ص٦٢٢؛الطبري، تاريخ الرسل والملوك،٣/٣٧٨.

(٢٢) خدابندة: السلطان المغولي محمد أو اليجايتو خان بن أرغون بن أبقا خان ابن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان المغولي، والمقصود بخدابندة عبد الله، أما المقصود من اليجايتو فتعني السلطان الأكبر، تشيع عام(٧٠٨ه) على يد الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلي في قصة مشهورة وادخل التشيع

في بلاد ايران. ينظر: العلامة الحلي، مختلف الشيعة،١/١٠٦-١١٨؛ القزويني، تاريخ كزيدة، ص٦٠٦؛الأمين ، أعيان الشيعة،٩/١٢٠.

(٢٣) الشاه إسماعيل الصفوي: إسماعيل بن حيدر بن الجنيد الصفوي، ولد عام٨٩٢هـ ، وهو مؤسس الدولة الصفوية في إيران ، أعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة بعد توليه الحكم بالقوة. ينظر: القمي ، الكنى والالقاب ، ٢/ ٤٢٤.

(٢٤) الشيعة،ص٢٦.

(٢٥) تشير الآية (٦٦) من سورة المائدة بوضوح تام عندما طلب جبرائيل من النبي (ﷺ) تنصيب الامام علي(عليه السلام) خليفة للمسلمين، ثم جاء قول النبي في غدير خم من كنت مولاه فهذا علي مولاه ليثبت هذه الوجهة. ينظر: الامام احمد ، المسند ، ١/ ٨٣,٨٢ ؛ ابن ماجة ، السنن، ١/ ٤٥ ؛ النسائي ، فضائل الصحابة ، ص١٤ ؛ الصدوق ، الهداية ، ص١٥٢.

(٢٦) الشيعة، ص٢٧.

(٢٧) للاطلاع على بيعة اهل الكوفة للإمام الحسن (عليه السلام) ينظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/ ٣٨؛ اليعقوبي ، التاريخ، ٢/ ٢١٤؛ الطبري ، ٤/ ١٢١؛

(٢٨) عبيد الله بن العباس: بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي القرشي ،يكنى أبا محمد، كان ممن رأى النبي (ﷺ) وسمع منه ، جعله علي بن ابي طالب (عليه السلام) على اليمن، وقام قائد جيش معاوية بسر بن أرطاة العامري بعد هجومه على اليمن بذبح ولديه الصغيرين، أمام أمهما فهامت على وجهها من بشاعة المنظر ،وتلقى أموالا من معاوية فصار ضد الحسن(عليه السلام)، توفي عام ٥٨ه .ينظر: خليفة، الطبقات، ص٤٠٤؛ البلاذري، انساب الأشراف، ٤/ ٥٥-٦٤؛ ابن عبد البر، الاستيعاب،٣/ ١٠١٠,١٠٠٩.

(٢٩) الشيعة، ص٢٧.

(٣٠) يمكن متابعة هذه النعوت عند هنري لا منس، بحث الحسن بن علي ، دائرة المعارف الاسلامية، ٣٨٠٤/١٢؛ وعند شتروثمان ، دائرة المعارف الإسلامية، بحث شيعة، ٦٤٠٧,٢/٢٠؛ وعند دونالدسون، عقيدة الشيعة ، ص٨٩؛ وعند مادولنك، خلافة محمد، الخلافة في وقت مبكر، ص٣٤٤,٣٤٣.

(٣١) الشيعة، ص٢٨,٢٧.

(٣٢) تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ١٢١.

(٣٣) التاريخ ، ٢/ ٢١٤-٢١٦.

(٣٥) الشيعة، ص٢٩.

(٣٦) ابو مخنف، مقتل الحسين ، ١٤؛ اليعقوبي ، التاريخ ، ٢/ ٢٤٢؛ الطبري، تاريخ الرسل الملوك، ٤/ ٢٥٧.

(٣٧) الطبري، المصدر نفسه، ٤/ ٢٥٩؛

(٣٨) الشيعة، ص٢٩.

(٣٩) الشيعة، ص٢٩.

(٤٠) ابو ثمامة الصائدي: عمرو بن عبد الله ،فارس من فرسان العرب ، و وجه من وجوه الشيعة ، قام بأمر من مسلم بن عقيل بجمع الاموال وشراء الاسلحة ، وكان من الخبراء بالأسلحة. ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٣٩٥؛ القمي ، الكنى والالقاب، ١/ ٣٤.

(٤١) برير بن الخضير: من همدان، كان شيخا في التسعين من شيوخ القراء في الكوفة لم يمنعه كبر سنه من الالتحاق بالحسين(عليه السلام) فقاتل بين يديه حتى استشهد في عام ٦١ه/ ٦٨٠م .ينظر: ابو مخنف ، مقتل الحسين، ص ١٢٨-١٣٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح،٦/١٠٠.

(٤٢) عبد الاعلى بن يزيد: من قبيلة كلب بايع مسلم بين عقيل في الكوفة ، وجاء لنصرته بعد ان علم بتخلي الناس عنه ،واعتقله كثير بن شهاب وسلمه لعبيد الله بن زياد فقام بقتله. ينظر: ابو مخنف ، ص٤٤.

(٤٣) عبد الله بن بعطر: هو اخو الحسين() في الرضاعة من فرسان الكوفة قارئا، كان يحمل الرسائل بين الحسين ومسلم ، القي القبض عليه وطلب منه عبيد الله الصعود لأعلى القصر وذم الحسين لكنه فعل العكس فقتله في جبانة السبع. ينظر: ابن حجر، الاصابة، ٥ / ٨؛ البراقي، تاريخ الكوفة، ص٢٩٠ الامين ، أعيان الشيعة، ١/ ٥٩٥.

(٤٤) عمارة بن صخلب: من وجوه الشيعة وفرسانها في الكوفة بايع مسلم بن عقيل ، وخرج لنصرة الحسين (عليه السلام) وكان يأخذ البيعة لمسلم قتله عبيد الله بن زياد. ينظر: ابو مخنف، مقتل الحسين، ص٤٤؛ البراقي ، تاريخ الكوفة، ٣٣٥.

(٤٥) قيس بن مسهر: شاب كوفي من وجوه بني أسد ، وهو احد حملة رسائل اهل الكوفة للإمام الحسين، قبض عليه الحصين بن النمير ومعه رسالة من الامام الى مسلم فقام بإتلاف الرسالة وسلمه الى عبيد الله الذي أمر بقتله. ينظر: البلاذري ، انساب الاشراف، ٣/ ١٦٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٢٩٧.

(٤٦) الشيعة، ص٣٠.

(٤٧) الشيعة، ص٣٠.

(٤٨) التوابين:جاءت كردة فعل على حادثة كربلاء الاليمة و استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) فيها حيث ندم شيعة الكوفة على استدعائهم للإمام الحسين(عليه السلام) ثم التخلي عنه وتركه في الميدان مع ثلة من

اصحابه وال بيته فنشأت حركة التوابين تنادي بالتكفير عن الخطأ المرتكب والثأر من قتلة الحسين(عليه السلام)، وحصلت عام. ينظر:الطبري،التاريخ،٤/٤٢٦-٤٣٥، ٤/٤٥١-٤٧٣؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم،٢/١٠٧-١٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٤/١٥٨-١٦٤ ،٤/١٧٥-١٨٨.

(٤٩) الشيعة، ص٣٤.

(٥٠) هناك العديد من الاحاديث التي تشير الى قدم التشيع منها قول النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله)"يا علي أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض" ، وقوله "شيعة علي هم الفائزون" وقوله "علي وشيعته هم الفائزون يوم القيامة" وقوله "يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك وولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فإنك الأنزع البطين"

(٥١) الشيعة، ص٣٥.

(٥٢) سليمان بن صرد الخزاعي: من صحابة النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) كان اسمه قبل الإسلام يسار فغير النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) اسمه الى سليمان يكنى أبا مطرف كان من أهل الخير والورع والإيمان ، من أصحاب الامام علي (عليه السلام) شهد معه معركة الجمل وصفين ،وهو احد الذين راسلوا الإمام الحسين(عليه السلام) للقدوم ولم يخرج معه، فقاد حركة التوابين وسمي بأمير التوابين .ينظر: ابن سعد، الطبقات،٤/٢٩٢؛ابن عبد البر ،الاستيعاب،٢/٦٤٩-٦٥١؛ ابن الأثير أسد الغابة،٢/٣٥١.

(٥٣) الشيعة، ص٣٥.

(٥٤) الشيعة، ص٣٥.

(٥٥) سورة البقرة ، الآية:٥٤.

(٥٦) الشيعة، ص٣٦.

(٥٧) الملاح ، فلسفة التاريخ ، ص٩٤-٩٨.

(٥٨)﴿لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

(٥٩) الشيعة، ص٣٥.

(٦٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٤٣٥,٤٣٦.

(٦١) الشيعة، ص٣٦.

(٦٢) الشيعة، ص ٣٧.

(٦٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤/ ٤٥١-٤٧٣.

(٦٤) الشيعة، ص٣٧.

(٦٥) الشيعة، ص٣٨.

(٦٦)المختار الثقفي: بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ولد السنة الاولى للهجرة النبوية، ورحل مع أبيه ابي عبيد إلى المدينة تاركا الطائف مسقط رأسه ، ثم غادر المدينة ليحط رحله في العراق فسكن البصرة

ثم الكوفة لينطلق منها بالثورة على بني أمية وبني الزبير رافعا شعار يا لثارات الحسين ، قتله مصعب بن الزبير عام(٦٧هـ/ ٦٨٦م). ينظر :البلاذري، انساب الأشراف،٣٧٥/٦؛ المقريزي ،إمتاع الأسماع،٢٥٠/١٢.

(٦٧) للاطلاع على أخبار الثورة. ينظر: اليعقوبي ، التاريخ، ٢/ ٢٥٨,٢٥٩؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك،٥١٣/٤-٥٣٥ ؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٧٣- ٧٥ ؛ ابن مسكويه ، تجارب الأمم،١٤٦/٢-١٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٢١١/٤-٢٥٨.

(٦٨) عبد الله بن مطيع: بن الاسود بن حارثة ، وأمه ام هشام امنة بنت ابي الخيار، لم تحدد ولادته بالضبط ، ولكنه ولد زمن النبي الاكرم(ﷺ) ، وكان له اموال وبئر بين السقيا والابواء يسمى بئر بن مطيع ، دخل السياسة وتولى الكوفة عام ٦٥ه لعبد الله بن الزبير، وقتل مع عبدالله بن الزبير عام ٧٤ه . ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ٥/ ١٤٤-١٤٩ ؛ البلاذري، انساب الاشراف ، ١٠/ ٤٨١,٤٨٢ ؛ ابن حجر، الاصابة، ٥/ ٢٢.

(٦٩) مصعب بن الزبير: بن العوام بن خويلد، وامه الرباب ، يكنى ابا عبد الله وليس له ولد بهذا الاسم، وتولى البصرة ثم الكوفة لأخوه عبد الله بن الزبير ، وقام بقتل انصار المختار الذين استسلموا له طمعا بالعفو، قتل على يد عبد الملك بن مروان عام ٧٢ه . ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى، ٥/ ١٨٢-١٨٤ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ١٣/ ١٠٦-١٠٨.

(٧٠) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٧٢.

(٧١) الشيعة، ص٣٩.

(٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤/ ٤٩٩-٥١٢.

(٧٣) زيد بن علي: بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمه أم ولد كان عين إخوته بعد الامام الباقر، الباقر(عليه السلام) وكان عابداً ورعاً عالما فقيهاً شجاعاً واعتقد الكثير من اتباع المذهب الشيعي أنه الإمام لخروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد ، استشهد في الثاني من صفر عام (١٢١هـ/٧٣٧م) في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان .ينظر: ابن سعد ،ى الطبقات الكبرى،٣٢٥/٥؛ الشهرستاني، الملل والنحل،١٥٤/١,١٥٥.

(٧٥) للاطلاع على المزيد من أحداث الثورة ينظر: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٤٨١-٤٩٦.

(٧٦) الشيعة، ص٤٠.

## قائمة المصادر والمراجع

ابن الأثير: علي بن محمد الجزري(ت ٦٣٠ه/١٢٣٣م).

١. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي،( بيروت- ب.ت).

٢. الكامل في التاريخ ،دار صادر، ( بيروت-١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

ابن أعثم الكوفي: احمد،(ت ٣١٤ه/ ٩٢٧م).
٣. الفتوح، تح: علي شيري، ط١،دار الأضواء،( بيروت-١٤١١هـ/١٩٩١م).
الأمين: محسن
٤. أعيان الشيعة، تح: حسن الأمين ،دار التعارف ،( بيروت -١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م).
البلاذري: أحمد بن يحيى،(ت٢٧٩ه/٨٩٢م).
٥. أنساب الأشراف، تح: محمد حميد الله ،دار المعارف،( القاهرة-١٣٧٩ه/١٩٥٩م).
ابن حجر. احمد بن علي (ت ٨٥٢ه/ ١٤٤٩م).
٦. الإصابة في تميز الصحابة، تح: عادل احمد عبد الموجود و علي محمد معوض،ط١،دار الكتب العلمية،( بيروت-١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
ابن حزم : علي بن احمد بن سعيد (ت ٤٥٦ه/١٠٦٧م).
٧. جمهرة انساب العرب، ط١، دار الكتب العلمية،( بيروت-١٤٠٣هـ /١٩٨٣م).
ابن حنبل، احمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١ه/٨٥٥م).
٨. مسند احمد ، دار صادر ،(بيروت- ب. ت).
ابن الخطيب البغدادي: احمد بن علي ،(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) .
٩. تاريخ بغداد ، تح: مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ،دار الكتب العلمية ،( بيروت – ب. ت).
خليفة بن خياط: أبي عمر ،(ت ٢٤٠هـ /٨٥٤م).
١٠ . طبقات خليفة، تح: سهيل زكار، دار الفكر،( بيروت-١٤١٤هـ/١٩٩٣).
ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ه/ ٧٨٥م).
١١ . الطبقات الكبرى ، دار صادر ،( بيروت- ب. ت).
الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم(ت٥٤٨هـ/١١٥٣م).
١٢. الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور،ط٩،دار المعرفة ،(بيروت- ب.ت).
الصدوق: محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١ه-٩١١م).
١٣.الهداية؛ تح: مؤسسه الإمام الهادي،ط١،مطبعه اعتماد-قم (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

الطبري: محمد بن جرير(ت ٣١٠ه/ ٩٢٣م).
١٤. تاريخ الرسل والملوك، تح: نخبة من العلماء، الأعلمي،( بيروت-١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م).
ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد(ت٤٦٣ه/١٠٧٠م).
١٥. الاستيعاب، تح: محمد البجاوي،ط١،دار الجيل،(بيروت-١٤١٢ه/١٩٩٢م).
عيتاني. ليلى بديع.
١٦. حرب لبنان صور وثائق احداث، دار المسيرة للطباعة والنشر ،( بيروت -١٣٩٨ه / ١٩٧٧م).
القاسم . أسعد وحيد.
١٧. ازمة الخلافة والامامة واثارها المعاصرة ، مركز المستبصرين، مؤسسة الامام الهادي.
ابن قتيبة الدينوري: محمد بن عبد الله بن مسلم،( ٢٧٦ه/ ٨٨٢م).
١٨. المعارف ،تح: ثروت عكاشة ،ط٢ ، مطابع دار التعارف ،(القاهرة-١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
القزويني: احمد بن نصر(٥٠٧ه/١١١٣م).
١٩. تاريخ كزيدة ،تح :عبد الحسين نوائي،ط٢،مطبعة جاي خانه-مهر،( طهران-١٣٨٦ه/١٩٦٥م).
المسعودي: علي ابن الحسين(ت٣٤٦ه/٩٥٧م).
٢٠. مروج الذهب ومعادل الجوهر، تح: يوسف اسعد داغر، ط٢، دار الهجرة(قم-١٤٠٤ه/١٩٨٤م).
ابن مسكويه: احمد بن محمد(ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م).
٢١. تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،تح: أبو القاسم إمامي،ط٢، دار سروش للطباعة،(طهران- ب. ت).
ابن مزاحم المنقري. نصر ( ت ٢١٢ه / ٧١٨م ).

٢٢. مقتل الحسين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة المدني، ( مصر – ١٣٨٢ه/ ١٩٦٢م).

الملاح: هاشم

٢٣. المفصل في فلسفة التاريخ، دار الكتب العلمية ،( بيروت- ١٣٩١ه/ ١٩٧١م).

هالم: هاينس

٢٤. الشيعة، ترجمة: محمود كبيبو، ط١، شركة الوراق ،( بيروت-١٤٣١ه/ ٢٠١١م).

النسائي: احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (ت٣٠٣ه/٩١٥م).

٢٥. فضائل الصحابة، دار الكتب العلمية ،( بيروت- ب.ت).

اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت بعد ٢٩٢ه/ ٩٠٥م).

٢٦. التاريخ ،تح: خليل المنصور ،مطبعة سنارة،(قم -١٤٢٨ه/٢٠٠٨م).

# جهود الشيعة في كتابة التاريخ، مؤرخ الكوفة أبان بن عثمان الأحمر البجلي أنموذجاً

م.د. علي زهير هاشم الصراف
مركز دراسات الكوفة

المقدمة:

تعد البصرة والكوفة من أوائل الأمصار الإسلامية الكبرى نشأة واجتماعاً لمختلف القبائل العربية الشمالية والجنوبية، العدنانية والقحطانية؛ فكانتا أول مراكز تلاقح مختلف الأفكار عندما اجتمع فيها العرب وغيرهم ونشأت بتبع هذا التلاقح ولقاء العلماء أولى المدارس العلمية الإسلامية في مختلف العلوم سيما علم التاريخ وكتبت التصانيف الأولى في فروعه المختلفة سيما السيرة والأنساب وبعض التصانيف المجتزئة في بعض الأحداث التاريخية الهامة التي شهدته هذان المصران.

وكان للكوفة قصب السبق في مضمار العلم بتفرعاته المختلفة نظراً لطابع القداسة التي كانت تحمله من خلال مسجدها الجامع العريق الذي يعود تاريخ نشأته إلى زمن غابر قبل تأسيس الكوفة نفسها ـ حسب الروايات الدينية المعتبرة ـ واجتماع العلماء فيه لتدارس العلوم الإسلامية المختلفة المشتقة من القرآن الكريم كالتفسير وما يرتبط به من علوم أخرى وعلوم اللغة العربية إذ نشأ في هذه الحاضنة أحد أعرق المدارس اللغوية والنحوية عند العرب. وعرفت الكوفة بتداول علوم الحديث وما يتفرع عنها من السيرة والتاريخ. كما شهدت الكوفة حدثاً تاريخياً هاماً زادها قدسيّة وشرفاً في نفوس المسلمين وهو اتخاذها مركزاً للحكم العلوي لمدة أربعة سنوات وشهران وتسعة أيام ومن بعده استخلف ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) فكانت مركز حكمه لأشهر حتى عاد إلى المدينة المنورة بعد هدنته مع معاوية. فتقاطر عليها أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتابعين الموالين له من كل حدب وصوب والتفت حولهما القبائل التي كانت تراهما أصلح الناس للحكم كربيعة وخزاعة وهمدان وبجيلة وغيرها من القبائل العربية وبذلك عرفت الكوفة أنه علوية الطابع شيعية المسلك.

والتاريخ هو من جملة العلوم التي راجت في الكوفة، بل أصبحت الكوفة الشيعية الهوى إحدى ركائز مدرسة العراق الكبرى التي تضاهي مدرسة المدينة المنورة التي تصنف هي الأخرى من المدارس التاريخية الكبرى في هذا الشأن، فهناك الكثير من الإخباريين الكوفيين الأوائل من الشيعة وغيرهم الذين صنّفوا العديد من الكتب التاريخية في مختلف شعبه وتمكّن منها المصنّفون الجامعون لهذا التراث التاريخي ودمجوها في مصنفاتهم أو إستفادوا من أغلب أخبارها، سيّما وأن الكثير من أولئك الإخباريين والمؤرخين الكوفيين الأوائل هاجروا إلى بغداد وترعرت حركة التدوين التاريخي فيه على أيديهم وزاد ألقها. وفي هذا البحث المتواضع نهدف إلى معرفة العمق التاريخي للمعرفة التاريخية للشيعة ومن صنّف فيها سيما الذين سكنوا الكوفة، ونتعرّف على أبرز من قام بالتأليف منهم، ثمّ نرى منهج أحد أبرز مؤرخي الكوفة الشيعة وأثر مكانته العلمية ومصنفاته على المجال المعرفي التاريخي عند الشيعة.

أولاً: تقدّم الشيعة في التصنيف التاريخي: مؤرخو الكوفة الأوائل

وعرف عن الشيعة تأسياً بتوصيات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الإهتمام بكسب العلم وتسجيله. كيف لا وقد عرفت أسر علمية بينهم منذ صدر الإسلام كانت تمتهن الكتابة أصلاً أبرزها أسرة آل أبي رافع موالي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، فقد عرف جدهم إبراهيم المكنّى بأبي رافع أنه كان من العلماء ومن سلفنا الصالح المتقدّمين في التصنيف وله كتاب "السنن والأحكام والقضايا"، يرويه عن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)[١]. فهو أول من صنّف في الحديث[٢]. إلا أن أول من صنّف في التاريخ وأهم شعبة من شعبه الأولى ألا وهي المغازي والسير عند الشيعة أيضاً كان من هذه الأسرة هو عبيدالله بن أبي رافع من أصحاب الإمام علي (عليه السلام)[٣] وكاتبه في دولته؛ فقد صنّف كتابين هما: "كتاب قضايا أمير المؤمنين" وفيه أحداث تتعلّق بسيرة الإمام علي (عليه السلام) حسب عنوانه، وكتابه الآخر عنوانه: "تسمية من شهد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) الجمل وصفين والنهروان"[٤] وهو مسرد بأسماء أو سير وتراجم من صحب الإمام علي (عليه السلام) في الكوفة ورافقه في حروبه التي خاضها هناك في العراق والشام على ما يبدو.

إلا أن الشيعة وبسبب اختلاف معطياتها الفكرية الخاصة عن التيار الفكري الإسلامي العام المدعوم من السلطة استمرت في التصنيف في شعب التاريخ الهامة من أبرزها السيرة وتطوّرات الأحداث التاريخية في العراق ومنها أخبار العلويين وحركات المعارضة الشيعية ضد الحكم القائم التي هي الأكثر عرضة للتحريف والتزوير من قبل السلطة. ونقصد هنا بالشيعة معناها الخاص المُقَولَب ضمن إطار المذهب الإمامي فيما بعد وليس معناها العام الذي سار في خطاه ممن اشتهر من مؤرخي الكوفة الأوائل أمثال محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ/ ٧٦٣ م) وابنه هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م) وأبي مخنف الأزدي الكوفي (ت ١٥٧ هـ/٧٧٤ م) وغيرهم ممن عرفوا بالإخباريين الذين ترجمت لهم المصادر التاريخية وكتب الأنساب السنية باعتبارهم جزء من حلقات تطور الكتابة التاريخية الإسلامية.

والذي نستطيع قوله هو أن الشيعة لم تتمكن من إيجاد نصّ تاريخي متكامل مجموع من هذه المصنفات المجتزئة الأولى في شتى موضوعات التاريخ مثل السيرة وتاريخ أهل البيت (عليهم السلام) وغيرها مثلما فعل الطبري مثلاً في تاريخه، وذلك بسبب عدم اهتمامهم بأصل الأحداث التاريخية التي كانت تحدث في زمانهم كونها تاريخ أمراء وخلفاء يعدّون قادة الخلاف ضد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم فهي لا تعنيهم وهم خارج نطاق توجهاتها السياسية والفكرية، أضف إلى ذلك أنه لم يحصل أن توفّر عند الشيعة مؤرخ استطاع جمع المصنّفات المجتزئة تلك العائدة لكبار مؤرخي الشيعة الأوائل ويبوّبها في كتاب شامل، وبذلك فقدت تلك المصنّفات القديمة وبالتالي ضاعت تلك الجهود المضنية المبكرة منذ السنوات الأولى بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عدى بعض ما وصلنا من بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي المتمثلة المؤرخين نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م) وكتابه الشهير: "وقعة صفين" وإبراهيم بن محمد الكوفي الثقفي (ت ٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م) وكتابه الغارات[٥].

وعليه وكا أسلفنا فإن كتابات الشيعة في حقل التاريخ إختصرت على بعض أنواع التصانيف المتداخلة مع العلوم الشرعية الأخرى أو تلك التاريخية الصرفة، فهي إما في حقل السيرة النبوية ومغازيه (صلى الله عليه وآله) وأضيف إليها بعض الأحداث

التاريخية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتحديداً فيما يتعلّق بسيرة الإمام علي (عليه السلام) خاصة أيام خلافته وحروبه المفروضة عليه أو في قصص الأنبياء الذي اصطلح عليه في كتب التواريخ العامة مصطلح "المبتدأ" يعني تاريخ الأمم السالفة منذ الخليقة، أو تحت عناوين كتب "الدلائل" التي هي الكتب المصنّفة في إثبات معاجز الأئمة (عليهم السلام) والغرض منها الولوج في المباحث الكلامية المتعلّقة بإثبات الإمامة. وقد احتوت هذه المصنّفات على أجزاء تاريخية هامة عن سيرة المعصومين (عليهم السلام)، أو الكتب الكلامية الصرفة التي تبحث مسألة الإمامة أيضاً من زاوية كلامية بحتة مثل إثبات وجود النصّ على إمامة الأئمة (عليهم السلام) وذكر الشواهد التاريخية الدالة على عدم اهتمام المخالف بهذه النصوص، وأخرى تتعلّق بنقد الصحابة والخلفاء الذي عرفت بكتب "المطاعن"، وشكل غالبية هذه المصنفات هو الحديث، أو كتب الحديث العام التي تحتوي على مباحث وأبواب تخصّ منقولات تاريخية خاصّة فيما يتعلّق بتواريخ الأئمة (عليهم السلام) سيّما وأن البعض منها صنّفت في هذا الأمر خاصّة، نخصّ بالذكر هنا كتاب "عيون أخبار الرضا (عليه السلام)" للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م)، كما اختصّت بعض الكتب الحديث الأخرى بالإمام المهدي (عليه السلام) وتاريخ عصر الغيبة وما طرئ على مجتمع الشيعة في هذا العصر. وبرع الشيعة في التصنيف في مجال علم الرجال فدوّنوا فهارس كثيرة بأسماء أصحاب الأئمة (عليهم السلام) أو من صنّف منهم ومن الشيعة عامة. وألف الشيعة أيضاً في فنّ الأنساب واختُصَّ هذا الفن بتأليف كتب عن أنساب الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وأولادهم وذراريهم، فهي كتب مليئة بمعلومات تاريخية تخصّ سيرة العلويين الشيعة، وقد تبعت هذه الكتب التصنيف في أسماء العلماء وذكر سلاسل إجازاتهم في العصور المتأخرة. واشتهرت الشيعة بالتصنيف التاريخي في نوع خاص من أنواع التدوين التاريخي عرف بكتب تواريخ الأئمة (عليهم السلام) وكان رائد هذا النوع من التصنيف الشيخ المفيد (رحمه الله) (ت ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢ م) وكتابه ذائع الصيت: "الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد"، بحيث سار على نهجه علماء آخرون كثر وردت تصانيفهم في بطون الكتب المختلفة وأمهات المصادر[٦].

وهنا وقبل الولوج في صلب البحث وجب علينا أن نوصل بدايات تصنيف الشيعة في شعب التاريخ الإسلامي سيّما الحديث وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) كون مؤرخنا أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي (توفي بعد ١٧٠ هـ/ ٧٨٧ م) كان من أبرز المصنّفين في هذا الحقل من حقول التاريخ الإسلامي.

فالحديث كما هو معلوم هو العلم الذي تفرّع نه التاريخ إذ أن مادة التاريخ الأولى كانت عبارة عن أحاديث تتعلّق بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) والأمم السالفة من وأنبيائها، وتبعه في ذلك المنقولات التي خصّت تاريخ العرب والأمة الإسلامية بوصفها حاملة آخر رسالات السماء. وقد ثبتت هذه الآثار والروايات في مختلف كتب التفسير والحديث العامة والخاصة. ومن هذا المنطلق فقد عدّ باحثون أول من صنّف في التاريخ المنبثق من الحديث هو سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦ هـ/ ٦٩٥ م)[٧]؛ فأصل الكتاب هذا في الحديث إلا أنه مليء بأخبار وسيرة الأئمة (عليهم السلام) سيّما الإمام علي (عليه السلام). وبتبعه صنّفت الكثير من الكتب في الحديث شملت بعض أبوابها أخباراً لأهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم على شاكلة هذه المصنّفات المنفردة، أهمها: المحاسن للبرقي (توفي بعد ٢٧٦ هـ/ ٨٨٩ م) وبصائر الدرجات للصفار القمي (ت ٢٩٠ هـ/ ٩٠٣ م).

وفي هذه المرحلة ما بين إنتاج تلك المصنّفات المنفردة الأولى وظهور المجاميع الروائية الكبيرة التي احتوت على مادة تاريخية كانت قد جمعتها تلك الأصول، هناك ظاهرة ملفتة للأنظار فيها دلالة ملفتة للنظر فيها دلالة واضحة أخرى على اهتمام الشيعة بالتصنيف في التاريخ ألا وهي ميول كبار أصحاب المغازي والسير إلى التشيع من كوفيين وغيرهم؛ فعرف عن أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي[٨] وهشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي[٩] أن توجهاتهم كانت توجهات شيعية فقد ذكراهما الشيخان النجاشي والطوسي (رحمة الله عليهما) في رجالهما وأوردا فهرساً بتصانيفهما المهمة في السيرة والتاريخ[١٠]. واشتهر من مؤرخي الشيعة في هذه العصور المبكرة أبو أحمد عبدالعزيز بن يحيى الجلودي (ت ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ م) صاحب المصنّفات الكثيرة التي ذكرها النجاشي[١١] وإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي الزيدي ثم الإمامي

الذي صنّف في موضوعات مثل: السقيفة والشورى ومقتل عثمان ومقتل علي (عليه السلام) ومقتل الحسين (عليه السلام)[١٢] ولم يصلنا منه سوى كتابه المفيد "الغارات. كما عرف جابر بن يزيد الجعفي (ت ١٢٨ هـ/ ٧٤٦ م) وهو من أصحاب الإمامين الباقر (ت ١١٤ هـ/ ٧٣٢ م) والصادق (ت ١٤٨ هـ/ ٧٦٥ م) (عليهما السلام) أنه صنّف في مقاتل المعصومين وقد نقل عنها الطبري ونصر بن مزاحم المنقري[١٣]. واشتهر الأصبغ بن نباته (توفي بعد ١٠٠ هـ/ ٧١٩ م) برواية أجزاء هامة من خطب الإمام علي (عليه السلام) وعهده لمالك الأشتر النخعي[١٤].

كان هذا مختصر عن أهم أسماء المؤرخين ورواة الأخبار الشيعة الذين اشتهروا بانشغالهم بفنّ التاريخ أو بأحد تفرّعاته منذ بدء التصنيف في الإسلام حتى زمن مؤرخنا اللذي نروم التكلم عن جهوده ونتاجه العلمي في مجال التاريخ وتحديداً السيرة، وبما أنه اشتهر في هذا الحقل من حقول التاريخ يلزمنا التعرّف على جهد الشيعة في موضوع السيرة النبوية وما يلحقها من سيرة الإمام علي (عليه السلام) وأحداث عصره. وفي هذا السياق يجب القول أن تعلّم السيرة ومغازي النبي (صلى الله عليه وآله) وما يتعلّق بأحداث عصره كان ممّا أوصى به الأئمة (عليهم السلام) في كثير من الأخبار الواردة عنهم، وأن هناك الكثير من الروايات وردت عنهم تخصّ تفاصيل سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ومغازيه بثّت في كتب التفسير وكتب الحديث وغيرها من المصنّفات المتنوعة التي امتاز بها الشيعة بسبب ظروفهم المعروفة التي استمرت في مختلف العصور التي أهمها هي اختلاف وجهة نظرهم مع باقي المذاهب الإسلامية فيما يتعلّق بمسألة الإمامة والخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله). فمثلاُ ورد قسم من مرويات أبان بن عثمان البجلي الكوفي (توفي بعد ١٧٠ هـ/ ٧٨٧ م) عن السيرة في كتاب تفسير علي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م)[١٥] وهو من أشعر وأقدم مصنّفات الإمامية في التفسير المأثور فمروياته جميعاً هي عن الإمامين الصادقين (عليهما السلام). كما أن هناك نماذج من عناوين بعض الكتب الأولى التي صنّفها الإمامية في السيرة وهي مصنّفات منفصلة أو أبواب متعدّدة لكتاب واحد لم يحدّد اسمه أو لم تذكره المصادر ووصلتنا عناوين أبوابه فقط وذكرتها كتب الرجال من قبيل: "كتاب مبعث النبي

وأخباره" لعبدالله بن ميمون القدّاح (ت ٢٧٠ هـ/ ٨٨٤ م)[١٦] من رواة الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، "كتاب المبتدأ والمغازي والردة" لإبراهيم بن محمد الثقفي[١٧]، "كتاب الدلائل" لعلي بن الحسن بن علي بن فُضّال (توفي بعد ٢٧٠ هـ/ ٨٨٤ م)[١٨] في معاجز النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) على ما يبدو، وكتاب آخر عرف عنه عنوانه:"كتاب أسماء آلات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسماء سلاحه" و"كتاب وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)"[١٩]. وكتب عبدالعزيز الجلودي الأزدي من علماء الشيعة البصريين كتاباً عنوانه: "كتاب نسب النبي (صلى الله عليه وآله)" و"كتاب خطب النبي (صلى الله عليه وآله)" و"كتاب كتب النبي (صلى الله عليه وآله)" و"كتاب أخبار الوفود على النبي (صلى الله عليه وآله)"[٢٠]. وأثر عن المحدث الشهير أحمد بن محمد بن خالد البرقي كتاباً في المغازي.[٢١]

أما فيما يتعلّق بما ألحق بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) عند الشيعة من التفاتهم لسيرة الإمام علي (عليه السلام) وأحداث عصره وما تلتها من أمور، فهناك الكثير من المصنّفات وردت تسميتها في كتب الرجال والتراجم. فمن أقدم من صنّف في هذا الشأن نستطيع تسمية الأصبغ بن نباتة من أصحاب أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، فقد صنّف كتاباً في مقتل الحسين (عليه السلام)[٢٢]. وأثر عن اثنان من بني ثقيف أهما صنّفا في هذا الحق بعض العناوين الهامّة، أحدعم أحمد بن عبيدالله الثقفي الذي صنّف: كتاب المبيضّة في أخبار مقاتل آل أبي طالب" و"كتاب في تفضيل بني هاشم وذمّ بني أمية وأتباعهم"، والثاني هو إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي صاحب كتاب "الغارات" الذي صنّف "أخبار عمر" و"أخبار عثمان" و"كتاب الدار" وغيرهما من المصنفات[٢٣]. وصنّف جابر بن يزيد الجعفي "كتاب الجمل" و"كتاب صفين" و"كتاب النهروان" و"كتاب مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)"و"كتاب مقتل الحسين (عليه السلام)"[٢٤]. وأثر عن محمد بن زكريا بن دينار أنه صنّف كتاب "الجمل الكبير" و"الجمل المختصر" و"صفين الكبير" و"كتاب النهر" أي النهروان و"مقتل أمير المؤمنين (عليه السلام)" و"أخبار فاطمة (سلام الله عليها)" و"مقتل الحسين (عليه السلام)"[٢٥]. وكتب علي بن الحسن بن علي بن فضّال "كتاب الكوفة"()، وصنّف عبدالعزيز الجلودي

البصري كتباً كثيرة أهمها: "كتاب الجمل" و"كتاب صفين" و"كتاب الحكمَين" و"كتاب الغارات" و"كتاب الخوارج" و"كتاب ذكر علي (عليه السلام) في حروب النبي (صلى الله عليه وآله)" و"كتاب مآل الشيعة بعد علي (عليه السلام)" و"أخبار التوابين وعين الوردة" و"أخبار المختصر" و"أخبار علي بن الحسين (عليه السلام)" و"أخبار أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام)" و... [٢٦].

هذا مختصر مقتضب عن تصانيف الشيعة في التاريخ وشعبه الأولى وأسماء بعض من أهم علماء الشيعة ممّن صنّف في هذا المجال في القرون الهجرية الثلاثة الأولى مع التركيز على القرنين الأول والثاني. وهنا يجدر بنا أن نبدأ بذكر جهود مؤرخ الكوفة الكبير أبان بن عثمان الأحمر البجلي ونرى كيف كان منهجه في الكتابة التاريخية.

ثانياً: أبان بن عثمان الأحمر البجلي ومنهجه في التدوين التاريخي

أ ـ نسبه ونزر من سيرته:

ذكرت المصادر التاريخية أنه ينتسب لقبيلة "بجيلة" وهي من القبائل القحطانية اليمنية. وبجيلة هي شهرت إكتسبها بعض أولاد "أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ" من اسم أمهم وهي: "بجيلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة" بها عرف هذا البطن من "أنمار"[٢٧]. وقد أضاف السمعاني معلومة هامة تخصّ تاريخ هذه القبيلة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي زمن الفتوحات الإسلامية وهي أن هذه القبيلة كانت من القبائل التي سكنت الكوفة[٢٨]. وهناك معلومة أخرى تشير أن أبان بن عثمان كان ممّن انتسب إلى بجيلة بالولاء[٢٩] وهذا الولاء لا يعني أن يكون أعجمياً فارسياً بالضرورة لأن عقد الولاء كان موجوداً بين العرب أنفسهم قبل الإسلام وربما حتى إلى ما بعده[٣٠]. أما بجيلة فهي من القبائل التي شايعت علياً (عليه السلام) وناصرته في حروبه في أيان خلافته بالكوفة، وقبلها كانت قد شهدت الفتوحات الإسلامية سيّما موقعة "القادسية"، فقد خرجت لحرب الجمل (٣٦ هـ/ ٦٥٦ م) عندما طلب الإمام علي (عليه السلام) نصرة أسباع الكوفة[٣١] وفي حرب صفين (٣٧ هـ/ ٦٥٧ م) خرجت بجيلة بأجمعها لنصرة الإمام علي (عليه السلام) إلا عدد قليل منهم إذ ذكر المؤرخون أن علياً (عليه السلام) كان يضع كل قبيلة مقابل نظرائهم

من أهل الشام ما عدا بجيلة فقد وضعها مقابل لخم[٣٢]، كما عرف أنها كانت ممن ناصرت المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت ٦٧ هـ/ ٦٨٩ م) عندما ثار في الكوفة طالباً بدم الإمام الحسين (عليه السلام)[٣٣].

وقد ذكر المؤرخون وأرباب التراجم والسير أنه كان يتميّز بصفتين في جسده. الأولى: أنه كان أحمراً أي أبيض البشرة[٣٤] وإذا ما ذهبنا إلى أن ولائه لبجيلة يعني أنه فارسي الأصل يمكن أن نعتبر هذا اللقب دليلاً آخر يدعم هذا القول[٣٥] لأن الفرس في الكوفة كانوا قد اشتهروا بهذا اللقب تمييزاً عن العرب. كما أنه امتاز بصفة "الأعرج"[٣٦] وهو عيب جسدي في الأرجل كما هو معلوم.

ب ـ عقيدته:

أما عن عقيدته فقد نسبت إلى عدة فرق من الشيعة هي: الناووسية والفطحية والواقفة وكلها غير دقيقة؛ فقد أثبت المرحوم الشيخ عبدالله المامقاني في بحث شيق مطوّل أن نسبة الناووسية التي انفرد بها الكشي في رجاله وردت في كثير من نسخ هذا الكتاب بعبارة: "القادسية" وهي من نواحي الكوفة[٣٧] ـ وهذا يمكن عدّه دليلاً آخر على كوفيّة الرجل ـ وأضاف السيد الخوئي دليلاً آخر على عدم انتمائه للناوسية ألا وهو روايته عن الإمام الكاظم (عليه السلام) فهي تخالف مع من قال بفطحيته أيضاً، وقد أورد السيد الخوئي مزيداً من الأدلة الدالة على كون أبان كان من مستقيمي العقيدة أي أنه كان إمامياً[٣٨].

أما عن توثيقه علمياً بوصفه راوياً فقيهاً ومؤرخاً فذاً من علماء ومؤرخي الشيعة الإمامية فقد حاز على أعلى مراتب الثقة والإطمئنان، إذ عدّ من "أصحاب الإجماع" عند الإمامية أي ممن "إجتمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم"[٣٩]، فقال العلامة الحلي بعد أن ذكر هذا الأصل الرجالي بحق أبان: "والأقرب عندي قبول روايته"[٤٠].

وقد سرد اشيخ عبدالله المامقاني مجمل أقوال الرجاليين وعلماء الإمامية القدماء في حق أبان وقال في النهاية: "ولولا إجماع العصابة على تصحيح ما يصحّ عنه لكفى في حجية خبره"[٤١]. وكان أبان من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) وممّن روى عنه[٤٢] وعن الإمام الكاظم (عليهما السلام)[٤٣] ونقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) عدداً كبيراً من الأحاديث مباشرة فضلاً عن حضوره لمجالس بعض العلماء من أصحاب

الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ونقل الكثير من المرويات عنهما (عليهما السلام)[٤٤].

ج ـ إنتسابه للكوفة:

أما عن كونه كوفياً فهناك شواهد عدة تدلّ على ذلك منها تأكيد الشيخان النجاشي والطوسي (رحمة الله عليهما) وياقوت[٤٥] إلا أنه كان يختلف إلى البصرة حتى عدّه الكشّي من أهلها لكنّه ذكر أنه كان يسكن الكوفة[٤٦] وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على موطنه وإقامته في الكوفة. وما يطمئن له القلب في هذا السياق هو عبارة ابن سلّام البصري عند نقله عن أبان إذ وسمه بالكوفي[٤٧] خاصّة إذا علمنا أن ابن سلّام هو من تلاميذ أبان بن عثمان كما سنرى عن قريب فهو أعلم بشؤون أستاذه، إذ كان اختلافه على البصرة ومكوثه فيها فترة غير يسيرة لغرض كسب العلم وسماع الحديث وقد استفاد منه آخرون وأصبحوا من تلاميذه[٤٨].

د ـ معرفته بالتاريخ والأدب العربي وأخباره:

وعرف عن أبان أنه كان عالماً بالشعراء وأخبارهم وأيام العرب وأنسابهم، فهو إخباري شيعي من الطراز الأول كما بيّنا. فقد تتلمذ على يديه عالمين كبيرين ممّن عرف علمه الغزير بالشعر والشعراء وأخبارهم هما: أبو عبيد معمّر بن المثنّى التيمي البصري (ت ٢٠٩ هـ/ ٨٢٧ م) وأبو عبدالله محمد بن سلّام الجمحي البصري (ت ٢٣٢ هـ/ ٨٤٦ م)[٤٩] صاحب طبقات الشعراء"، فهاتان الشخصيتان من ألمع علماء عصرهم بأخبار شعراء العرب وتراثهم الشعري وهو إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على مكانة أبان بن عثمان العلمية المرموقة في عصره.

هـ ـ تمييزه:

هنا ظلت مسألة هامة وهي الخلط الذي حص لدى بعض من الباحثين المعاصرين[٥٠] نتيجة اشتباه بعض المستشرقين[٥١] في نسب أبان بن عثمان الأحمر البجلي، إذ عدّوه أبان بن عثمان بن عفّان الخليفة الثالث المتوفى بين سنتي ٩٥ ـ ١٠٥ هـ/ ٧١٤ ـ ٧٢٤ م[٥٢] فلا يصحّ هذا الأمر على الإطلاق إذ أن جميع الشواهد التي سقناه لهذه الشخصية من تلمذته على يدي الإمام الصادق (عليه السلام) وروايته الحديث عن الإمام الكاظم

(عليه السلام) وما عرف عن تلميذيه المبرّزين في استقاء أخبار الشعر والشعراء المتأخرين جداً عن بن عثمان بن عفان تجعلنا متأكدين أنه البجلي الكوفي الشيعي وليس ابن الخليفة الثالث(٥٣).

و ـ مصنّفاته:

أما عن مصنّفاته في التاريخ فقد ذكر الشيخ النجاشي أن له كتاب عنوانه: "المبتدأ والمغازي والوفاة والردة" وقال عنه أنه يجمع هذه الأمور ووصفه بالحسن الكبير(٥٤). وعنونه الشيخ الطوسي بعنوان: "كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة"(٥٥) وفيه إضافة لأمرين: "المبتدأ" و"السقيفة" الذي يمكننا إدراج هذه الإضافة الثانية من ضمن أحداث الردة بالمصطلح الشيعي، وقد أضاف الشيخ الطوسي أنه ما عرف من مصنّفات أبان إلا هذا الكتاب(٥٦). والذي يبدو عليه من كلام الشيخان النجاشي والطوسي أنه يجمع بين الموضوعات المذكورة من السيرة وأنه كتاب واحد وأن كلاً من هذه الموضوعات على حدة هي باب من أبواب هذا الكتاب، ومما يبدو من وصف النجاشي لكتاب أبان هذا بالحسن الكبير أنه كان على علم واطلاع به على أقل تقادير.

وقد استفاد عدة مؤلفين من الفريقين من كتاب أبان منهم: أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (توفي بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م) إذ عدّه من مصادر تاريخه وذكر أنه روى بعض الأخبار عن أبان بن عثمان عن جعفر بن محمد ﴿الصادق﴾ (عليه السلام)(٥٧)، كما أن روى مصنفو بعض من كتب التفسير والحديث الإمامية في السيرة عن أبان بن عثمان، منهم الكليني في كتاب الروضة من الكافي وتفسير علي بن إبراهيم القمي والشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ/ ٩٩١ م) في كتابي "علل الشرائع" و"الأمالي" عن تواريخ الأنبياء السالفين وسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبعض مؤلفات الشيخ المفيد. كما ذكرت مصادر أهل السنة خبراً واحداً من أخبار السيرة عن أبان يتناول "عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه على قبائل العرب"(٥٨).

ز ـ منهج أبان في التصنيف التاريخي:

يبدو من خلال ما وصلنا من نصوص كتاب أبان بن عثمان المبثوثة في المصادر الأخرى وقدمه في الرواية وكونه أحد من اتبع المنهج الإخباري كما صنّفناه سابقاً لذا نجده قد نقل جميع الروايات المتعلقة بالسيرة بشكل مسند وما يمكن أن يدلنا على منهجه هذا هو عناوين أبوابه وتقسيماتها بحسب مفاهيم وموضوعات الروايات التي جمعت في كل منها. وكان يسعى من وراء تدوينه التاريخي أن يستقي الأخبار من مرويات الأئمة (عليهم السلام)، كما روى عن غيرهم وأنه أرسل في بعض الأخبار الإسناد ولم يذكر فيها حتى الشخص الأول الذي نقل عنه الأخبار أي أقرب الرواة له. لكن الذي يجعلنا نركن إلى كثير مما رواه أبان بن عثمان هو وجود رواة ثقاة في كثير من أسانيده أمثال: زرارة بن أعين وأبي بصير ومحمد بن مسلم الثقفي وأبان بن تغلب وغيرهم.

الخاتمة:

وفي خاتمة المطاف لابد من تلخيص ما ورد في هذا البحث المتواضع عن المعرفة التاريخية عند الشيعة سيما الكوفيين وما قدموه من تصانيف أسهمت في إثراء المدرسة التاريخية الإسلامية، فكان النموذج البارز الذي مثّل الشيعة في مدرسة الكوفة هو المؤرخ الإخباري الكوفي أبان بن عثمان الأحمر البجلي الذي جعلناه ممثلاً لما أسلفنا في الجزء الأول من البحث، وذكر أهم الإستنتاجات الذي توصلنا إليه:

عرفنا أن الشيعة كانت قد أقدمت على حفظ التراث الإسلامي من خلال حفظ وصايا الأئمة (عليهم السلام) بالتدوين، فكانوا سباقين في تفريع العلوم فضلاً عن التصنيف فيها سيما في التاريخ وشعبه المختلفة إلا أن هناك سبباً رئيساً جعل الشيعة لا تصنّف في إطار التاريخ العام الذي يختص بذكر التاريخ السياسي للدولة الإسلامية هو عدم اهتمام الشيعة أساساً بأصل الأحداث التاريخية التي كانت تحدث في زمانهم كونها ترتبط بتاريخ أمراء وخلفاء يعدّون قادة الخلاف ضد الأئمة (عليهم السلام) وأنه لم يبرز من مؤرخي الشيعة أو لم بتجرأ على أن يجمع المصنفات التاريخية المجتزئة التي تذكر التاريخ في إطاره العام لكن من وجهة نظر شيعية وبالتالي ضاعت الكثير من تلك الجهود المضنية المبكرة.

فكانت كتابات الشيعة قد اختصرت على التصانيف المتداخلة مع العلوم الشرعية الأخرى أو تلك التاريخية الصرفة، فهي إما في حقل السيرة النبوية ومغازيه وأضيف إليها بعض الأحداث التاريخية بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يتعلّق بسيرة الإمام علي (عليه السلام) خاصة أيام خلافته، وأما كانت كتب حديث عامة تحتوي الكثير من أبوابها على مباحث تاريخية كانت في سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) وكلامية تخصّ عقيدة الإمامة تجد فيها أبحاثاً تاريخية في الدفاع عن هذه العقيدة، أو كتب حديث مختصة مثل: كتب الدلائل التي تخصّ ذكر معاجز النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)، أو الكتب الكلامية في الدفاع عن عقيدة الإمامة، أو الكتب الرجالية أو في حقل الأنساب وتحديداً أنساب العلويين وأسماء العلماء وذكر سلاسل الإجازات، كما اشتهرت الشيعة بالتصنيف في نوع خاص عرف بكتب تواريخ أهل البيت (عليهم السلام). ثم بدا لنا أن ناقشنا الآراء القائلة في أول من صنّف من الشيعة سيما في التاريخ وذكرنا سرداً بأهم مصنفات الشيعة في مختلف شعب التاريخ الذي كتب فيها الشيعة سيّما الكوفيين منهم حتى زمن أبان بن عثمان.

وأبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي هو من كبار أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ومن أوثقهم في الرواية حتى عدّ من "أصحاب الإجماع" وقد ناقشنا بطلان الآراء القائلة أنه على غير النهج العقدي السليم وأثتنا أنه كان إمامياً، فهو عالم بالأخبار وأيام العرب وأنسابهم وأخبار شعرائهم، وقد اختص برواية أحداث السيرة النبوية وكان قد صنّف كتاباً فيه وصلتنا أخباره متفرقة في مختلف كتب الفريقين والشيعية في الغالب، وكان منهج أبان التاريخي هو المنهج الإخباري المعتمد على ذكر الأسانيد إلا أنه أرسل الإسناد في بعض الأخبار، وأن عناوين أبواب كتابه مأخوذة من مفاهيم وموضوعات الروايات التي جمعت في كل منها، وكان هدفه الأول إستقاء الأخبار من الأئمة (عليهم السلام) إلا أنه روى عن غيرهم أيضاً، وما يجعلنا نثق برواياته هو وجود رواة ثقاة كثر في أسانيد مروياته.

الملخص

عرف عن الشيعة أنهم أخذوا قصب السبق في التصنيف والتأليف مقارنة مع المذاهب الإسلامية الأخرى، متبعين في ذلك توجيهات النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) فقد برع الكثير من العلماء لديهم في مختلف العلوم الإسلامية فكانوا من مؤسسيها أو ممن فرّع مختلف أصنافها وصنفوا في مختلف مجالاتها تصانيف مبتكرة ورائدة.

وحقل التاريخ العربي الإسلامي أيضاً عرف الكثير من الوجوه الشيعية الرائدة التي صنفت في السيرة والأخبار والأنساب وغيرها من شعب التاريخ منذ نشأة مدارسها المبكرة سيما مدرسة العراق وتحديداً الكوفة. فقد خرّجت الكثير من المؤرخين العمالقة منذ أن كانت التوجهات التاريخية في الكتابة تأخذ طابع الأخبار وصولاً بنشأة التاريخ العربي الإسلامي بعد تأسيس مدينة بغداد. وكان من أشهر مؤرخي الشيعة في مدرسة الكوفة الرائدة أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي (توفي بعد ١٧٠ هـ/ ٧٨٧ م) ونصر بن مزاحم المنقري العطار الكوفي (ت ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م) وقد اختصا بجوانب سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرة الإمام علي (عليه السلام) الذي يهدف هذا البحث المقارنة بين جهديهما في التصنيف التاريخي الكوفي المبكر وأثره على هذه المدرسة التاريخية بشكل خاص ومدرسة العراق التاريخية بشكل عام.

الهوامش :

١ . النجاسي: رجال النجاشي، ص٦.

٢ . بحر العلوم: الفوائد الرجالية، ج١، ص٢٠٤.

٣ . الكاظمي: تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام، ج١، ص٥٧٥؛ آغا بزرك: الذريعة، ج٤، ص١٣٢؛ مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٧٠.

٤ . الطوسي: الفهرست، ص٣٠٦-٣٠٧.

٥ . جعفريان: تشيع وتاريخنكاري، ص١٢٤.

٦ . للمزيد من التفاصيل عن تطور كتابة التاريخ عند الشيعة وتصانيفهم المختلفة في هذا الشأن ينظر: جعفريان: تشيع وتاريخنكاري (مقالات تاريخي)، ج٢، ص١٢٣-١٦٢.

[٧] . شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، ص٤٥٣؛ مصطفى عبدالرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٢٠٢-٢٠٣.

[٨] . النجاشي: رجال النجاشي، ص٣٢٠؛ الطوسي: الفهرست، ص٢٠٤-٢٠٥.

[٩] . النجاشي: م.ن.، ص٤٣٤.

[١٠] . ينظر: الهامش رقم (٨) و(٩).

[١١] . النجاشي: رجال النجاشي، ص٢٤٠-٢٤٤.

[١٢] . ابن حجر: لسان الميزان، ج١، ص١٠١؛ الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص١٠٥.

[١٣] . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٢٨-١٢٩؛ سزكين: تاريخ التراث العربي، ج١، ق٢، ص١٢٦.

[١٤] . النجاشي: رجال النجاشي، ص٨؛ الطوسي: الفهرست، ص٨٩.

[١٥] . جعفريان: تشيع وتاريخنكاري، ص١٢٥.

[١٦] . النجاشي: رجال النجاشي، ص٢١٣.

[١٧] . النجاشي: م.ن.، ص١٧؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج١، ص١٠١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص١٠٥.

[١٨] . النجاشي: رجال النجاشي، ص٢٥٨.

[١٩] . م.ن.، والصفحة.

[٢٠] . م.ن.، ص٢٤١-٢٤٣.

[٢١] . م.ن.، ص٧٧.

[٢٢] . الطوسي: الفهرست، ص٨٩.

[٢٣] . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٨؛ ابن حجر: لسان الميزان، ج١، ص١٠١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص١٠٥.

[٢٤] . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٢٩.

[٢٥] . م.ن.، ص٣٤٧.

[٢٦] . م.ن.، ص٢٤٠-٢٤٤.

[٢٧] . ينظر: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣٨٧؛ السمعاني: الأنساب، ج١، ص٢٩٧؛ العظم: المستدرك على أنساب الأشراف للبلاذري، ج١٨، ص٢٧٤.

[٢٨] . السمعاني: م.ن.، والصفحة.

[٢٩] . ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص١٠٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥، ص٢٠٠.

[٣٠] . جعفريان: المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الأحمر، ص٧.

[٣١] . الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص٥٠٠.

٣٢ . المنقري: وقعة صفين، ص٢٠٥، ٢٢٩، ٢٥٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص١٤.
٣٣ . الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص٤٥.
٣٤ . ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٢١٠؛ ج٥، ص١٧٨.
٣٥ . جعفريان: المبعث والمغازي، ص٨.
٣٦ . الجاحظ: البرصان والعرجان، ص١٩٣؛ ابن سلّام: طبقات الشعراء، ص١٢٨، ١٩١.
٣٧ . المامقاني: تنقيح المقال، ج٣، ص١٣٦.
٣٨ . الخوئي: معجم رجال الحديث، ج١، ص١٤٦-١٤٧.
٣٩ . الطوسي: إختيار معرفة الرجال، ص٣١٦.
٤٠ . العلامة الحلي: خلاصة الأقوال، ص٥٦.
٤١ . المامقاني: تنقيح المقال، ج٣، ص١٣٥-١٣٦.
٤٢ . الطوسي: رجال الطوسي، ص١٥٢.
٤٣ . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٣؛ الطوسي: الفهرست، ص٤٧.
٤٤ . جعفريان: المبعث والمغازي، ص٩-١٠.
٤٥ . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٣؛ الطوسي: الفهرست، ص٤٧؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١، ص١٠٥.
٤٦ . الطوسي: إختيار معرفة الرجال، ص٢٩٦.
٤٧ . ابن سلّام: طبقات الشعراء، ص١٥٩.
٤٨ . النصر الله: أبان بن عثمان، ص٣.
٤٩ . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٣؛ الطوسي: الفهرست، ٤٧.
٥٠ . الدوري: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٢٩؛ نصار: تطور كتابة السيرة عند المؤرخين المسلمين، ص٤٦-٤٧.
٥١ . سزكين: تاريخ التراث العربي، ج١، ق١، ص٧٠.
٥٢ . جعفريان: المبحث والمغازي، ص١٧؛ النصر الله: أبان بن عثمان، ص٨.
٥٣ . للمزيد من التفاصيل ينظر: جعفريان: م.ن. والصفحة؛ آل ياسين: في رحاب الرسول، ص١٥-١٦.
٥٤ . النجاشي: رجال النجاشي، ص١٣.
٥٥ . الطوسي:. الفهرست، ص٤٧.
٥٦ . م.ن. والصفحة
٥٧ . اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٦.
٥٨ . للمزيد من التفاصيل ينظر: جعفريان: المبعث والمغازي، ص١٨-٢٠.

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر العربية:

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ/ م):
البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، دار الرشيد، (بغداد ـ ١٩٨٢).
ابن حجر العسقلاني، (ت هـ/ م):
لسان الميزان، دار الفكر، ط٢، (بيروت ـ ٢٠٠٣).
ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤ م):
جمهرة أنساب العرب، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ٢٠٠٣).
ابن سلّام، أبو عبدالله محمد بن سلّام الجمحي البصري (ت هـ/ م):
طبقات الشعراء، حقّقه ووضع فهارسه وقدّم له: عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (بيروت ـ ١٩٧٧).
السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م):
الأنساب، وضع حواشيه: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت ـ ١٩٩٨).
الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م):
الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، (بيروت-٢٠٠٠).
الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م):
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط٢ ، (القاهرة ـ د.ت).
الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م):
إختيار معرفة الرجال، تحقيق: محمد جواد القيّومي الإصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم ـ ١٤٢٧).

رجال الطوسي، حققه وعلّق عليه وقدّم له: محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، (النجف ـ ١٩٦١).
فهرست كتب الشيعة وأصولهم وأسماء المصنّفين وأصحاب الأصول، تحقيق: عبدالعزيز الطباطبائي، مكتبة المحقق الطباطبائي، (قم ـ ١٤٢٠).
العلامة الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م):
ترتيب خلاصة الأقوال في معرفة علم الرجال، تصحيح وتحقيق: قسم الحديث في مجمَّع البحوث الإسلامية، مجمَّع البحوث الإسلامية في العتبة الرضوية المقدسة، (مشهد ـ ١٤٢٢).
ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم بن منظور الأنصاري المصري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م):
لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ـ ١٩٨٥).
المنقري، أبو الفضل نصر بن مزاحم بن سيار التميمي الكوفي العطار (ت ٢١٢ هـ/ ٨٢٧ م):
وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، ط٢، (القاهرة ـ ١٣٨٢).
النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م):
فهرست أسماء مصنفي الشيعة المشتهر برجال النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ٧، (قم ـ ١٤٢٤).
ابن النديم، أبوالفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق (ت ٣٨٠ هـ/ م):
الفهرست، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدّم له: يوسف علي طويل، وضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت ـ ٢٠٠٢).
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ/ م):

معجم الأدباء أو إرشاد الأريب في معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ـ ١٩٩٣).
اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (توفي بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م):
تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت ـ ١٩٩٣).
ب ـ المراجع العربية:
آغا بزرك الطهراني، محمد محسن بن علي بن محمد رضا (ت ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠ م):
الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مراجعة وتصحيح وتدقيق: رضا جعفر مرتضى العاملي، دار إحياء التراث العربي، (بيروت ـ ٢٠٠٩).
آل ياسين، محمد حسن:
في رحاب الرسول، دار المؤرخ العربي، (بيروت ـ ٢٠١٢).
بحر العلوم، محمد مهدي الطباطبائي الحسني (ت ١٢١٢ هـ/ ١٧٩٧ م):
الفوائد الرجالية، حققه وعلق عليه: محمد صادق بحر العلوم وآخرون، مطبعة الآداب، (النجف ـ ١٩٦٥).
جعفريان، رسول:
المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة لأبان بن عثمان الأحمر، مكتب الإعلام الإسلامي، (قم ـ ١٤١٧).
الخوئي، أبوالقاسم الموسوي:
معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٥، (قم ـ ١٩٩٢).
الدوري، عبدالعزيز:
نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت ـ ٢٠٠٥).
سزكين، فؤاد:

تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، راجعه: عرفة مصطفى وآخرون، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، ط٢، (قم ـ ١٤١٢).
الصدر، حسن بن هادي بن محمد علي الموسوي الكاظمي العاملي (ت ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥ م):
تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام، تحقيق: محمد جواد المحمودي، تعليق ومراجعة: عبدالستار الحسني، مؤسسة تراث الشيعة، (قم ـ ٢٠١٦).
ضيف، شوقي:
تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط١٣، (القاهرة ـ د.ت).
عبدالرزاق، مصطفى:
تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ـ ١٩٦٦).
العظم، محمود الفردوس:
المستدرك على أنساب الأشراف للبلاذري، دار اليقظة العربية، (دمشق ـ ٢٠٠٢).
مصطفى، شاكر:
التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، ط٣، (بيروت ـ ١٩٧٨).
نصار، عمار عبودي محمد حسين:
تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسليمن حتى نهاية العصر العباسي، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد ـ ٢٠٠٨).
د ـ المراجع الفارسية:
جعفريان، رسول:
تشيع وتاريخنكاري (مقالات تاريخي)، انتشارات دليل، (قم ـ ٢٠٠٠).
ج ـ الدوريات:
النصر الله، جواد كاظم منشد:
أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي البصري (القرن الثاني الهجري)، مجلة كلية الفقه، السنة: ، العدد: ١٥ ، كلية الفقه ـ جامعة الكوفة، (النجف ـ ٢٠١٢).

# الجهود العلمية لمحمد بن عبدوس الكوفي المعروف بـ(الجهشياري)

م.د.محسن عدنان صالح الجشعمي
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

المقدمة :

تميزت الكوفة بمكانتها التاريخية اذ ضربت جذورها في عمق التاريخ وأضحت عاصمة للدولة العربية الإسلامية في زمن خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ومن الطبيعي ان تكون مثل هذه المدينة مركزاً علمياً وفكرياً حتى عدت احدى الدارس اللغوية المعروفة بمدرسة الكوفة وناظرت مدرسة البصرة لذا انجبت الكوفة الكثير من العلماء وشهد مسجدها الكثير من حلقات العلم حتى أضحى قبلة لطلبة العلم ومحط رحال العلماء.

عُرفت الكوفة بشخصياتها العلمية برعوا في جوانب عدة فمنهم اللغويين والمفسرين والمؤرخين ومنهم اختصوا بجوانب أخرى وكان من بينهم محمد بن عبدوس الكوفي الملقب بـ(الجهشياري) الذي عرفت ولادته ونشأته في الكوفة ثم انتقاله الى بغداد لينتظم في دواوينها، وهو من طبقة المؤرخين المعروفين كالطبري والمسعودي، خلف آثاراً علمية بقي منها كتابه المعروف (الوزراء والكتاب).

يكمن أهمية الكتاب في كونه منفرد بطبقة الكتّاب والوزراء وضم بين ثنايا العديد من الروايات التاريخية المهمة وجوانب أدبية عدة فضلاً عن جوانب اقتصادية، تضمن البحث أقسماً خمسة عالج فيها تساؤلات عدة وجدت لها إجابات على صفحات البحث القسم الأول منها ما هو نسب الجهشياري؟ وأين نشأته العلمية؟ وما هي أهم آثاره؟ وكيف تم اكتشاف كتاب (الوزراء والكتاب)؟ وما مدى أهميته؟ هل أورد الجهشياري أسماء الكتاب بشكلٍ مباشر أم مهد لموضوعات اختصت بالكتّاب والوزراء؟ كيف أورد أسماء الكتاب والوزراء هل كان حسب العصور الإسلامية (النبوة، الخلافة الراشدة، الحكم الاموي، الحكم العباسي)؟ ما الجوانب التي رافقت ادراج أسماء هؤلاء الكتاب والوزراء؟ وما الملاحظات التي تم توثيقها في أسلوب الجهشياري في التدوين التاريخي؟

استند الباحث على مصادر ومراجع عدة كان أهمها كتاب الوزراء والكتاب الذي كان عماد الدراسة التي تم الاستناد عليها فضلاً عن عدد من المصادر كتاريخ الطبري والمسعودي وابن قتيبة وعدد من المراجع التي تم تبيين فيها عدد من الحوادث التاريخية وعدد من الموسوعات لتعريف الأماكن وبعض الشخصيات وعدد من الدراسات الاكاديمية التي استند عليها الباحث بما يخص الدولة الساسانية.

اطلع الباحث على دراستين اختصت بكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري احداها لـ(رنا سعود علي القيسي) كانت بعنوان (النظم الإدارية في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري) والثانية أطروحة دكتوراه كان عنوانها (الوزراء والكتاب للجهشياري دراسة تاريخية) لـ(محمد عبد نجم الدليمي) أبدع فيها الباحثان لكن اختلفت مع الدراسة الأولى حول مسألة نشأة بن عبدوس اذ اشارت الى ان أصله من الكوفة والنشأة في بغداد وهذا كان عكس الواقع وتم معالجته كما انها بدأت بالكتاب بشكل مباشر في الوقت ان بن عبدوس الكوفي مهد بتأثير الحضارة الفارسية ومكانة الكتاب فيها، في حين ان الدراسة الثانية على الرغم من كونها تاريخية بشكلٍ عام الا انها لم تخصص ما تناوله الكتاب من جوانب أدبية فكانت هناك قصائد عدة وتم ايراد عدد من نصوص الرسائل وقد تم احصائها في متن البحث بالدقة.

أولاً: النسب ... والنشأة ... واثاره قراءة تاريخية موجزة

نسبه

ابو عبد الله محمد بن عبدوس[١]، لقب بالجهشياري (الجيم والشين المعجمة بعد الهاء) لان اباه كان يخدم (ابا الحسن علي بن جهشيار) القائد حاجب الخليفة الموفق وكان خصيصاً به فنسب اليه[٢]، من الكتّاب المترسلين من اهل الكوفة[٣]، مؤرخ قديم من طبقة ابن جرير الطبري[٤] (المتوفي في ٣١٠هـ) والمسعودي[٥] (المتوفي في ٣٤٥هـ) وهو من أحد الأفاضل الثقات[٦].

نشأته

نشأ الجهشياري في الكوفة ولعله تلقى العلم على اعلامها ولا توجد اشارة عن وقت انتقاله الى بغداد وانتظامه في وظائف الدواوين، وهناك من أشار في دراسة سابقة ان

أصله في الكوفة ونشأته في بغداد [٧] وهذا يخالف ما أورده محققي كتاب الجهشياري الذين استنتجوا ان نشأته بالكوفة استناداً الى ما أورده بن خلكان في ذكر الجهشياري (محمد بن عبدوس الكوفي)، لكن انتقاله الى بغداد كان بحكم عمل والده الذي كان حاجباً للوزير (علي بن عيسى) خلف أباه على ذلك المنصب وكان فضلاً عن ذلك رئيس حرسه الخاص سنة ٣٠٦هـ[٨].

لعب دوراً سياسياً في القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي بفضل علاقاته بوزراء عصره فصار حاجباً للوزير (حامد بن العباس) في خلافة المقتدر وولي امارة حج العراق سنة سبعة عشر وثلاثمائة للهجرة وهذا يعطي دليلاً على انه كان من ارباب السيوف ورجالات الحرب كما كان من ارباب الاقلام ورجالات البيان [٩] وهذا ما اكده (الماوردي) في كتابه (الاحكام السلطانية) بقوله:

" فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسة وزعامة وتدبير. والشروط المعتبرة في المولى: أن تكون مطاعا ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية"[١٠].

كان من أنصار (ابن مقلة) الذي اعانه على توليته منصب الوزارة الا انه دفع ضريبة سلوكه في المجال السياسي اذ سجن مرات عدة ودفع غرامات اما من قبل الوزراء او الاميرين ابن رائق وبجكم [١١] أكد ذلك (ابن الاثير) في كتابه (الكامل في التاريخ) الذي اشار في احداث سنة الرابعة والعشرين وثلاثمائة:

" وفيها قُبض ابي عبد الله بن عبدوس الجهشياري وصودر على مائتي ألف دينار "[١٢].

نُكِب يوم قبض على الوزير (بن مقلة) فأدى (٨٠) الف دينار[١٣] واطلق اذ كان من أصحابه ويبدو ان سبب ذلك يعود الى فساد نظام الادارة وتولية العمال والولاة والوزراء نظراً لتسلط النساء وغلمان الاتراك على شؤون الدولة العباسية [١٤] يومئذ اذ كان الطامعون بالوزارة يتنافسون عند الاتراك وقهرمانات دار الخلافة لشراء منصب الوزارة فاذا تحقق ذلك وقلّد أذن له مناظرة الوزير السابق فيطالبه بالأموال التي جمعها في وزارته بكل الطرق ويحمله مبالغ ترهقه ويقيله عن العمل وبذلك فقد نال الجهشياري ما نال كثيراً من موظفي الدولة البارزين من التضييق والاعتقال ومصادرة الاموال لأنه

اثرى شأنه شأن كبار الموظفين والرؤساء في ذلك العهد ومن الطبيعي ان يكون له خصوم يكيدون له وينتهزون الفرصة للنيل منه فأقيل من عمله بعد ان صادروا امواله[١٥].

اثاره

ابتدأ الجهشياري بتأليف كتاب (اسماء العرب والعجم والروم وغيرهم) اختار فيه الف سمر من اسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل خبر قديم بذاته لا يتعلق له بغيره وأحضر المسامرين واخذ عنهم احسن ما يعرفون واختار من الكتب المصنفة في الاسماء والخرافات ما يحلو بنفسه فأجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة -في حين ان الزركلي اوردها ٤٨٠ ليلة-[١٦] كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة قد تقل او تكثر ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتمة الف سمر[١٧].

اقترن اسم الجهشياري بكتابه الشهير (الوزراء والكتاب) الذي ارخ فيه لكتّاب الدولة ووزرائها الى سنة ٢٩٦هـ ولكن القسم الاول الذي ينتهي فيه عند بداية عهد المأمون هو وحده الذي وصل كاملاً في الوقت الذي شهد فيه هذا الكتاب حب الاطلاع الحقيقي لدى الجهشياري وذوقه الادبي برز فيه كذلك الخصال الفكرية للأشخاص كما برز فيه نشاطهم الاداري والسياسي[١٨] اما القسم الثاني فينتهي بانتهاء وزارة (ابي احمد العباس بن الحسن) للمكتفي سنة ٢٩٦هـ وان المدة ما بين وزارة الفضل بن سهل الذي ينتهي عنده القسم الاول من الكتاب وموت الوزير (ابي احمد العباس بن الحسن) حافلة بالأحداث السياسية واسماء طائفة من الوزراء والكتاب الكبار في الدولة العباسية الذي وصل عددهم الى ثمانية وعشرين وزيراً كما تكمن اهمية هذا الكتاب كونه كشف اللثام عن بعض مظاهر الحضارة الفارسية التي اقتبسها المسلمون من الفرس وخاصة تنظيم الادارة، جباية الخراج، ضروب السياسة[١٩].

أشار بن تغري بكتابه (النجوم الزاهرة) عن الجهشياري قائلاً: " وله ﴿أي الجهشياري﴾ مشاركة في فنون"[٢٠] منها ميزان الشعر والاشتمال على انواع العروض[٢١]، اخبار المقتدر العباسي وهو تاريخ ضخم عن خلافة المقتدر[٢٢].

وفاته

كان للنكبات التي اصابت محمد بن عبدوس فترة التسلط التركي على الخلافة العباسية ومصادرة امواله أثر في اعتزاله الحياة السياسية لذا فقد اورد في مصادر ومراجع عدة منها ان الوزير (الفضل بن جعفر بن الفرات) خرج للقضاء على بن عبدوس الجهشياري وطلب منه مبلغاً قدره خمسة وعشرين ألف دينار وهناك من أشار الى ان القبض عليه كان بسبب غلام له اسمه (بديع) [٢٣]، بقي بن عبدوس مستتراً مع اهله حتى وفاته في بغداد سنة احدى وثلاثون وثلاثمائة[٢٤].

ثانياً: كتاب الوزراء والكتاب ... أضواء على اكتشاف الكتاب واهميته

أورد محققي كتاب الوزراء والكتاب [٢٥] في مقدمتهم إن المستشرق [٢٦] النمساوي (منريك)[٢٧] عثر على كتاب الجهشياري ضمن مجموعة مخطوطة تم حفظها في دار الكتب الوطنية في فيينا تحت رقم (٩١٦) وقام بتصويرها على الزنك وطبعها سنة ١٩٢٦ نسخاً مع مقدمة بالألمانية اشتهرت بين المستشرقين ووصلت منها الى الشرق إلا إن هذا القسم انتهى في مدة حكم المأمون العباسي بالتحديد في وزارة الفضل بن سهل ووقع على (٢٠٤) ورقة أي (٤٠٨) صفحة وتراوح عدد سطورها ما بين (١٥-١٧) سطر ويرجع تاريخ الخط الى سنة ٥٤٦هـ[٢٨].

تركزت أهمية الكتاب من خلال ما ذكره محققي الكتاب الذين وصفوه بقولهم:

"عظيم القيمة، جليل الخطر، إذ نجد فيه أخباراً نادرة، وحقائق نافعة، لا نجدها في غيره من كتب التاريخ، وخاصة ما يتعلق بتاريخ الكتابة الانشائية الفنية، وتاريخ الوزارة والوزراء في الإسلام، والتاريخ الحقيقي للخلفاء، وما اشتملت عليه حياة القصور..." [٢٩].

كما وضعت أهمية للكتاب فضلاً عما ذُكر بنقطتين رئيسيتين:

١.كشف الكتاب عن مدى تأثر المسلمين بالحضارة الفارسية وخاصة في جوانب تنظيم الإدارة كجباية الخراج، وتدوين الدواوين، وضروب السياسة.

٢.استفاد المستشرق (فون كريمر) [٣٠] من الكتاب في اكتشاف قائمة الميزانية التي وضعها أبو الوزير (عمر بن مطرف الكاتب) [٣١] لتقدير دخل الدولة مدة حكم الرشيد [٣٢]

وكتب بها مقالة قدمها الى مؤتمر المستشرقين الدولي السابع [٣٣]، وقد نقل الجهشياري هذه القائمة نسخ (أبو القاسم جعفر بن محمد بن حفص) من دواوين الخراج التي نقلها عن كتاب (أخبار بني العباس) لـ(محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب) [٣٤].

نقل عن الجهشياري مؤرخون عدة من كتابه الوزراء والكتاب أهمهم: ياقوت الحموي [٣٥]في معجميه البلدان والادباء وبن خلكان (ت٦٨١هـ) في كتابه وفيات الاعيان والتنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة وأبي الحسن عبد الملك بن محمد في كتابه روضة البلاغة [٣٦]، كما نقل الجهشياري كثيراً عن (أبي عبد الله محمد بن داود بن جراح) من كتابه الورقة الذي ضم (٨٥) ترجمة مختصرة لشعراء غير المشهورين وكانت نسخة مخطوطة منه لدى الدكتور (عبد الوهاب عزام) [٣٧] وهي في الأصل من كتب (أبي علي بن مسكويه) وهي الان في ملك (أحمد صافي النجفي) [٣٨].

ثالثاً: دراسة تحليلية لكتاب الوزراء والكتاب للكوفي المعروف بـ(الجهشياري)

١.ما أورده في بدايات الكتابة ومدى تأثير الحضارة الفارسية على العرب

أشار بن عبدوس الكوفي بأن أول من وضع الكتاب السرياني وسائر الكتب نبي الله آدم (ع) وأول من وضع الكتاب بالعربية نبي الله إسماعيل بن إبراهيم (ع) وأول من كتب بالعربية ثلاثة من طئ: مُرارة بن مرة، أسلم بن سِدرة، عامر بن جَدَرة، وهناك من روى إن (حرب بن أمية بن عبد شمس) أول من كتب بالعربية من العرب[٣٩]، وأول من رتب الناس طبقات وصنف طبقات الكتّاب (جمشيدُ بن أونجهان) وأول من دوّن الدواوين وحضر الاعمال والحُسبانات وانتخب الجنود وجباية الخراج لأرزاق الجند (هُرَاسب بن فَنُوخا بن كيمَنش) كما نقل ما كُتب على الخواتيم الأربعة الخاصة بالأكاسرة فكان ختم الحرب والشُرط: الاناة، وعلى خاتم الخراج والعمارة: التأييد، وعلى خاتم البريد: الوحاء (أي العجلة والإسراع)، وعلى خاتم المظالم: العدل[٤٠].

كشف الكوفي عن مكانة الكتّاب لدى ملوك فارس إذ كانوا يسمونهم بـ(تراجمة الملوك) وكانوا يقدمونهم لأنهم يقدرون فضل صناعة الكتابة وتُحظي أهلها لأنهم جمعوا بين فضل الرأي والصناعة لذا وصفوهم: "هم نِظَام الأمور، وكمال المُلك، وبهَاء السلطان، وهم الألسنةُ الناطقة عن الملوك، وخُزّان أموالهم، وأمناؤهم على رعيتهم وبلادهم"

وكان ملوك فارس إذا انفذوا جيشاً انفذوا معه من كتّابهم وأمروا قائد الجيش أن يأخذ برأيه [٤١].

سلط بن عبدوس الكوفي الضوء على مكانة الوزير والكاتب عند الفرس وغيرهم من خلال ايراده لعدد من اقوال ملوكهم ووصاياهم منها كتاب لـ(أردشير) [٤٢] خاطب فيه وزرائه قائلاً:

"اعلموا أنكم إن هممتم ألا تستعينوا إلا بمن تكاملت فيه الخِصالُ الرّضيّة، وأحرز، المذاهبَ المحمودة، فقد رُمتم شيئاً عسيراً غيرَ موجود، فاكتفُوا من دِين المرء وورَعِه، بأن يكون للكَبائر والفواحش مُجتنباً..." [٤٣].

في حين أورد نصيحة (كُشتاسب) [٤٤] للكتّاب قائلاً:

"الزَموا العَفاف، وأدُوا الأمانة، في كلّ ما يُفوّض إليكم، واجَمعُوا على غرائزكم وعُقولكم سماعَ الأدب، واستعملوا ما استفدتم من الأدب بما طبعت عليه عقولكم، وليكن اجتباؤكم بالقسط والمعدلة، ولا تُزيّنوا لنا ما لا تَليق بنا الأحدوثة به والإيثار له"[٤٥].

وكانت لخطبة (أبرويز) [٤٦] على وزرائه مكان على صفحات كتاب الوزراء والكتاب إذ جاء بنصها في فصل من خاطب من وزرائه:

"اكتم السرّ، واصدُق الحديثَ، واجتهد في النصيحة، واحترس بالحذر، فعليّ ألا أعجل عليك حتى أستأني، ولا أقبل عليك حتى أستيقن، ولا أطمع فيك فأغتالك"[٤٧].

كما نقل قول (الموبذان موبذ) [٤٨] الى الملك (أنوشروان) [٤٩]: "أيها الملك، أني سمعتُ فقهاءنا يقولون: إنه متى لم يغمر العدلُ الجور في بلدة، ابتُلى أهلها بعدوّ يغزوهم، وخيف تتابع الآفات عليهم، وقد خفنا ذلك بشئ قد فشا من جور أسبابك فنظر أنوشروان في ذلك، فاستقر عنده ظُلماً قد جرى، فصلب ثمانين رجلاً منهم، من الكُتّاب خمسون رجلاً، ومن العمّال والأمناء ثلاثون رجلاً"[٥٠].

كشف الجهشياري الكوفي مكانة الكتّاب لدى الفرس من خلال ما أشار اليه الى إن الهماليج أي (البراذين) لم يركبها في أيام الفرس إلا الملك والكاتب والقاضي كما أشار الى وصية الفرس بقولها: "للوزير على الملك، وللكاتب على الصاحب، ثلاثُ خِصال:

رفع الحجاب عنه، واتهام الوُشاة عليه، وإفشاء السرّ إليه" ولتوضيح مكانة الوزير أدرج الجهشياري من كتب الهند: "إذا كان الوزير يساوي الملك في المال والهيبة والطاعة من الناس، فليصرعه الملكُ، فإن لم يفعل، فليعلم أنه المصروع" (٥١).

جاء برواية أول من أورد عبارة (أما بعد) وهو فصل الخطاب في الرسائل وأشار الى إن داوود أول من قالها كما أورد رواية بأن (قس بن ساعدة) أول من جاء بهذه العبارة في الكتب (٥٢).

٢.الكتّاب والوزراء الذين ورد ذكرهم في الكتاب

أ.مدة عصر النبوة

بدأ بن عبدوس الكوفي بذكر الكتّاب خلال مدة النبوة المباركة إذ جاء بأسماء كتّاب الرسول الأعظم (ص) فكان كتّاب الوحي (علي بن أبي طالب (ع)، عثمان بن عفان (٥٣)، أبي بن كعب، زيد بن حارثة) وممن كتب في حوائجه (خالد بن سعيد بن العاص، معاوية بن أبي سفيان(٥٤)) وممن كتب في مغانمه (معيقب بن أبي فاطمة -حليف بني أسد) (٥٥) ومن كتابه أيضاً (حنظلة بن الربيع بن المُرقع بن صيفي) وكان خليفة كل كاتب من كتّاب النبي (ص) إذا غاب عن عمله لذا غلب عليه اسم الكاتب ، كما كتب له (عبد الله بن سعد بن أبي سرح) ثم ارتد ولحق بالمشركين(٥٦).

ومن أهم ما جاء به الجهشياري في كتابه مراحل بدء الكتب التي بعثها الرسول الاكرم (ص) بالبسملة إذ كان بدأ الكتب بعبارة (باسمك اللهم) فنزلت الآية :(بسم الله مجراها ومرساها) (٥٧) فكتب (بسم الله) بعدها نزلت الآية الكريمة :(قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) (٥٨) فكتب في المرحلة الثالثة (بسم الله الرحمن) ثم نزلت الآية الكريمة: (انه من سليمان وانه ببسم الله الرحمن الرحيم) (٥٩)فكتبها في الرابعة (٦٠).

ب.الكتّاب مدة الخلافة الراشدة

أورد أربعة كتّاب في مدة خلافة أبي بكر وهم: (عثمان بن عفان، زيد بن ثابت، عبد الله بن أرقم، حنظلة بن ثابت)(٦١)، أما مدة خلافة عمر بن الخطاب فكان كتابه: (زيد بن ثابت، عبد الله بن أرقم)، وكتب له على ديوان الكوفة (أبو جبيرة بن الضحاك الانصاري)، ولم يكتفِ بن عبدوس الكوفي بذكر الكتّاب بل ذكر أهم الاحداث

التاريخية التي وقعت اختار منها الباحث بحسب الأهمية سبب تدوين عمر بن الخطاب للدواوين بهد ان تطرق بقدوم أبا هريرة[٦٢] بأموال كثيرة من البحرين لذا تم تدوين الدواوين، كما تم اعتماد التأريخ الهجري إذ كانت العرب تؤرخ بعام الفيل فجمع عمر بن الخطاب الناس فمنهم من أشار بتأريخ مبعث النبي (ص) ومنهم من أشار بمهاجره فاستقر الرأي بمهاجرة الرسول (ص) فبدأ بشهر محرم لأنه منصرف الناس من حجهم[٦٣].

أما خلافة عثمان بن عفان فقد ذكر سبعة من الكتّاب: (مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان[٦٤] (كاتبه على ديوان المدينة)، أبو جبير الانصاري (كاتبه على ديوان الكوفة)، عبد الله بن الارقم (تقلد بيت المال)، أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار، مولاه أهيب، حمران بن أبان) وأورد رواية قدوم وفد مصر الى عثمان واخرجه لجابر بن عبد الله وردهم ثم قبض المصريون على غلام لعثمان حمل كتاب الى والي مصر (عبد الله بن سعد) امره فيه بضرب أعناق بعضهم وقطع أيدي وأرجل البعض الاخر من الوفد فعاد الوفد وقرأوا الكتاب على أصحاب رسول الله (ص) فأشار عثمان بن عفان بأن الخط خط كاتبه (مروان بن الحكم) والخاتم خاتمه فقال القوم: "إن كنت كاذباً فلا إمامة لك، وإن كنت صادقاً فليس يجوزُ أن يكون إماماً من كان بهذه المنزلة من الغفلة، حتى يُقدم عليه كاتبه بهذا الامر العظيم"[٦٥].

جاء بكتّاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهم: (سعيد بن نمران الهمداني، عبد الله بن جعفر، عبد الله بن جبير، عبيد الله بن أبي رافع) ونقل رواية للأخير كان نصها: "كنتُ بين يدي علي بن أبي طالب، فقال: يا أبا عبد الله، ألقِ [٦٦] دواتك، وأطل شباة [٦٧] قلمك، وفرج ما بين السطور، وقرمط [٦٨] بين الحروف"[٦٩].

ت.الكتّاب خلال مدة الحكم الاموي

استهل في هذه المدة بإدراج كتّاب معاوية بن أبي سفيان فكان على الرسائل (عبيد الله بن أوس الغساني) وعلى ديوان الخراج (سرجون بن منصور الرومي) وكذلك من كتّابه مولييه (عبد الرحمن وعبيد الله بن درّاج) وكتب له على ديوان الجند (عمرو بن سعيد بن العاص) وعلى فلسطين (سليمان المشجعي) أما ديوان المدينة فكان (حبيب

بن عبد الملك بن مروان) وديوان خراج حمص (بن أوثال النصراني) ومن كتّابه أيضاً (عبيد الله بن نصر بن الحجاج بن علاء السلمي) و(سليمان بن سعيد) [٧٠].

علل الجهشياري سبب اتخاذ معاوية بن أبي سفيان لديوان الخاتم لأنه كتب لعامله في العراق (زياد بن أبيه [٧١]) منح (عمرو بن الزبير) مائة ألف درهم ففض عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف وبعد كشف معاوية حقيقة الامر قام باتخاذ ديوان الخاتم وجعل عليه (عبد الله بن محمد الحميري) وكان قاضياً، وأرخ حادثتين وفاة زياد بن أبيه يوم الثلاثاء لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٥٣هـ وتقليد معاوية (عبد الرحمن بن زياد) خراسان سنة ٥٨هـ [٧٢].

كشف كذلك كتّاب يزيد بن معاوية [٧٣] مدة حكمه فأورد اثنين: عبد الله بن أوس الغساني وعلى الخراج سرجون بن منصور وأشار الى تولية عبيد الله بن زيادة بمشورة من سرجون الرومي لمواجهة ثورة الامام الحسين بن علي (ع) [٧٤].

أما أيام معاوية بن يزيد بن أبي سفيان فقد كتب له (الريان بن مسلم) وعلى الخراج (سرجون بن منصور النصراني)، وفي مدة حكم مروان بن الحكم [٧٥]وضع بمنصب الكاتب (سفيان الاحول) وكتب له على الديوان (سرجون بن منصور النصراني) و(أبو الزعيزعة) كما ورد في بعض الروايات [٧٦].

أما أشهر من كتب لعبد الملك بن مروان مدة حكمه فأورد أسم (قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي) وكتب له على ديوان الرسائل (أبو الزعيزعة) وكذلك أبا زُرعة (روح بن زنباع الجذامي) وبعد موت كاتبه قبيصة بن ذؤيب ولى مكانه (عمرو بن الحارث الفهمي) وبعد موته قلد مكانه مولاه (جناح) على ديوان الخاتم [٧٧].

تطرق بن عبدوس الكوفي الى عدد من الروايات التاريخية خصت مدة حكم عبد الملك بن مروان أهمها مشورة كاتبه قبيصة بن ذؤيب لعبد الملك بعدم عزل أخيه (عبد العزيز بن مروان) عن ولاية العهد وتقليدها لولديه (الوليد وسليمان) مشيراً الى ان الموت قد يدرك عبد العزيز وهو والٍ على مصر وبالفعل كانت وفاة عبد العزيز سنة ٨٥هـ ، وأورد الى حادث مهم وهو تحويل الدواوين من اللغة الفارسية الى اللغة العربية مدة حكم (الحجاج بن يوسف الثقفي[٧٨]) على العراق إذ كلف (صالح بن عبد الرحمن) كاتبه

بهذه المهمة فأتمها سنة ٨٧هـ ، وفي الاطار ذاته أشار الى تحويل الدواوين في الشام من الرومية الى العربية أثر تثاقل سرجون النصراني في تلبية طلب عبد الملك بن مروان فكلف الأخير أبو ثابت (سليمان بن سعد الخُشني) بتحويل الدواوين الى العربية ففعل.
ومن الحوادث التي أرخها موت الحجاج بن يوسف الثقفي في شهر رمضان سنة ٩٥هـ وتطرق لروايات عدة حول ثقل الحجاج على أهل العراق واجتماع الدهاقين حول (جميل بصبهري) شكوا له الحال وكذلك أورد أخباراً عن مصعب بن الزبير وكتابه [٧٩].

يعد الوليد بن عبد الملك [٨٠] أول من كتب من حكام بني أمية في الطوامير وأمر بتعظيم كتبه وتجليل الخط فيها أدرج الجهشياري أربعة كتّاب مدة حكمه: (القعقاع بن خليد العبسي)، وعلى الخراج (سليمان بن سعد الخشني)، وعلى ديوان الخاتم (شعيب الصابي)، وعلى المستغلات في دمشق (نفيع بن ذؤيب) [٨١].
أدرج خمسة كتّاب مدة حكم سليمان بن عبد الملك [٨٢]وهم: سُليم بن نُعيم الحميري، وعلى ديوان الرسائل (الليث بن أبي رقية) وعلى ديوان الخاتم (نُعيم بن سلامة) وكتب له رجل من أهل فلسطين يعرف بـ(ابن البطريق) أما على النفقات وبيوت المال فكتب له (عبد الله بن عمرو بن الحارث).
أهم ما جاء به بناء سليمان بن عبد الملك لمدينة الرملة [٨٣]ومسجدها بمشورة من ابن بطريق، ومن الحوادث التي أرخها صرف يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج عن العراق وتولي وولى يزيد بن المهلب سنة ٩٦هـ ثم قلده خراسان سنة ٩٨هـ وأشار لفتحه لجرجان، كما أورد وفاة سليمان في صفر سنة ٩٩هـ [٨٤].
ذكر بن عبدوس كتّاب مدة حكم عمر بن عبد العزيز [٨٥] وهم: (الليث بن أبي رقية، رجاء بن حيوة، إسماعيل بن أبي حكيم)، وعلى الخراج (سليمان بن سعد الخشني) كما كتب له (الصبّاح بن المثنى) ونقل عن حرص عمر بن عبد العزيز بالقراطيس فأورد نصه: "أن دقّق القلم، وأوجز الكتابَ، فإنه أسرعُ للفهم" وكتب لعامل آخر شكى قلة القراطيس فقال له: "أن دقّق قلمك، وأقلل كلامك، تكتفِ بما عندك من القراطيس"[٨٦].

عدد الجهشياري كتّاب يزيد بن عبد الملك خلال مدة حكمه فكانوا ثلاثة: (يزيد بن عبد الله، أسامة بن زيد السّليحي)، وعلى الدواوين (سليمان بن سعد الخشني) وأرخ مقتل يزيد بن أبي مسلم الذي قلده يزيد بن عبد الملك ولاية أفريقية بسبب تهديده لأهلها ان يفعل بهم كما فعل الحجاج بأهل العراق فقتله أهل افريقية وأعادوا واليهم (محمد بن يزيد) وذلك سنة ١٠٢هـ[٨٧].

كشف بن عبدوس الكوفي كتّاب هشام بن عبد الملك وكانوا أربعة: (سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الابرش الكلبي ويُكنى أبو مجاشع) وتقلد ديوان الصدقة (إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب) وقلد ديوان حمص (تاذرى بن أسطين النصراني) وكتب لهشام على الطرز[٨٨] (جُنادة بن أبي خالد)، وأهم ما أرخه مدة حكم هشام بن عبد الملك [٨٩] تقليده لنصر بن سيار بن أبي رافع ولاية خراسان بعد موت أسد بن عبد الله وذلك في رجب سنة ١٢٠هـ ، وكذلك تحويل الحُسبانات من الفارسية الى العربية في خراسان سنة ١٢٤هـ على يد (إسحاق بن طليق) الكاتب ورجل من بني نهشل[٩٠].

تم ذكر كتّاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٩١] وكانوا سبعة: بُكيرُ بن الشماخ، وعلى ديوان الرسائل (سالم مولى سعيد بن عبد الملك، عبد الله بن سالم، عبد الأعلى بن أبي عمرو، عمرو بن عتبة، وكتب له في ديوان الجند (عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف)، وعلى الخاتم (بيهس بن زميل) [٩٢].

أما مدة حكم يزيد بن الوليد الناقص[٩٣] فأشار الى خمسة كتّاب كتبوا له مدة حكمه وهم: (عبد الله بن نعيم) وعلى ديوان الخاتم (عمرو بن الحارث) وتقلد ديوان الرسائل (ثابت بن سليمان الخشني) فيما أوكل ديوان الخراج والخاتم الصغير الى (النضر بن عمرو) والخاتم الكبير الى (قَطَن) مولاه [٩٤].

في حين لم يرد مدة حكم إبراهيم بن الوليد[٩٥] سوى كاتبان: (إبراهيم بن أبي جمعة وثابت بن سعيد الجذامي) [٩٦].

سلط الضوء على كتّاب مروان بن محمد [٩٧] الجعدي آخر حكام بني أمية وكانوا ثلاثة: (عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري، ومصعب بن ربيع الخثعمي) وكتب على الارزاق (أبي الورد الاشجعي، ومخلد بن محمد بن الحارث).

خصص بن عبدوس الكثير من الروايات لعبد الحميد الكاتب أهمها مشورته لمروان بن محمد بمصاهرة إبراهيم بن محمد بن علي بعد أن أخذ شأن بني العباس بالعلو كما أورد رسالة طويلة من عبد الحميد الكاتب الى الكتّاب وضع فيها جملة من وصاياه لا أجد مجالاً لذكرها ضمن متن البحث، وكشف طريقة القبض عليه من قبل العباسيين وقتله وأجمل وصاياه كانت بالكتّاب كان نصها: "أكرموا الكتّاب، فإن الله عزّ وجلّ أجرى أرزاق العباد على أيديهم".

كما أورد ما قاله أبو جعفر المنصور [٩٨]بعد أفضاء الامر لبني العباس: "غلَبنا بنو مروان بثلاثة أشياء: الحجاج، وبعبد الحميد بن يحيى الكاتب، والمؤذن البعلبكي"، كما أماط اللثام عن سبب بلاغة عبد الحميد من خلال سؤالهم له فقال حفظت كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). كما ذكر تفاصيل نهوض بني العباس وكتابهم وأرخ لدخول العباسيين الكوفة على يد حميد والحسن ابنا قحطبة لإحدى عشرة ليلة خلت من محرم سنة ١٣٢هـ وظهور أبا سلمة الخلال وتسميته بـ(وزير آل محمد) وكانت هذه أول تسمية للوزارة في الكتاب، كما أدرج محاولة أبي سلمة تحويل الخلافة الى ولد علي بن أبي طالب (ع) وبالتالي مبايعته لأبي عباس السفاح [٩٩].

ث.الكتّاب والوزراء خلال مدة الحكم العباسي -لغاية المأمون كما ورد في نسخة الكتاب-

بدأ الجهشياري بأبي العباس السفاح كما هو معهود لأنه أول حكام بني العباس إذ جاء فيه مبايعة خالد بن برمك بعد أن قلده السفاح ديواني الخراج والجند وكان ما يُثبت في الدواوين يُثبت في الصحف وخالد البرمكي أول من جعله في دفاتر لذا أحله السفاح محل الوزير، وأرخ أخذ أبي جعفر المنصور البيعة من أبي مسلم الخراساني[١٠٠] في جمادى الأولى سنة ١٣٢هـ، وأورد حادثة مقتل أبي سلمة الخلال إذ أرسل اليه أبي مسلم الخراساني مرار بن أنس الضبي وكمن للخلال مع أسيد بن عبد الله في الكوفة وقتلاه في رجب سنة ١٣٢هـ[١٠١].

أما مدة حكم أبي جعفر المنصور فقد أورد بن عبدوس أشهر كتابه وهو (عبد الملك بن حميد) وبيّن منزلته منه وبعد مرضه اتخذ من (أبو أيوب المورياني) كاتباً وأصله من

احدى قرى الاهواز تدعى موريان واسمه (سليمان بن مخلد) وكانت منزلته عظيمة لدى المنصور لدرجة إنه صرف خالد بن برمك عن الخراج وقلده لأبي أيوب، كما أرخ بناء مدينة بغداد بعد أن قسمها المنصور الى أربعة أرباع الربع الأول منها الى أبي أيوب وزيره، والثاني الى عبد الملك بن حميد كاتبه، والثالث والرابع الى الربيع والى سليمان بن مجالد ونقل اليها الخزائن والدواوين وبيوت الأموال وذلك سنة ١٤٦هـ، كما أشار الى بن المقفع كاتب عيسى بن علي وأورد مقتل بن المقفع على يد سفيان بن معاوية ومطالبة عيسى بن علي بدمه مع ذكر شيء عن بن المقفع ، كما تطرق الى استشارة المنصور بقتل أبي مسلم الخراساني ونص كتاب الأخير للمنصور وتحايل أبو أيوب الكاتب على الخراساني ومقتله، كما أرخ قتل المنصور لكاتبه أبي أيوب المورياني مستنداً على رواية أبي العيناء الذي روى إن المنصور كان مستتراً من بطش الامويين في الاهواز فنزل عند أحد الدهاقين فتزوج المنصور ابنته وقبل مغادرته الى البصرة علم بحملها فدفع اليها بالقميص والخاتم وقال لها اذا استملكت اسلي ولدي مع ما دفعه اليها فكان ذلك فقربه المنصور اليه مما أثار حسد المورياني فقام بسمه فأحس به المنصور فقام بقتل كاتبه سنة ١٥٤هـ وبعد قتله قلد الخاتم الى (الفضل بن سليمان الطوسي) وكتابة الرسائل والسر (أبان بن صدقة) وقلد الوزارة الى مولاه (الربيع بن يونس بن محمد بن فروة) وفي السنة ذاتها أرخ وفاة عبد الملك بن حميد، كما أرخ خلع المنصور ولاية العهد من عمه عيسى بن موسى الى ولده المهدي سنة ١٤٦هـ وكذلك أرخ لولادة الرشيد بن المهدي سنة ١٤٩هـ وكان الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ولد قبل سنة فأرضعت الخيزران فضلاً وأرضعت أم الفضل هارون[١٠٢].

قلد المهدي بن المنصور في مدة حكمه الوزارة الى (أبا عبيد الله) سنة ١٥٩هـ وكان من كتّابه (عبيد الله بن عمران) مولى مذحج و(يزيد الاحول أبو أحمد بن أبي خالد) و(محمد بن سعيد بن عقبة)، وأورد محاولة المهدي خلع عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد بعد سنة من تولية المهدي ومبايعة الهادي موسى بن المهدي.

أرخ بن عبدوس الكوفي الكثير من الحوادث خلال مدة حكم المهدي أهمها أخذ البيعة لهارون بعد أخيه موسى الهادي سنة ١٦٣هـ، وفي السنة ذاتها ذكر وفاة خالد بن برمك

أثناء صائفة مع الرشيد، وأرخ وفاة (أبان بن صدقة) كان على رسائل موسى الهادي بن المهدي بجرجان سنة ١٦٧هـ. وإطلاق المهدي سراح (يعقوب بن داود) الذي كان كاتباً لدى نصر بن سيار[١٠٣] وقد حبسه المنصور سنة ١٤٤هـ فضمه المهدي اليه وسماه أخاً في الله ووزيراً، كما أرخ حج المهدي سنة ١٦٠هـ وتوسط يعقوب بن داود للحسن بن عبد الله بن الحسن، وكذلك عزل المهدي لأبي عبيد الله عن الوزارة سنة ١٦٣هـ واقتصاره على ديوان الرسائل، وتطرق الى مقتل الشاعر بشار بن برد[١٠٤] بوشاية من يعقوب بن داود الذي قال للمهدي ان بشاراً قد هجاك فأمر المهدي بإشخاص بشار بن برد فقام بن داود بقتله في طريقه الى المهدي، سلط الضوء على تقريب يعقوب بن داود الى الزيدية فولاهم أمور الخلافة في الشرق والغرب وهذا ما أخذ عليه فضلاً عن تبديده للأموال في الوقت الذي كان الوزير السابق (عبيد الله) كان مقتصداً بها وميله للعلويين أدى الى حبسه من قبل المهدي واستوزر بعده (الفيض بن أبي صالح) واسم أبي صالح شيرويه، وأرخ تقليد المهدي للازمة الى (علي بن يقطين) سنة ١٦٨هـ وجعل يوم الخميس عطلة للكتّاب وبقي معمولاً بها الى حكم المعتصم[١٠٥].

ذكر الاحداث التي كانت مدة حكم الهادي من خلال ايراده لوفاة المهدي وكان هارون معه أما الهادي فكان بجرجان أرسال هارون للقضيب والبردة والخاتم للهادي مع مولاه نصير فيما قام الربيع بأخذ البيعة للهادي في بغداد وجاء الهادي راكباً دواب البريد وهو أول خليفة قام بذلك فقلد الوزارة للربيع وعهد ديوان الرسائل الى (عمر بن بزيع) وديوان خراج الشام الى (عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى) وديوان الجند الى (علي بن عيسى بن ماهان) ثم صرف الربيع عن الوزارة وقلدها لـ(إبراهيم بن ذكوان الحراني الأعور) وأقر دواوين الازمة الى الربيع وبقي فيها لوفاته سنة ١٦٩هـ، قلد إبراهيم الحراني (إسماعيل بن صبيح) ديوان الشام وما يليها بشفاعة يحيى بن خالد، وأرخ وفاة عبيد الله بن زياد بن أبي ليلى سنة ١٦٩هـ وتطرق لمحاولة خله الهادي ولاية العهد من أخيه هارون وجعلها لولده جعفر وموقف يحيى بن خالد منه الذي أقنع الهادي بعدم القدوم بمثل ذلك، كما أورد محاولة الهادي في قتل يحيى البرمكي بعد ان طالبه عدد من قواده ووجوده ادارته بخلع هارون وتولية العهد لولده جعفر الا إن وزيره إبراهيم

الحراني قام بإقناعه في بقاء خالد لليلة واحدة فقبض الهادي فيها[١٠٦] وكانت تلك الليلة معروفة الليلة التي فيها خليفة (الهادي) وولى فيها خليفة (هارون) وولد فيها خليفة (المأمون) [١٠٧].

استهل مدة حكم هارون الرشيد بالتطرق الى مكانة يحيى بن خالد البرمكي لدى الرشيد الذي وصفه (بالأبوة) وأورد أهم أعمال يحيى البرمكي إذ احتفر القاطول واستخرج نهراً سماه (أبا الحيل)، قلد الرشيد يحيى البرمكي الوزارة مع الدواوين جميعها وكان يحيى البرمكي أول وزير زاد في الكتب: "وأسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله" وأنشأ كتاباً ذكر فيه فضل الأنبياء، كما وصف بشكلٍ دقيق دور يحيى البرمكي في بلاط الرشيد خاصة في تخليص (إبراهيم الحراني) وزير الهادي من الرشيد ومشورته للخيزران في عدم الانتقام من خصوم الرشيد الذين خلعوه وبايعوا جعفر بن موسى الهادي كما استقال يحيى البرمكي في الكتابة الى العمال وأدرج كتّابه وهم: (يوسف بن سليمان، أبو صالح يحيى بن عبد الرحمن، يحيى بن سليمان، محمد بن أعين، عبد الله بن عبدة) وفي اطار الكتّاب أورد وصية يحيى البرمكي لولده كان نصها:

"لا بد لكم من كتّاب وعمال وأعوان، فاستعينوا بالأشراف، وإياكم وسفلة الناس، فإن النعمة على الاشراف أبقى، وهي بهم أحسن، والمعروف عندهم أشهر، والشكر منهم أكثر"[١٠٨].

تطرق بن عبدوس الكوفي لكثير من الروايات خلال مدة حكم الرشيد بحيث اشتملت على (١١١) صفحة سيتم التطرق الى المهم منها والذي يمس جوهر البحث بشكلٍ مباشر فأرخ لوفاة أبي خالد يزيد الاحول سنة ١٦٨هـ ، وكذلك تطرق الى تولية الرشيد جعفر بن يحيى المغرب كله من الانبار الى أفريقية سنة ١٧٦هـ وقلد الفضل بن يحيى المشرق كله من النهروان الى أقصى بلاد الترك وأشخص الفضل الى عمله سنة ١٧٨هـ وزاد الجند والقادة، ووصل الزوار والكتّاب بـ(١٠) آلاف الف درهم سنة ١٧٩هـ كما أخذ البيعة للأمين في خراسان ، كما أشار الى مصالحة نقفور ملك بيزنطة للرشيد وغدره فيما بعد وافتتاح الرشيد بعد ان غزاه مدينة هرقلة[١٠٩]، وأورد اشخاص الرشيد لجعفر البرمكي سنة ١٨٠هـ لإخماد العصبية التي قامت في الشام بين النزارية والمضرية فأخمدها

وخطب فيهم مورداً نص الخطابة، وأهم ما تطرق اليه حج الرشيد مع ولديه الأمين والمأمون ومعهم جعفر والفضل ابنا يحيى البرمكي وأعطوا للناس ثلاث أعطيات ، وأرخ صرف الرشيد أعمال الفضل التي قلدها له لغضبه عليه سنة ١٨٣هـ ، وكذلك صرف الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك من الحجابة وتقليدها للفضل بن الربيع سنة ١٧٩هـ ، وأشار لمقتل جعفر بن يحيى البرمكي على يد الرشيد في صفر سنة ١٨٧هـ مشيراً الى سبب نكبة البرامكة لتقصيرهم بالفضل بن الربيع كما أدرج الرشيد عمالاً لم تتصل بالبرامكة وهم: (محمد بن أبان) على خراج الاهواز و(علي بن عيسى بن يزدانيروذ) خراج فارس و(الفيض بن أبي الفيض الكسكري) خراج كسكر و(الخصيب بن عبد الحميد) خراج مصر وكان كاتب الأخير البلاذري [١١٠] وأرخ وفاة يحيى بن برمك في الرقة في محرم سنة ١٩٠هـ وولده الفضل يوم السبت لخمس خلون من محرم سنة ١٩٣هـ ، وأهم ما أشار اليه أمر الرشيد لا سماعيل بن صبيح كتابة العه لأبنائه الثلاثة الأمين والمأمون والقاسم وذلك يوم السبت لسبع ليال بقين من شهر محرم سنة ١٨٨هـ وذكر اشخاص الرشيد الى خراسان لإخماد فتنة رافع بن الليث وأرخ وفاته في جمادي الآخرة سنة ١٩٢هـ واختتم حكم الرشيد بإيراد أمر مهم تعلق بقوائم تقدير الخراج وضعه (عمر بن مطرف الكاتب) من أهل مرو في مدة حكم الرشيد وعرضها على يحيى بن خالد البرمكي تضمن (٣٦) مدينة أو إقليم فيها تقدير للمال والامتعة [١١١].

أدرج الجهشياري كاتبين في مدة حكم محمد الأمين إذ قلد ديوان الرسائل الى (يحيى بن سليم) وديوان الخاتم (بكر بن المعتمر) وكان من كتّابه (أسماعيل بن صبيح) وجعل عرض الدواوين على الفضل بن الربيع أما كتّابه فكانوا ثلاثة وهم: موسى بن عيسى بن يزدانيروذ، داود بن بسطام، عبد الله بن نُعيم)، تطرق الى حوادث الأمين والمأمون الخاصة بطلب الأمين تجافي المأمون عن بعض أعمال خراسان ومشورة المأمون للفضل والحسن ابنا سهل اللذين أشارا عليه برفض ذلك ومساندة أهل خراسان له معللاً سبب تحرز المأمون الى امتناع الأمين من ارسال ابني المأمون و(١٠٠) ألف دينار أوصى الرشيد له من بيت المال واستعانة الفضل بن سهل بطاهر بن الحسين وانتدابه من الري ، أما من جانب الأمين فكشف تزيين الفضل بن الربيع خلع الأمين لأخيه المأمون والدعاء لولده

موسى بالعهد وسماه (الناطق بالحق)، بالمقابل أورد مشورة كاتبه (إسماعيل بن صبيح) بالكتابة الى المأمون في يشعره بحاجته له وشوقه اليه، كما أوضح برّ الأمين بآل برمك وعبثه بالأعمال من خلال تفضيله لمجالس الندماء والمغنيين على إدارة أمور الدولة، أرخ مقتل علي بن عيسى بن ماهان سنة ١٩٥هـ واستتار الفضل بن الربيع بسبب ضعف الأمين وقوة المأمون في رجب سنة ١٩٦هـ[١١٢].

في الوقت الذي لم يشر الى أي كاتب مدة حكم المأمون لأنه أكمل الروايات في الفتنة التي قامت بين الاخوين الأمين والمأمون فأورد مقولة الفضل بن سهل لما رأى رأس الأمين: "ما فعل بنا طاهر؟ سَلّ عينا سيوف الناس وألسنتهم، وأمرناه أن يبعث به أسيراً فبعث به عقيراً!"، وأشار الى منزلة (علي بن أبي سعيد) بن خالة الفضل بن سهل عند المأمون وكان يُعرف بـ(ذي القلمين)، كما لطلق لقب (ذي الرياستين) على الفضل بن سهل وهو أول من جمع بين الوزارة والامارة وأرخ نصاً للمأمون بحق الفضل بن سهل سنة ١٩٦هـ كما تطرق الى خلع المأمون في بغداد ومبايعة إبراهيم بن المهدي ومشاورة المأمون وجوه خراسان لبيعة الامام علي بن موسى الرضا (ع) لولاية العهد وتطرق الى حادثة مقتل هرثمة بن أعين بتدبير من الفضل الذي كان هرثمة غاضباً عليه خاصة لما ناله من مكانة لدى المأمون لدرجة جلوسه على كرسي مجنح أمام المأمون[١١٣] وكان يُحمل عليه ايضاً[١١٤].

رابعاً: الجوانب الأدبية التي وردت في كتاب الوزراء والكتّاب

لم يقتصر الكتاب على ذكر الوزراء والكتاب خلال مدة طويلة استمرت الى حكم المأمون العباسي انما تضمن روايات تاريخية تم التطرق الى أهمها خلال استعراض الكتاب والوزراء التي تم ذكرهم أنفاً ولم يخلُ الكتاب من الجوانب الأدبية بأشكالها كافة.

ففي مجال الشعر استشهد بن عبدوس الكوفي بأبيات شعرية لشعراء عدة إذ أورد خلال كتابه (٢٩٤) بيتاً شعرياً [١١٥] لـ(٨١) شاعراً صُرح بأسمائهم تكرر منهم أسماء عدة أهمها: أبو نؤاس، أبة العتاهية، الاصمعي، أبو الشمقمق، أبو دلامة، وسلم الخاسر.

وكان للطرائف والنوادر نصيب على صفحات الكتاب إذ تضمن الكتاب أربعة طرائف [١١٦] أما النوادر فكانت مجموعها (١٢) [١١٧]، كما أورد عدداً من نصوص الرسائل والكتب المهمة وكان مجموعها ستة وهي كالاتي:

١.رسالة عبد الحميد الكاتب (كاتب مروان بن محمد) في وصية له مطولة للكتّاب وصفها الكوفي بقوله:

"أطال فيه الا انه أجاد، فلم استجز اسقاط بعضه، وكتبت جميعه على طوله، لأن الكاتب لا يستغني عن طوله" [١١٨].

كما أورد نص رسالة عبد الحميد الكاتب الى أهله بعد هزيمة مروان بن محمد [١١٩].

٢.جاء بنص كتاب أبي مسلم الخراساني الى أبي جعفر المنصور [١٢٠].

٣.اقبس نص للجاحظ من حسن كلام أبي عبيد الله وزير المهدي [١٢١].

٤.استشهد بخطبة جعفر بن يحيى البرمكي بعد قضائه على فتنة الشام [١٢٢].

٥.أورد كتاب أحمد بن يوسف بعد إدخال رأس الأمين وطلب المأمون الكتابة عن طاهر بن الحسين في ذلك ليقرأه على الناس [١٢٣].

٦.نقل نصاً مؤرخاً للمأمون بحق الفضل بن سهل سنة ١٩٦هـ [١٢٤].

خامساً: الملاحظات على الكتاب

بعد استعراض كتاب (الوزراء والكتاب) وتحليله خاصة بما تضمنه من أسماء لكتّاب ووزراء الذين برزوا خلال عصر النبوة والخلافة الراشدة ومروراً بالحكم الاموي والعباسي والتركيز على أهم الاحداث التاريخية وجوانب أدبية الا ان هناك ملاحظات لا بد من الإشارة اليها وهي كالاتي:

١.لم يستخدم أسلوب التوثيق التأريخي للحوادث الا بنسبة ضئيلة اذ نجد في كتابه انه أرخ (٣٨) مرة فقط جزء يسير منها كان باليوم والشهر.

٢.اتبع منهجية خاصة في كتابته للوزراء والكتّاب اذ كان أهم ما اتبعه: الشمول في الموضوع واختصاصه بطبقتي الوزراء والكتاب وادراجه لاسماء وحوادث قسم منهم على المستويين كناب الخلفاء والحكام أو الولاة أعطى للمؤلف أهمية خاصة، كما اتبع طريقة العهود الخاصة بالخلفاء والحكام في التبويب وهذه الطريقة لم ينتهجها قبله سوى

اليعقوبي في كتابه (تاريخ اليعقوبي)، كان أسلوبه قائم على السرد التاريخي مع أصل التراجم، فضلاً عن انحيازه للوزراء في سرد الحوادث أكثر من الكتاب لتوفر الاخبار عنهم وقربه من طبقتهم [١٢٥].

٣.استخدم بن عبدوس الكوفي في ايراده لبعض الروايات التاريخية أسلوب التشبيه فكان في حال ذكر حادثة تاريخية معينة يشبهها بحادثة أخرى حصلت فيما سبق وقد تكررت هذه الحالة ثلاثة مرات [١٢٦].

٤.أورد الجهشياري رواياته بشكلٍ عفوي اذ قدم واخر فيها دون ان يكون هناك ترتيب في التسلسل الزمني على سبيل المثال ذكر في الصفحة ٧٩ مقتل عبد الحميد الكاتب من كتّاب مروان بن محمد ثم ذكر كيفية القبض عليه كما تطرق الى حادثة بين مروان بن محمد وكاتبه عبد الحميد ووصفه لدابة كان يركبها إثر سؤال مروان له [١٢٧].

٥.سلط الضوء على نسب بعض الشخصيات بشكلٍ مركز كأبي سلمة الخلال، وذكر شيئاً عن بن المقفع، ووضح سيرة إسماعيل بن صبيح، وسيرة الفضل بن يحيى [١٢٨].

الخاتمة

بعد استعراض مادة البحث يمكن ادراج أهم الاستنتاجات التي تم التوصل اليها وهي كالاتي:

١.يبدو ان النشأة العلمية للجهشياري في الكوفة كان له أثراً في صقل شخصيته -على الرغم من عدم تناول المصادر نشأته العلمية- الا ان انتظامه في دواوين بغداد بعد انتقاله من الكوفة الى بغداد يعطي دليلاً واضحاً على تأثر شخصيته بالعلماء والحركة الفكرية التي سادت المدينة يومئذ.

٢.ظهر الكتاب سنة ١٩٢٦ على يد المستشرق النمساوي (هانس فون مشيك) ضمن المجموعة المخطوطة في دار الكتب الوطنية في فيينا بعدها شرعت بعملية تحقيقه ، لم يدخل الجهشياري لبادراج أسماء الكتاب والوزراء بشكلٍ مباشر بل مهد للموضوع ان هذه الطبقة عرفت في الحضارة الفارسية كما كان لديهم تنظيم الدواوين وجباية الخراج وتأثر بهم العرب فيما بعد.

٣.تجسدت أهمية كتاب الجهشياري من خلال ما اقتبس منه مشاهير المؤرخين: كالحموي، ابن خلكان، التنوخي وعبد الملك بن محمد ، اما الجهشياري فكثيراً ما نقل عن أبي عبد الله محمد بن داود بن جراح في كتابه الورقة الذي ضم ترجمة (٨٥) شاعراً غير معروف والنسخة محفوظة لدى الشاعر المعروف (أحمد صافي النجفي) والذي يحق لابناء مدينته الافتخار به ليس لكونه شاعراً فحسب وانما لشخصيته الأدبية والعلمية التي تمتعت بمكانتها ليتوسط اسمه في احدى صفحات كتاب الوزراء والكتاب.

٤.أدرج بن عبدوس الكوفي أسماء كتّاباً في عصر الرسول الاكرم (ص) وكان عددهم تسعة مع شيء عن دورهم وفي عصر الخلافة الراشدة تم ذكر (١٨) كاتباً عملوا في خدمة الخلفاء و(٥٨) كاتباً مدة الحكم الاموي في حين برز منصب الوزارة بشكلٍ واضح خلال الحكم العباسي فأدرج (٩) أسماء وزراء لحد حكم المأمون و(٢٩) كاتباً خدموا البلاط العباسي.

٥.تكمن أهمية الكتاب كونه مختص بطبقة إدارية مهمة لها الأثر البالغ في الحياة الاجتماعية والسياسية لم يسبق أحد ان وظف كتاباً بمثل هذا العنوان هذا من جهة وتنوع مادة الكتاب فهة لم يكتفِ بإدراج أسماء الكتّاب والوزراء فحسب وانما أورد معها جوانباً مهمة في الجوانب التاريخية والأدبية التي ضمت عدد كبير من الابيات الشعرية ونقل العديد من نصوص الرسائل والمخاطبات لشخصيات تركت اثرها في التاريخ ، وكذلك للكتاب أهمية اقتصادية اذ أورد فيه قائمة الميزانية التي وضعها أبو الوزير (عمر بن مطرف الكاتب) مدة حكم الرشيد لتقدير دخل الدولة وتبرز أهمية هذا الامر من خلال التقرير الذي قدمه (فون كريمر) حول هذه الميزانية في مؤتمر المستشرقين الدولي السابع.

٦.استعان محمد بن عبدوس الكوفي بأسلوب التشبيه في ايراد الروايات التاريخية لاستكمال الفائدة العلمية وأورد نسب عدد من الشخصيات على الرغم من قلتها لكن تبقى من سلبيات الكتاب عدم الالتزام بالتسلسل التاريخي للروايات وكذلك توثيق سنوات الحوادث التاريخية كان قليلاً بالمقارنة مع حجم الكتاب وما تضمنه من صفحات.

٧.أورد الكثير من الروايات التاريخية وبدا ذلك واضحاً مدة الحكم الاموي خاصة ان هذه الروايات تم ذكرها ضمن مدة حكم الحكام الامويين وما صاحبه من حوادث وانسحب الحال بشكلٍ أكثر مدة الحكم العباسي مثال ذلك ان مدة حكم هارون العباسي شغل أكثر من (١٠٠) صفحة.

الملخص

أبو عبد الله بن عبدوس مؤرخ قديم من طبقة الطبري (المتوفي ٣١٠هـ) والمسعودي (المتوفي ٣٤٥هـ) كان أبوه من رجال الدولة العباسية إذ عمل حاجياً للوزير (علي بن عيسى) الذي استوزره المقتدر سنة (٣٠١هـ)، وحجب محمد بن عبدوس للوزير حامد بن عباس سنة (٣٠٦هـ).

نشأ بن عبدوس (حسب ما نقله بن خلكان في كتابه وفيات الاعيان) في الكوفة وتلقى العلم على علمائها، الا إن انتقاله الى بغداد وانتظامه في وظائف الدواوين لا يمكن تحديد تاريخه.

نال محمد بن عبدوس مكانة متميزة في ظل الدولة العباسية اذ أورد بن الاثير في حوادث سنة (٣١٧هـ) بأنه كان من أصحاب الوزير بن مقلة الذي كلفه بإمارة الحج فسار معه حاج العراق الى مكة عن طريق الشام بسبب انقطاع الطريق من قبل القرمطي فهو بذلك جمع بين القلم والبيان والسيف والحرب.

تدهور النظام الإداري خلال هذه المدة بسبب الفساد خاصة بما تعلق بتولية العمال والولاة والوزراء وجباية الخراج بسبب تسلط النساء وغلمان الاتراك على شؤون الدولة وكثرة من تولى الوزارة وما صاحبه من تغيير العمال في انحاء الدولة العباسية وكان ذلك سببه المال الذي كان يشترى فيه منصب الوزارة من غلمان الاتراك وإعطاء الحق للوزير الجديد مناظرة الذي قبله مطالباً إياه بالأموال التي جمعها مدة وزارته لذا نال هذا الموضوع من بن عبدوس الكوفي وتسبب بوفاته سنة (٣٣١هـ).

اشتهر الجهشياري بكتابه الوزراء والكتاب، الكتاب الوحيد الباقي من تراثه العلمي، فضلاً عن كنبه التي ضاعت أمثال كتاب ميزان الشعر، الاشتمال على أنواع العروض ومجموعة أسمار العرب والعجم والروم.

حقق الكتاب ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي تضمن مقدمة وكتاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ثم العهود الإسلامية ابتداء من عهد الخلفاء ومروراً بحكم بني أمية والحكم العباسي الى حد حكم المأمون اذ استعرض أسماء الوزراء والكتاب بشكل مفصل ولم يخلُ الكتاب من ذكر أحداث تاريخية مهمة لذا يعد من أهم المصادر في التاريخ الإسلامي وما تناوله من أسماء وحوادث سيتم معالجته بشكل إحصائي علمي لإبراز الفائدة العلمية للكتاب وأثره في التاريخ الاسلامي.

الهوامش:

١) بن النديم، محمد بن ابي يعقوب اسحاق ، الفهرست، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ص٢٠٥.

٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك ، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، ٢٠٠٠)،ج٣، ص١٦٧.

٣) خير الدين الزركلي، الاعلام، ط١٦، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٥)، ج٦، ص٢٥٦.

٤) الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، صاحب التفسير والمصنفات الكثيرة، ولد في اواخر سنة ٢٢٤هـ واوائل سنة ٢٢٥هـ بمدينة آمل من اعمال طبرستان، تربى في وسط عائلة ورعة تقية، فجمع بين العلم والاخلاق، كان سلفي المذهب نزل في محلة (قنطرة البردان) ببغداد بعدها ابتنى داراً برحبة يعقوب في الجانب الشرقي من بغداد، توفي يوم السبت في السادس والعشرين من شوال ودفن في حجرة داره . الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي ابن عماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت: دار احياء التراث، د.ت)، ج٢، ص٢٦٠ ؛ عبد الرحمن حسين الغراوي، الطبري السيرة والتاريخ، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩)، ص٢٥-٤٠.

٥) المسعودي (٢٨٧-٣٤٦هـ) ابو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله الهذلي المسعودي المؤرخ من ذرية عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) ولد ببغداد في اواخر عهد الخليفة المعتضد العباسي، اهتمت اسرته بتعليمه وتثقيفه وتنشئته تنشئة عربية اسلامية، وكانت بغداد يومها من اهم مراكز العلم في العالم اشتهرت بمكتباتها وما حوته من تراث العرب المسلمين وضمن عددا من الفقهاء والعلماء والادباء، شغف بالسفر فطاف عدة بلدان توفي في الفسطاط . حسين عاصي ، ابو الحسن المسعودي المؤرخ والجغرافي، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣)، ص٤٨-٥٢.

٦) محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٩٣٨)، ص هـ.
٧) رنا فتحي سعود القيسي، النظم الإدارية في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية التربية للبنات، ٢٠٠٢)، ص٥-٦.
٨) الجهشياري ، المصدر السابق، ص و-ز.
٩) الجهشياري ، المصدر السابق، ص م.
١٠) الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦)، ص١٣٧.
١١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، موسوعة اعلام العلماء والادباء العرب والمسلمين، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥)، ج٥، ص٤٩٧.
١٢) ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام التدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦)، ج٧، ص٧٥.
١٣) رنا فتحي سعود القيسي، المصدر السابق، ص٥-٦.
١٤) ازداد نفوذ الاتراك مع تولي المقتدر عرش الحكم (٢٩٥-٣٢٠هـ) لأنه كان صغير السنة فلم يتجاوز عمره الثالثة عشرة سنة كما ازداد نفوذ النساء إذ كانت والدته تولي وتعزل . امينة البيطار ، تاريخ العصر العباسي، ط٤، (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٦)، ص٢٣٤.
١٥) الجهشياري، المصدر السابق، ص ط-ي.
١٦) خير الدين الزركلي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٥٦.
١٧) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧.
١٨) المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٧.
١٩) الجهشياري، المصدر السابق، ص ص-ر.
٢٠) ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)، ج٣، ص٣٢٢.
٢١) اسماعيل باشا محمد امين بن مير سليم الباباني، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين من كشف الظنون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨)، مج٧، ص٣٣.
٢٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، المصدر السابق، ج٥، ص٤٩٧.
٢٣) رنا فتحي سعود القيسي، المصدر السابق، ص٥-٦.
٢٤) ابن الاثير، المصدر السابق، ج٧، ص١٢٣ ؛ مضر الحلو، المصدر السابق، ص
٢٥) مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي.

٢٦) المستشرق: مصطلح اطلقه الاوربيون على اولئك الباحثين والدارسين من الاوربيين في اي فرع من فروع المعرفة المتعلقة بالشرق، وتناولوا تراث الشرق بالجمع والتقويم والفهرسة، وعمدوا على تحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه في منشئه وتأثره وتطوره واثره وموازنته بغيره، مصطنعين لنشره المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف . نجيب العفيفي ، المستشرقون، ط٥، (القاهرة: دار العارف، ٢٠٠٦)،ج١، ص٧.

٢٧) منريك (هانس فون مشيك Mzik, H. Von) تشيكي الأصل نشر مكتبة المؤرخين والجغرافيين العرب من مخطوطات المكتبة الوطنية ب(فيينا) متناً وترجمة في ستة أجزاء وعين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٦ أهم اثاره نشر رحلات بن بطوطة في الهند والصين ومن مباحثه في مجلة الدراسات الشرقية في فيينا مروان الثاني سنة ١٩٠٦ وغيرها. المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٨.

٢٨) الجهشياري، المصدر السابق، ص ف ؛ نجيب العقيقي، المصدر السابق، ج٢،ص٢٨٩.

٢٩) الجهشياري، المصدر السابق، ص و.

٣٠) (فون كريمير Kremer Alfreed, Von ١٨٢٨-١٨٨٩) ولد في فيينا وتخرج من جامعتها أرسلته النمسا كقنصل لها في مصر ثم الى بيروت سنة ١٨٧٠ ثم استدعته للوزارة الخارجية، عُرف بجده السياسي ونشاطه الاستشراقي حتى وفاته من مصنفاته: آثار اليمن، تاريخ الفرق في الإسلام ونشر الاستبصار في عجائب الامصار والمغازي للواقدي بمقدمة وشروح انجليزية. نجيب العقيقي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٨.

٣١) عمر بن مطرف: لقب بالكاتب من أهل مرو وكان يتقلد ديوان الشرق مدة حكم المهدي وهو ولي للعهد وكتب له مدة خلافته كما كتب لموسى وهارون الرشيد . الجهشياري، المصدر السابق، ص٢٨١.

٣٢) أورد عمر بن مطرف خراج (٣٦) إقليم للتفاصيل. ينظر: الجهشياري، المصدر السابق، ص ٢٨١-٢٨٨.

٣٣) مؤتمر المستشرقين السابع: بلغت مؤتمرات المستشرقين الدولية (١٩٦٨-١٨٧٣) ثلاثون مؤتمراً ضم الواحد منها مئات العلماء من أعلام المستشرقين والعرب والمسلمين والشرقيين فكان المؤتمر السابع عقد في فيينا سنة ١٨٨٦ وأعمالها خمسة مجلدات فمنذ أواخر القرن التاسع عشر عقد المستشرقون مؤتمرات دولية كل سنتين أو ثلاث أو أربع سنوات أشرفت على انعقاد كل مؤتمر لجنة من علماء الدولة التي يُعقد فيها لبحث جدول أعماله وينقسمون الى أربعة عشر جماعة تنفرد كل منهم بقسمٍ خاص. نجيب العقيقي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٥-٣٦٧.

٣٤) رنا فتحي سعود القيسي، المصدر السابق، ص٦٥-٦٦.

٣٥) ياقوت الحموي (٦٢٢-٥٧٥هـ) ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب البغدادي، وقيل بن عبد الله الرومي بالجنس ونسبته الى حماة، ولد ببلاد الروم ثم اسر وهو صغير من بلده فقيل (الرومي) تميز بسعة الافق والاطلاع الواسع أفاد من صحبة سيده (عسكر بن ابي نصر الحموي) الذي عني بتعليمه وتدريبه على الأسفار فكانت رحلته الاولى ٦١٠هـ/١٢١٣م، زار فيها تبريز، الموصل، الشام، مصر، فكر لأول مرة وضع معجمه ٦١٥هـ/١٢١٨م ، الا ان اجتياح التتار للبلاد الاسلامية حالت دون ذلك فتوجه الى حلب وحصل على دعم الوزير (القفطي) وزير الظاهر بن صلاح الدين فأتم تسويد معجمه سنة ٦٢١هـ/١٢٢٣م، من شيوخه واساتذته (العكبري) الاديب النحوي و(ابن يعيش) النحوي . ابو الفتوح محمد القوانسي، ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الاديب، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،١٩٧١م)، ص٦٠-٧٦.

٣٦) الجهشياري، المصدر السابق، ص ش-ث.

٣٧) عبد الوهاب عزام (١٨٩٤-١٩٥٩م) عبد الوهاب بن محمد بن حسن بن سالم عزام، عالم بالأدب، مصري، ولد في الشوبك من قرى الجيزة في مصر، دخل الازهر وتخرج من مدرسة القضاء الشرعي بـ(القاهرة) ودرس بها، نال شهادة في الآداب والفلسفة من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٣م، التحق بجامعة لندن ونال درجة الدكتوراه في الآداب الفارسية من قسم اللغات الشرقية، درس الفارسية في كلية الآداب بالجامعة المصرية، عين وزيراً مفوضاً في المملكة العربية السعودية ١٩٤٨م، توفي بالرياض ونقل الى مصر ودفن بحلوان وهو من اعضاء المجاميع العلمية في سورية والعراق ومصر وايران من كتبه: ذكرى ابي الطيب بعد الف عام، محمد اقبال: سيرته وفلسفته وشعره وغيرها . كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، مج٣، ص٣٤٩-٣٥٠.

٣٨) أحمد صافي النجفي (١٨٩٥-١٩٧٧) شاعر من الطبقة الأولى له مكانة بين الشعراء الكبار عانى من الفقر والبطالة أصدر (١٤) ديوان شعري تنوعت قصائده في أغراضها ما بين الوطنية والفلسفية والوجدانية من دواوينه: هواجس، الأمواج وغيرها ومن قصائده: الفلاح، الحنين الى الطبيعة، اليتيم وغيرها وقد ترجم بعضها الى الإنكليزية. خازن عبود، معجم شعراء العرب من الجاهلية الى نهاية القرن العشرين، (بيروت: رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ج١، ص٥٢٨-٥٣٠.

٣٩) يبدو ان حرب بن أمية بن عبد شمس ليس أول من كتب بالعربية والمفروض انه أول من كتب بالعربية من قريش. محمد عبد نجم الدليمي، الوزراء والكتاب للجهشياري دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٥)، ص٢٣.

٤٠) الجهشياري، المصدر السابق، ص ١-٢.

٤١) المصدر نفسه، ص ٤.

٤٢) أردشير ( ) مؤسس الإمبراطورية الساسانية انحدر من اسرة دينية كانت لهم سدانة بيوت النار استطاع بحنكته العسكرية من القضاء على جميع ملوك الطوائف واتخذ الزرادشتية ديناً رسمياً للدولة ويرجع اغلب تنظيمات الدولة الساسانية ونظام حكمها اليه. للزيادة في التفاصيل. ينظر: نصير عبد الحسين الكعبي، الدولة الساسانية دراسة في التاريخ السياسي في ضوء المصنفات العربية الاسلامية، (دمشق: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص٦٠-٧٢.

٤٣) الجهشياري، المصدر السابق، ص ٧-٨.

٤٤) كشتاسب

٤٥) الجهشياري، المصدر السابق، ص ٨.

٤٦) ابرويز (٥٩٠-٦٢٨م) شهد حكمه اضطراباً في الأوضاع بسبب معارضة بهرام جوبين الذي استطاع بجيشه احتلال مدينة طيسفون بعد فرار اوبرويز الى الحدود البيزنطية ولجوئه الى الامبراطور موريس الذي قدم له الدعم مقابل تنازل ابرويز عن بعض المدن واعفاء بيزنطة عن دفع الضريبة السنوية وبالفعل استطاع هزيمة بهرام ودخول طيسفون. مهدية فيصل صالح الموسوي، العلاقات الساسانية البيزنطية ٢٢٦-٦٢٨م، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية التربية بن الرشد، ٢٠٠٦)، ص٤١٢.

٤٧) الجهشياري، المصدر السابق، ص ٨-٩.

٤٨) الموبذان موبذ: الموبذان الطبقة العليا من رجال الدين ولهم رئيس يسمى (الموبذان-موبذ) وهو يماثل منصب البابا عند النصارى وفي العهد الساساني كانت له السلطة العليا في المسائل الدينية وله صلاحية في عزل وتعيين الموظفين الدينيين في المعابد واوقافها. آرثر كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى خشاب، (بيروت: دلر النهضة العربية، د.ت)، ص ١٠٦؛ عبد الحليم عبد علي المطيري، النظم الإدارية للدولة الساسانية في العراق ٢٢٤-٦٣٦م، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧)، ص١١٦.

٤٩) أنوشروان (٥٣١-٣٧٩م) تسلم عرش الإمبراطورية الساسانية بعد وفاة والده قباذ وقام بإصلاحات عدة وهي: إزالة آثار المزدكية، تحسين أوضاع العامة من خلال تبني نظام المساحة في تحصيل الجباية للتخفيف عن الفلاحين، إصلاح النظام الحربي، كما وسع رقعة دولته وحمّل الروم على دفع فدية سنوية. للزيادة في التفاصيل. ينظر: نصير عبد الحسين الكعبي، الدولة الساسانية دراسة في التاريخ السياسي في ضوء المصنفات العربية الاسلامية، (دمشق: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص١٢١-١٣٠.

٥٠) الجهشياري، المصدر السابق، ص ٩.

٥١) المصدر نفسه، ص ١٠-١١.

٥٢) المصدر نفسه، ص ١١.

٥٣) عثمان بن عفان (...-٣٥هـ) بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي، اسلم على يد ابي بكر، هاجر الى الحبشة ثم عاد الى مكة وهاجر الى المدينة، بويع عثمان بالخـــلافة يوم السبت غرة محرم سنة سبع وعشـــرين ولي عثمان اثنتي عشرة سنة اميراً، الا ان تواني عثمان في امر الناس واستعمال اقربائه واهل بيته في الست الاواخر من سنوات خلافته واستئثاره بأموال المسلمين ادى الى انكار الناس عليه ومحاصرته من قبل اهل البصرة، مصر، الكوفة، ومعهم بعض من اهل المدينة، لنزع الخلافة عنه ثم تسوروا عليه وقتلوه في ثمانية عشر خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ/٦٥٥م . الزهري، محمد بن سعد بن منيع ، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٩٦م)،ج٣، ص٣٠-٤٠.

٥٤) معاوية بن ابي سفيان (...-٦٠هـ) صخر بن حرب بن امية ، معاوية وابوه من المؤلفة قلوبهم ، بايعه اهل الشام بالحكم في سنة ٣٩هـ ، وبويع في الكوفة سنة ٤١هـ وحكم مدة تسعة عشر سنة ، توفي بدمشق في رجب سنة ٦٠هـ ودفن بين باب الجابية وباب الصغير من دمشق. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك ، المصدر السابق، مج٢٠، ص٥-١٠.

٥٥) معيقب بن أبي فاطمة الدوسي من الازد وكان ممن أسلم قديماً بمكة وهاجر الى الحبشة وكان على خاتم رسول الله (ص) وكتب لعمر بن الخطاب. ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠)، ص٣١٦.

٥٦) الجهشياري، المصدر السابق، ص ١٢-١٣.

٥٧) سورة هود: أية ٤١.

٥٨) سورة الاسراء: اية ١١٠.

٥٩) سورة النمل: اية ٣٠.

٦٠) الجهشياري، المصدر السابق، ص ١٤.

٦١) المصدر نفسه، ص ١٥.

٦٢) أبو هريرة: اختلفوا في اسمة هناك من قال انه عبد الله بن عمرو، واخر قال انه عبد عمرو بن بن عبد غنم قبيلته دوس من اليمن كني بأبي هريرة لهرة صغيرة كان يلعب بها قدم المدينة سنة ٧هـ والنبي (ص) في خيبر توفي سنة ٥٩هـ وهناك من أشار الى وفاته سنة ٥٧هـ. ابن قتيبة، المصدر السابق، ص٢٧٧-٢٧٨.

٦٣) الجهشياري، المصدر السابق، ص ١٦-٢٠.

٦٤) عبد الملك بن مروان(٨٦-٢٦هـ) بن الحكم بن ابي العاص بن امية، تولى الحكم بعد وفاة ابيه سنة ٦٥هـ توفي في منتصف شوال سنة ست وثمانون للهجرة وله ستون سنة ، وكانت مدة ولايته احدى وعشرون سنة . الزهري، محمد بن سعد، المصدر السابق، ص١١٥-١٢٢.

٦٥) الجهشياري، المصدر السابق، ص ٢٢.

٦٦) ألقِ: ألاق الدواة ولاقها يلقيها أي جعل لها ليقة، وأصلح مدادها.

٦٧) شباة القلم: سنه.

٦٨) قرمط: القرمطة الدقة في الكتابة والتقريب بين الحروف.

٦٩) محمد بن عبدوس الجهشياري، المصدر السابق، ص٢٣.

٧٠) المصدر نفسه، ص٢٤-٢٦.

٧١) زياد بن ابيه (...-٥٣هـ) زياد بن عبيدة الثقفي ، ويقال بن ابي سفيان ، ولاه امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) فارس وبعد استشهاد امير المؤمنين امتنع زياد بقلاع فارس ممتنعاً عن معاوية فاستماله معاوية اليه بعد ان الحقه بابي سفيان وولاه البصرة وجمع له الكوفة الى وفاته. ابن الاثير، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٩.

٧٢) الجهشياري، المصدر السابق، ص٢٦-٢٧.

٧٣) يزيد بن معاوية (...-٦٤هـ) حكم بعد موت ابيه في رجب سنة ٦٠هـ وله ثلاث وثلاثون سنة ، افتتح حكمه بقتل الامام الحسين بن علي عليهما السلام سنة ٦١هـ واختتمها بواقعة الحرة فمقته الناس ولم يبارك في عمره ، هلك في نصف ربيع الاول سنة ٦٤هـ . الذهبي، ابي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز، سير اعلام النبلاء، (بيروت: بيت الافكار الدولية، ٢٠٠٤)، ج٣، ص٤٢٣٠.

٧٤) الجهشياري، المصدر السابق، ص٣١.

٧٥) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية (٢-٦٥هـ) كان والده طريد رسول الله (ص) كان حكمه عشرة أشهر ومات في الشام سنة ٦٥هـ . ابن قتيبة، المعارف، ص٣٥٤.

٧٦) الجهشياري، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣.

٧٧) المصدر نفسه، ص٣٤-٣٨.

٧٨) الحجاج بن يوسف الثقفي: ولد في الطائف، انتقل الى الشام ملتحقاً بالشرطة تحت امرة (روح بن زنباع) قلده عبد الملك بن مروان امر عسكره ولاه العراق سنة ٧٥هـ . الطبري، المصدر السابق، ج٥، ص٤٠-٤٥.

٧٩) الجهشياري، المصدر السابق، ص٣٩-٤٦.

٨٠) الوليد بن عبد الملك (٩٦-٥٢هـ) ولد بالمدينة، بويع بالحكم في دمشق يوم وفاة ابيه عبد الملك له اربع وثلاثين سنة ، استمر حكمه مدة تسع سنوات وسبعة اشهر، توفي في دمشق في النصف من جمادى الاخرة سنة ست وتسعين وهو ابن ثلاث واربعين سنة وسبعة اشهر . بن الكردبوس، عبد الملك التوزري، الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تحقيق: عبد القادر بوباية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، مج١، ص٢٨٤-٢٩٧.

٨١) الجهشياري، المصدر السابق، ص٤٧.

٨٢) سليمان بن عبد الملك (...-٩٩هـ) بويع بالحكم بعد وفاة اخيه الوليد في جمادى الاخرة سنة ست وتسعين، اهم احداث حكمه محاولته غزو القسطنطينية، توفي في شهر صفر وكان مدة حكمه سنتان وثمانية اشهر وعمره خمس واربعون سنة مات بدابق من ارض قنسرين. ابو الفدا، اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شهنشاه بن ايوب ، المختصر في اخبار البشر، علق عيه: محمود ديوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج١، ص٢٧٧-٢٧٨.

٨٣) الرملة: مدينة عظيمة في فلسطين كانت رباطاً للمسلمين بعد تولية الوليد بن عبد الملك اخاه سليمان جند فلسطين قام بتمصيرها وبنى فيها قصره ودراراً عرف بدار الصباغين واختط المسجد وبناه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار احياء التراث، د.ت)، مج٢، ص٤٢١.

٨٤) محمد بن عبدوس الجهشياري، المصدر السابق، ص٢٤٨-٥٠.

٨٥) عمر بن عبد العزيز بن مروان (١٠١-٦١هـ) بويع له بالحكم سنة تسع وتسعون فابطل سب علي بن ابي طالب (ع) ، استمر حكمه سنتان وخمسة اشهر، توفي لخمس بقين رجب بخناصرة ودفن في دير سمعان. بن الوردي عمر بن مظفر، تاريخ ابن الوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ج١، ١٧٢-١٧٣.

٨٦) الجهشياري، المصدر السابق، ص٥٣.

٨٧) المصدر نفسه، ص٥٦-٥٧.

٨٨) الطرز: الموضع الذي تصنع فيه الثياب

٨٩) هشام بن عبد الملك (...-١٢٦هـ) اسند اليه سدة الحكم بعد وفاة اخيه يزيد بن عبد الملك ست ومائة ، في عهده استشهد زيد بن علي (ع) الذي ثار عليه فوجه له عامله في الكوفة بن هبيرة فقضى على ثورة زيد، استمرت مدة حكمه عشرين سنة. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الامامة والسياسة، تحقيق: على شيري، (منشورات الشريف الرضي، د.ت)، ص١٤٢-١٤٣.

٩٠) الجهشياري، المصدر السابق، ص٥٩و٦٦-٦٧.

٩١) الوليد بن يزيد (١٢٦-٩٠هـ) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان تسلم الحكم بعد موت هشام بن عبد الملك كان ماجناً شارباً للخمر ومرمياً بالزندقة قتل في جمادى الاخرة سنة ١٢٦هـ ، حكم سنة وثلاثة اشهر. الاصفهاني، ابي الفرج، الاغاني، تحقيق: يوسف البقاعي وغريد الشيخ، (بيروت: منشورات الاعلمي، ٢٠٠٠)، ج٧، ص٥-٢٥.

٩٢) الجهشياري، المصدر السابق، ص٦٨.

٩٣) يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الناقص) بويع في أول رجب سنة ١٢٦هـ توفي لعشر بقين من ذي الحجة سنة ١٢٦هـ. بن عبد ربه الاندلسي، شهاب الدين أحمد، تقديم: خليل شرف الدين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، مج٤، ص٢٢٣.

٩٤) الجهشياري، المصدر السابق، ص٦٩.

٩٥) لقب ابراهيم بن الوليد بـ(المخلوع) لانه لم تستمر ولايته سوى شهراً وهناك من أشار الى شهرين ونصف. بن عبد ربه، المصدر السابق، مج٤، ص٢٢٥.

٩٦) الجهشياري، المصدر السابق، ص٧٠.

٩٧) مروان بن محمد (١٣٢-٧٢هـ) مروان بن محمد بن عبد الملك اخر حكام بني امية ويعرف بالحمار ، تولى الحكم في صفر سنة ١٢٧هـ ، عاش سبع وستون سنة قتل في ذي الحجة في قرية من قرى الفيوم بمصر حكم مدة خمس سنسن وتسعة اشهر. الحنبلي، المصدر السابق، ج١، ص١٧٢-١٨٤.

٩٨) المنصور (...-١٥٨هـ) ابو عبد الله ابو جعفر المنصور تولى الحكم بعد وفاة اخيه ابو العباس السفاح بويع بالحكم وهو في طريق مكة سنة ١٣٦هـ وكل الخلفاء العباسي الذين جاءوا من بعده من نسله ، امتازت مدة حكمه بالبطش مع الاهتمام بالجانب الفكري والعلمي توفي على مشارف الكوفة عند بئر ميمون وعمره (٦٣) سنة ومدة حكمه (٢٢) سنة. الخياط، محيي الدين، دروس التاريخ الاسلامي، (بيروت: المكتبة الاهلية، ١٣٢٩هـ)، القسم الرابع، ص٢١-٢٩.

٩٩) أبو العباس السفاح: (...-١٣٦هـ) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بويع بالخلافة في الثالث من ربيع الأول سنة ١٣٢هـ مات بالجدري في الانبار في ذي الحجة سنة ١٣٦هـ. الخياط، المصدر السابق، ص١٨؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤)، ج٢، ص٢١-٢٧.

١٠٠) أبو مسلم الخراساني: عبد الرحمن بن مسلم ولد بأصفهان ونشأ بالكوفة، اتصل بإبراهيم بن علي بن العباس فغير كناه وسماه أبا مسلم سمي برجل الدولة العباسية لدوره الكبير في الدعوة العباسية قتله المنصور في شعبان سنة ١٣٧هـ. الخياط، المصدر السابق، ص٢٥.

١٠١) الجهشياري، المصدر السابق، ص٨٩-٩٠.

١٠٢) المصدر نفسه، ص٩٦-١٣٣.

١٠٣) نصر بن سيار بن رافع من بني جندع بن ليث من كنانة ولاه هشام بن عبد الملك خراسان بقي فيها عشرين سنة مات في طريقه الى العراق في ناحية ساوة . ابن قتيبة، المعارف، ص٤١٠

١٠٤) بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء الضرير الشاعر قدم بغداد وكان يلقب بالمرعث وأصله من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة وكان أكمه ولد أعمى مدح المهدي بن المنصور واتهم بالزندقة فأمر بضربه فضرب سبعين سوطاً ، مات في البطيحة بالقرب من البصرةودفن فيها سنة ١٦٨هـ . ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)،مج١،ص٢٧١-٢٧٢.

١٠٥) الجهشياري، المصدر السابق، ص١٤١-١٦٦.

١٠٦) المأمون (١٧٠- ٢١٨هـ) بويع له بعد مقتل أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ وتوفي بالبدندون ودفن بطرطوس ومدة حكمه عشرين سنة . بن قتيبة، المعارف، ص٣٩١؛ بن عبد ربه، المصدر السابق، مج٥، ص٧٤-٧٥.

١٠٧) الجهشياري، المصدر السابق، ص١٦٧-١٧٤.

١٠٨) المصدر نفسه، ص١٧٩.

١٠٩) هرقلة: مدينة ببلاد الروم سميت نسبة الى هرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح (ع) غزاها الرشيد وافتتحها عنوة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج٤، ص٤٧٢.

١١٠) أورد ياقوت الحموي ان المقصود بالبلاذري هو (جابر بن داود) جد (أحمد بن يحيى) صاحب كتاب فتوح البلدان لانه توفي سنة ٢٧٩هـ وهو بذلك لم يكن موجوداً يومئذ . ياقوت الحموي الرومي، معجم الادباء، إرشاد الاريب الى معرفة الاديب، تحقيق: احسان قدوس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ج٢، ص٤٣١.

١١١) الجهشياري، المصدر السابق، ص٢٨١-٢٨٨.

١١٢) الجهشياري، المصدر السابق، ص٢٨٩-٣٠١.

١١٣) يبدو ان الفضل بن سهل كان متأثراً بنظام الوزارة لدى الساسانيين اذ خُصص للوزير في البلاط الساساني كرسي من ذهب وضع امام عرش الملك الساساني ومن تحته كرسي الموبذان موبذ. ارثر كرستنسن، المصدر السابق، ص٣٦٩؛ علي هادي حمزة الحيدري، الأحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (٢٢٤)٢٢٦-٦٥١م، رسالة ماجستير، (جامعة بابل: كلية التربية، ٢٠٠٦)، ص٧٨-٧٩.

١١٤) الجهشياري، المصدر السابق، ص٣٠٤-٣١٦.

١١٥) اعتمد الباحث في ايراد عدد الابيات الشعرية على إحصائية دقيقة التي اشتمل عليها الكتاب.

١١٦) للتفاصيل. ينظر الى صفحات كتاب الجهشياري: ص٢٨، ٤٦، ١٢٣، ١٤٦.

١١٧) للتفاصيل. ينظر الى صفحات كتاب الجهشياري، ص٤٠، ٥٣، ٥٤، ٥٩، ٩٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠١، ٢٩٧، ٢٩٨.

١١٨) الجهشياري، المصدر السابق، ص٧٣.

١١٩) المصدر نفسه، ص٧٣.

١٢٠) المصدر نفسه، ص١١١.

١٢١) المصدر نفسه، ص١٥٦.

١٢٢) المصدر نفسه، ص٢٠٨-٢٠٩.

١٢٣) المصدر نفسه، ص٣٠٤.

١٢٤) المصدر نفسه، ص٣٠٦.

١٢٥) محمد عبد نجم الدليمي، المصدر السابق، ص٣٣-٤٢.

١٢٦) للتفاصيل. ينظر الى صفحات كتاب الجهشياري: ص٤٣، ١٤٧، ٢٢٨-٢٢٩.

١٢٧) للتفاصيل. ينظر الى صفحات كتاب الجهشياري، ص٧٩-٨٢.

١٢٨) للتفاصيل. ينظر الى صفحات كتاب الجهشياري، ص٨٣، ١٠٩، ٢١٣، ٣٠١.

## ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

١.ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦)، ج٣، ج٧.

٢.الاصفهاني، ابي الفرج، الاغاني، تحقيق: يوسف البقاعي وغريد الشيخ، (بيروت: منشورات الاعلمي، ٢٠٠٠)، ج٧.

٣.ابن تغري بردي، جمال الدين ابي المحاسن يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢)، ج٣.

٤.الجهشياري، محمد بن عبدوس، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٩٣٨).

٥.الحنبلي، ابي الفلاح عبد الحي ابن عماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، (بيروت: دار احياء التراث، د.ت)، ج١، ج٢.

٦.ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت)، مج١.
٧.الخياط، محيي الدين، دروس التاريخ الاسلامي، (بيروت: المكتبة الاهلية، ١٣٢٩هـ)، القسم الرابع.
٨.الذهبي، ابي عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز، سير اعلام النبلاء، (بيروت: بيت الافكار الدولية، ٢٠٠٤)، ج٣.
٩.الزهري، محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٩٦م)، ج٣، ج٥.
١٠.الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار احياء التراث، ٢٠٠٠)، ج٣.
١١.بن عبد ربه الاندلسي، شهاب الدين أحمد، تقديم: خليل شرف الدين، (بيروت: دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، ١٩٩٩)، مج٤.
١٢.ابو الفدا، اسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شهنشاه بن ايوب، المختصر في اخبار البشر، علق عيه: محمود ديوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ج١.
١٣.ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (بيروت: مطبعة دار الكتب، ١٩٦٠).
١٤.____، عبد الله بن مسلم، الامامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، (منشورات الشريف الرضي، د.ت).
١٥.بن الكردبوس، عبد الملك التوزري، الاكتفاء في اخبار الخلفاء، تحقيق: عبد القادر بوباية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩)، مج١.
١٦.الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦).
١٧.بن النديم، محمد بن ابي يعقوب اسحاق الفهرست، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦).

١٨.بن الوردي عمر بن مظفر الشهير، تاريخ ابن الوردي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦)، ج١.
١٩.ياقوت الحموي، معجم البلدان، تقديم: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار احياء التراث، د.ت)، مج٢، مج٤.
٢٠.ياقوت الحموي الرومي، معجم الادباء، إرشاد الاريب الى معرفة الاديب، تحقيق: احسان قدوس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ج٢.
ثانياً: المراجع
١٩. آرثر كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى خشاب، (بيروت: دلر النهضة العربية، د.ت).
٢١.اسماعيل باشا محمد امين بن مير سليم الباباني، هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين من كشف الظنون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨)، مج٧.
٢٢.امينة البيطار، تاريخ العصر العباسي، ط٤، (دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٦).
٢٣.حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤)، ج٢.
٢٤.حسين عاصي، ابو الحسن المسعودي المؤرخ والجغرافي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣).
٢٥.خازن عبود، معجم شعراء العرب من الجاهلية الى نهاية القرن العشرين، (بيروت: رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ج١.
٢٦.خير الدين الزركلي، الاعلام، ط١٦، (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٥)، ج٦.
٢٧.عبد الرحمن حسين الغراوي، الطبري السيرة والتاريخ، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩).
٢٨.ابو الفتوح محمد القوانسي، ياقوت الحموي الجغرافي الرحالة الاديب، (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،١٩٧١م).
٢٩.كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣)، مج٣.

٣٠.مضر الحلو، اعلام الكوفة، (بيروت: دار المؤرخ العربي، د.ت).
٣١.المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، موسوعة اعلام العلماء والادباء العرب والمسلمين، (بيروت: دار الجيل، ٢٠٠٥)، ج٥.
٣٢.نجيب العفيفي، المستشرقون، ط٥، (القاهرة: دار العارف، ٢٠٠٦)، ج١، ج٢، ج٣.
٣٣.نصير عبد الحسين الكعبي، الدولة الساسانية دراسة في التاريخ السياسي في ضوء المصنفات العربية الاسلامية، (دمشق: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨).
ثالثاً: الرسائل والاطاريح
٣٤.رنا فتحي سعود القيسي، النظم الإدارية في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية التربية للبنات، ٢٠٠٢).
٣٥.عبد الحليم عبد علي المطيري، النظم الإدارية للدولة الساسانية في العراق ٢٢٤-٦٣٦م، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٧).
٣٦.علي هادي حمزة الحيدري، الأحوال الاجتماعية في الدولة الساسانية (٢٢٤)٢٢٦-٦٥١م، رسالة ماجستير، (جامعة بابل: كلية التربية، ٢٠٠٦).
٣٧.محمد عبد نجم الدليمي، الوزراء والكتاب للجهشياري دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية الآداب، ٢٠٠٥).
٣٨.مهدية فيصل صالح الموسوي، العلاقات الساسانية البيزنطية ٢٢٦-٦٢٨م، أطروحة دكتوراه، (جامعة بغداد: كلية التربية بن الرشد، ٢٠٠٦).

# ميثم التمار ... حواري أمير المؤمنين عليه السلام

م.م مها محمد أحمد
الجامعة المستنصرية

المبحث الأول

مبادئ العقيدة الراسخة لميثم التمار

يُعد ميثم التمار رضي الله عنه من خواص أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وصاحب أسراره (١) ، وكان لا يفارقه ليلاً ونهاراً حتى تغذى من إيمانه ونهل من علومه واستودع من أسراره بما لا يحمله إلا خواص المقربين (٢) ، وقد كان صاحب ولاء مطلق لأمير المؤمنين لعلمه بمنزلته العليا التي يتمحور حول إقرارها معدن الإيمان وأصل الهدى .

وقد أثبت ميثم التمار مدى تمسكه بولاية أمير المؤمنين عليه السلام من خلال الكثير من المبادئ السامية التي أكد فيها على ترسيخ العقيدة الصحيحة ، وأهم تلك المبادئ هي :

أولاً :- الرواية عن أهل البيت عليهم السلام :

لقد كان ميثم التمار رضي الله عنه عالماً بعلوم المنايا والبلايا وغيرها من العلوم التي تلقنها من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد كان دائماً يقوم برواية تلك العلوم للناس بهدف تعريف الناس بمنزلة أهل البيت وسعة علومهم ولترسيخ الحقائق في أذهان الناس ، ويُروى أنه قال ذات يوم لعبد الله بن عباس : (( يا بن عباس سلني ما شئت من تفسير القرآن فلقد تعلمت تنزيله من أمير المؤمنين وعلمني تأويله )) ، فكان ابن عباس يتعلم منه دروس التفسير وعلم التأويل (٣) .

كما يُروى أيضاً أنه أخبر جبلة المكية عن مقتل سيد الشهداء عليه السلام (٤) ، حيث قال لها : (( يا جبلة اعلمي أن الحسين بن علي سيد الشهداء يوم القيامة ولأصحابه على سائر الشهداء درجة . يا جبلة إذا نظرت إلى الشمس حمراء كأنها دم عبيط فاعلمي أن سيدك الحسين قد قُتل )) (٥) .

ويُروى أيضاً أنه أخبر حبيب بن مظاهر الأسدي على أنه سيخرج لنصرة ابن بنت نبيه الإمام الحسين بن علي عليه السلام فيُقتل ويُجال برأسه في الكوفة ، وبالفعل بعد مرور

الأيام ، هل شهر محرم الحرام لعام واحد وستين هجري واستشهد حبيب بن مظاهر وتم الطواف برأسه في شوارع الكوفة (٦) .

كما أنه كان يخبر أصحابه بما سيجري عليهم وما سيؤولون إليه في الأعوام التالية ، فقد قام بإخبار المختار الثقفي عندما كانا معاً في السجن ضمن حملة الاعتقالات الواسعة لأصحاب وشيعة امير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ، أنه سيخرج من السجن حيث قال له : (( ستخرج من السجن يا مختار وستتولى الثأر من قتلة الإمام الحسين وأنصاره وتطأ بقدميك على وجنتيه . بهذا أخبرني أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام )) ، وهذا ما حصل فعلاً عندما قام المختار بثورته ضد الجيش الأموي في الكوفة ، فقام إبراهيم بن مالك الأشتر بقتل عبيد الله بن زياد وإرسال رأسه إلى المختار الثقفي (٧) .

كما أنه قام بإخبار قادة الجيش الأموي بما سيقومون بفعله معه ، حيث يُروى أنه قال لعبيد الله بن زياد عندما أمر بصلبه وقطع يديه ورجليه ولسانه : (( والله لقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام بأنك ستقتلني وتصلبني وتقطع يدي ورجلي ولساني )) ، وعلى الرغم من أن عبيد الله بن زياد أراد تكذيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولم يقم بقطع لسان ميثم التمار رضي الله عنه في بداية الأمر ، ولكنه عندما سمع برواية ميثم التمار لفضائل ومناقب وعلوم الإمام علي عليه السلام وهو مصلوب على جذع النخلة قام بأمر أتباعه أن يقوموا بقطع لسان ميثم رضي الله عنه ، وبهذا تحقق كلامه المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (٨) .

ومما لا شك فيه أن تلك العلوم التي اكتسبها ميثم التمار رضي الله عنه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقام بحفظها وروايتها لم تكن بالأمر السهل ، وإنما كانت بحاجة إلى قلبٍ مؤمنٍ مخلصٍ ذو بصيرةٍ نافذة ليكون خير وعاء يُستودع فيه الأسرار العظيمة .

ثانياً :- رد الأحاديث الكاذبة :

كثر الأشخاص الذين يقومون بتلفيق الأحاديث المكذوبة عن رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وقد حذر الرسول الأكرم من ذلك

في حديثه قائلاً : (( أيها الناس كثرت عليَّ الكاذبة فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار )) (٩) ، وقد كان ميثم التمار رضي الله عنه من أهم الأصحاب المخلصين الذين تصدوا لحالات الفساد المتمثل بالأحاديث الكاذبة والكلمات المزيفة والوصايا المزورة التي افتعلها الكُتاب المأجورين لدى جلاوزة البلاط الأموي والتي تهدف إلى ستر جرائمهم العارية من الإنسانية بالغطاء الشرعي وبالتالي ضمان سيطرتهم على زمام الأمور وإسكات لسان الثورة الناطق بالحق والهدى ، ولعل أخطر تلك الأحاديث المكذوبة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو الحديث الموضوع عن يوم استشهاد الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ، حيث زعموا أنه اليوم الذي تاب فيه الله على النبي آدم وقبل فيه توبة النبي داوود وأخرج فيه النبي يونس من بطن الحوت وفلق البحر للنبي موسى وبني إسرائيل ، وكل ذلك كان بهدف صرف الناس عن مآساة كربلاء وما جرى من المصائب على أهل البيت الأطهار عليهم السلام في يوم عاشوراء ، كما شرعوا استحباب الصيام في ذلك اليوم على أنه يوم فرح وسرور وتُقضى فيه الحوائج مما يستوجب فيه فرح المسلمين ، وقد وضعوا الحديث الزائف عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بما نصه : ( صيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله ) (١٠) ، كما ورد عن جبلة المكية أنها قالت : (( سمعت ميثم التمار رضي الله عنه يقول : (( والله لتقتلن هذه الأمة ابن بنت نبيها قي المحرم لعشر يمضين منه وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإن ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره وسيزعمون بحديثٍ يضعونه أنه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام وإنما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجة ويزعمون أنه اليوم الذي قبل الله فيه توبة داوود وإنما قبل الله توبته في ذي الحجة ويزعمون أنه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت وإنما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة ويزعمون أنه

اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي وإنما استوت على الجودي في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ويزعمون أنه اليوم الذي فلق فيه الله البحر لبني إسرائيل وإنما كان ذلك في شهر ربيع الأول )) (١١).

هذا فضلاً عن ترويج الأكاذيب المضللة والشائعات المزورة فيما يخص ثورة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ، حيث نشروا الأباطيل الزائفة في عموم البلاد على أن الحسين بن علي وأصحابه مجموعة من الخوارج خرجوا على الخليفة طمعاً بالحكم والخلافة ، وقد قام ميثم التمار بالتصدي لتلك الأباطيل وقام ببيان حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام الهادفة إلى الإصلاح وإحياء الدين المحمدي الذي لم يبقى منه إلا اسمه ، كما أكد على أن الحسين عليه السلام هو سيد الشهداء الذي نال الشهادة دفاعاً عن الدين الإسلامي الأصيل ، وهذا ما يؤكده حديثه مع جبلة المكية حيث قال لها : (( يا جبلة اعلمي أن الحسين بن علي سيد الشهداء يوم القيامة )) (١٢) ، وكان دفاع ميثم التمار رضي الله عنه العلني عن الإمام الحسين عليه السلام أحد الأسباب الأساسية لسجنه من قبل عبيد الله بن زياد ، فضلاً عن تمسكه بولاية أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ورفض البراءة منه ، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على مدى إخلاص ميثم رضي الله عنه لمذهب أهل البيت الأطهار عليهم السلام وتمسكه بهم .

ثالثاً :- التمسك بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

مما لا شك فيه أن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة الأطهار من ولده والتبري من أعدائهم هي من أهم أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة (١٣) ، هذا فضلاً عن كونها المصداق الحقيقي للإيمان الخالص ، وقد أكد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في جملة من الأحاديث الشريفة أهمها قوله : (( النظر إلى علي بن أبي طالب عبادة وذكره عبادة ولا يقبل الله إيمان عبد من عباده كلهم إلا بولايته والبراءة من أعدائه )) (١٤) ، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (( يا علي أنت الحجة من بعدي على الخلق أجمعين استوجب الجنة من تولاك واستحق النار من عاداك )) (١٥) ، ولقد ضرب ميثم التمار رضي الله عنه أروع الأمثلة في التمسك بولاية

أمير المؤمنين عليه السلام والدفاع دون أن يعبأ أو يكترث بما سيجري عليه من المصائب ، حيث قام عبيد الله بن زياد بتهديد ميثم رضي الله عنه بأنه سيقوم بقطع يديه وقدميه وصلبه إن لم يقم بالتبري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونسب المساوئ إليه (١٦) ، فلم يهتم له ميثم رضي الله عنه وبقي متسمسكاً بالعروة الوثقى دون أي مساومة بالمبادئ الإسلامية الحقة ، مما أدى إلى غضب عبيد الله بن زياد وقيامه بأمر أتباعه بقطع يدي وقدمي ميثم التمار رضي الله عنه ومن ثم صلبه على جذع النخلة وهذا ما يدل على مدى الإيمان العميق المتأصل في فؤاد ميثم التمار رضي الله عنه (١٧).

رابعاً :- الجهر بفضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

يُعد ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والجهر بفضائله من أهم إمارات الإيمان الخالص ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أكد أن هذا العمل بمثابة العبادة الحقة حيث رُوي عنه صلوات الله وسلامه عليه : (( ذكر علي عبادة )) (١٨) ، كما ورد عنه أيضاً : (( إن الله جل جلاله جعل لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا تُحصى كثرة فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر )) (١٩) . وقد كان ميثم التمار رضي الله عنه خير مصداق لذكر فضائل أمير المؤمنين والجهر بها ، هذا فضلاً عن نشر علومه وأحاديثه الشريفة ، ولم يترك هذا الأمر حتى استشهاده رضوان الله عليه ، حيث يُروى أنه حين كان مصلوباً من قبل أتباع عبيد الله بن زياد بدأ ينادي الناس بأعلى صوته وهو يقول لهم : (( أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب عليه السلام فليأتي إلي )) (٢٠) ، كما كان يقول لهم : (( سلوني سلوني قبل أن أقتل فو الله لأحدثنكم بعلم ما يكون إلى أن تقوم الساعة وما يكون من الفتن )) فاجتمع الناس حوله وأقبل يحدثهم بما كان يعلمه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فوصل الخبر غلى عبيد الله بن زياد فأرسل حراسه ليقوموا بقطع لسان ميثم رضي الله عنه (٢١) . وهذا إن دل على شيء فهو يدل بكل جلاء على مدى شجاعة ميثم التمار رضي الله عنه وصلابته في مقاومة الزمرة الظالمة وفضح النواصب من خلال الجهر بفضائل أمير المؤمنين .

خامساً :- ترك مبدأ التقية :

التقية هي أحد المبادئ الإسلامية المهمة التي يتم اتباعها لحفظ الأنفس والأعراض من أضرار الآخرين حيث ترتكز على موافقتهم بالقول أو الفعل وإظهار غير ما يعتقد ، مع اطمئنانه الكامل بالإيمان (٢٢) ، ومما لا شك فيه أن مبدأ التقية كان جائزاً لميثم التمار للحفاظ على حياته ، إلا أنه فضل ترك هذا المبدأ من أجل إتمام الحجة على أعداء أهل البيت الأطهار عليهم السلام وبيان أفضلية أهل البيت عليهم وعلى سائر الامة ، وكان ذلك بهدف ترسيخ قواعد الامة الإسلامية الحقة ، فقد كان مُسلماً لقضاء الله راضياً بقضائه عالماً بالأساس كيف ستكون نهايته وأنه سيُقتل مصلوباً (٢٣) ، ويُروى أن هناك رجل مر على ميثم رضي الله عنه حين كان مصلوباً وقال له : يا ميثم لقد كنت عن هذا غنياً . وكان يقصد بذلك لو أن ميثم رضي الله عنه عمل بالتقية لما تعرض لألوان العذاب فأجابه ميثم رضي الله عنه بكل ثقةٍ ويقين : (( والله ما نبتت هذه النخلة إلا لي ولا اغتذيت إلا لها )) . وبالتالي كان هو أعرف بوظيفته في تلك الحال وكان خير مصداق لقول الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام : (( إنما جُعلت التقية ليُحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فليس تقية )) (٢٤) .

وبذلك نلاحظ أن ميثم رضي الله عنه قد فضل منذ بداية الأمر ترك مبدأ التقية واختار إعلان أصول العقيدة الراسخة المتعلقة بتوحيد الله تبارك وتعالى وطاعة نبيه الكريم وأولي الأمر من بعده دون أي مجاملة أو مداهنة للظالمين على حساب الدين الإسلامي الحق .

المبحث الثاني

مقامات ميثم التمار في فكر المعصومين عليهم السلام

يمتلك ميثم التمار رضي الله عنه منزلة عالية جداً لدى أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وهذا ما تثبته الروايات الشريفة الواردة عنهم ، إذ أن تلك الروايات تبين المقامات الرفيعة لميثم رضوان الله عليه والتي لم يصل إليها الكثير من أصحاب أهل البيت .، ويمكن بيان أهم تلك المقامات كما يأتي :

أولاً :- مقام حواري أمير المؤمنين :

لقد كان ميثم التمار رضي الله عنه حواري أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذ أن الإمام كان دائماُ يحادثه ويودعه أسراره ويرويه من مناهل العلوم والمعارف الإلهية العظيمة ، وقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : (( إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ : أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه ؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر . ثم ينادي : أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله ؟ فيقوم عمر بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار وأويس القرني )) (٢٥) .

ولا شك أن هذا المقام يتسم بالعظمة بحيث لا يناله إلا المقربون من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والذين يتصفون بالإخلاص الكامل الذي يؤهلهم لتلك المكانة العظيمة.

ثانياً :- مقام الإيمان الخالص :

لقد بلغ ميثم التمار رضي الله عنه درجة رفيعة من الإيمان الخالص النفيس والذي يُعد أندر من الكبريت الأحمر ، حيث يُروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان خارجاً من مسجد الكوفة فذهب وجلس عند ميثم التمار رضي الله عنه وقال له : (( ألا أبشرك يا ميثم )) ؟ فقال ميثم : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ فأجابه الإمام قائلاً : (( بأنك تموت مصلوباً )) ، فسأله ميثم : يا مولاي وأنا على فطرة الإسلام ؟ فقال الإمام : (( نعم )) ، ففرح ميثم التمار كثيراً وشكر الله تبارك وتعالى على ذلك .

ومما لا شك فيه أن كلام المعصوم هو معصوم الكلام ، فحديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع ميثم واعتباره لشهادة ميثم وهو مصلوب بمثابة بشارة له دليل واضح على مدى الإيمان العميق لميثم والذي يجعله ويستبشر ويشكر الله تبارك وتعالى على ما سيرزقه من نعمة الشهادة في سبيل الله تعالى ، والذي يجعله أيضاً يفرح بالبلاء المُبتلى به ويعده نعمة عظيمة (٢٦) ، وهذا ما يُعد مصداق الإيمان الحقيقي الذي يصفه أهل البيت الأطهار عليهم السلام ، حيث يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم : (( لا تكون مؤمناً حتى تعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة )) (٢٧) ، كما

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (( لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمة والرخاء مصيبة )) (٢٨) .

ثالثاً :- مقام درجة عليين :

لقد بلغ إيمان ميثم التمار رضي الله عنه أرقى الدرجات وأعلى المراتب لما أبداه من التمسك بأصول الدين الإسلامي والدفاع عن الولاية الحقة لأهل البيت الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين ما أهله للفوز بمقام درجة عليين معهم ، حيث ورد في حوار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع ميثم رضوان الله عليه ما يؤكد ذلك المعنى (٢٩) ، حيث يُروى إن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دعا ميثماً وقال له : (( يا ميثم كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني ؟ )) ، فأجابه ميثم بكل يقين قائلاً : إذاً والله أصبر وذلك في الله قليل . فقال الإمام علي عليه السلام : (( يا ميثم إذاً تكون معي في درجتي )) (٣٠).

ومما لا شك فيه أن مقام درجة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فوق الوصف ، ولا يمكن لأي عقلٍ بشري تكوين صورة ذهنية عن ذلك المقام الرفيع والذي بلغه ميثم التمار رضي الله عنه بشهادة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

ومن الجدير بالذكر أن مقام درجة عليين الذي وصل إليه ميثم التمار رضي الله عنه قد ناله نتيجة لاقتدائه التام بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في دفاعه عن أصول الدين الإسلامي والصبر وعدم مداهنة الظالمين وفضح جرائمهم المشينة ، هذا فضلاً عن التمسك بولاية أهل البيت الأطهار عليهم السلام ونشر فضائلهم وعلومهم الحقة .

رابعاً :- مقام الذكر في أحاديث أهل البيت الأطهار عليهم السلام :

لقد حظي ميثم التمار رضي الله عنه بمرتبة عالية لدى أهل البيت الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فقد كانوا جميعاً يُجلونه ويوصون به خيراً ، حيث يُروى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد قام بتحديث أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن ميثم التمار رضوان الله عليه وهو يوصيه به ، وقد ورد في

حديث أم سلمة مع ميثم رضي الله عنه ما يؤكد ذلك حيث رُوي أنه قالت له : (( والله سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بك علياً في جوف الليل )) .

كما يُروى أن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام كا يذكره باستمرار ، ويؤكد ذلك حديث أم سلمة مع ميثم رضي الله عنه بشأن ذلك حيث ورد عنها أنها قالت له : (( كثيراً ما رأيت الحسين بن علي وفاطمة صلوات الله عليهم يذكرك )) (٣١) .

وكذلك يُروى ان الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان يذكره دائماً إجلالاً لشأنه وترحماً عليه (٣٢) .

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على مدى سمو مكانة ميثم التمار رضي الله عنه لدى أهل البيت الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومدى محبتهم له ورضاهم عنه ، وذلك خير برهان على مدى الإيمان العميق واليقين المطلق الذي كان يمتلكه ميثم رضوان الله عليه والذي أهله لاهتمام أهل البيت الأطهار عليهم السلام وتخصيص الأحاديث الشريفة بشأنه .

خامساً :- مقام حبيب الأئمة الأطهار عليهم السلام :

لقد كان أئمة أهل البيت الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يشيدون بميثم التمار رضي الله عنه ويؤكدون على مدى حبهم الشديد له ، حيث رُوي أن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حين كان يرى صالح بن ميثم التمار رضوان الله عليهما كان يقول له : (( إني أحبك وأحب أباك حباً شديداُ )) (٣٣) .

ومما لا شك فيه أن كلام أحد المعصومين عليهم السلام ينطبق على الباقين منهم ، وبالتالي فإن جميع الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم يحبون ميثم رضي الله عنه كما كان الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام يحبه ، وهذا يدل على رفعة مقام ميثم التمار لدى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن الجدير بالذكر أن بلوغ ميثم التمار رضي الله عنه لتلك المقامات الرفيعة كان لما يمتلكه من الإيمان والتقوى وخشية الله تبارك وتعالى ، ولا سيما أن ذلك كان ناشئاً مما يمتلكه من العلوم والمعارف الإلهية الحقة فكان خير مصداق للآية المباركة : (( إنما يخشى الله من عباده العلماء )) (٣٤) ، هذا فضلاً عن ملازمته لأمير المؤمنين الإمام علي بن

أبي طالب عليه السلام وتمسكه بولايته واحتماله لتلك العلوم الضخمة والتي يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في شأنها : (( إن حديث أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان )) (٣٥) ، فكان ميثم التمار رضي الله عنه وفقاً لهذا الحديث من أخلص العباد المؤمنين الذين حملوا علوم أهل البيت عليهم السلام ودافعوا عنها بالغالي والنفيس وأثبتوا مدى إخلاصهم وتمسكهم بالدين الحنيف دون أي زيف أو ادعاء ، فكان مثال التدين الحقيقي الخالص الذي لا تدنسه شوائب الحرص على الدنيا ولا تمازجه المصالح الشخصية الزائلة ، فرضوان الله تعالى عليه في كل حين.

ملخص البحث

يُعد ميثم التمار من أسمى الشخصيات البارزة التي خاضت الصراع المرير ضد الحكومة الجائرة والخلافة الفاسدة ، وذلك في خضم الدفاع عن الأمور العقدية الإلهية ، التي عملت تلك الحكومات الظالمة بكل ما أوتيت من قوة على استئصالها وطمس معالمها وتصفية أفرادها ، بهدف العودة بالإمة إلى الجاهلية التي تسودها العصبية القبلية والأهواء والنزوات الشخصية .

وسيتم التركيز في هذا البحث على بيان أهم المعالم الجوهرية لتلك الشخصية الخالدة من خلال الارتكاز على مبحثين أساسيين ، حيث سيتناول المبحث الأول: (( مبادئ العقيدة الراسخة لميثم التمار )) ، في حين أن المبحث الثاني سيتناول : (( مقامات ميثم التمار في فكر المعصومين عليهم السلام )) .

الهوامش:

---

١) ميثم التمار ، الشؤون الفكرية والثقافية للروضة الكاظمية : ص٥ .

٢ ) أصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه ، محمد هادي الأميني : ص١٢ .

٣ ) ميثم التمار ، كمال السيد : ص١٠ .

٤ ) ميثم التمار شهيد الحق والولاء ، محمد حسين المظفر : ص٥٢ .

٥ ) في محراب كربلاء حوادث الكوفة ، حسين كوراني : ص٤١٣.

٦ ) تاريخ الكوفة ، حسين أحمد النجفي : ص٣٠٥

[٧] ) ميثم التمار شهيد الحق والولاء ، محمد حسين المظفر : ص٣٠
[٨] ) ميثم التمار ، كمال السيد : ص١٠
[٩] ) الاحتجاج ، أحمد علي الطبرسي : ص٢٣٥
[١٠] ) ميثم التمار ، الشؤون الفكرية والثقافية للروضة الكاظمية : ص١٣
[١١] ) ميثم التمار ، الشؤون الفكرية والثقافية للروضة الكاظمية : ص١٥
[١٢] ) في محراب كربلاء حوادث الكوفة ، حسين كوراني : ص٤١٣
[١٣] ) عقائدنا ، طارق محمد علي : ص٨٢
[١٤] ) المناقب ، الموفق أحمد الخوارزمي : ص٣٢
[١٥] ) كنز الفوائد ، محمد علي الكراجكي : ص١٢
[١٦] ) الإمام علي منتهى الكمال البشري ، عباس علي الموسوي : ص١٣٦
[١٧] ) رجال حول علي بن أبي طالب ، سعيد رشيد زميزم : ص٣٥٧
[١٨] ) آمالي الصدوق ، الصدوق : ص٢٠١
[١٩] ) ينابيع المودة ، سليمان إبراهيم القندوزي : ص١٤٤
[٢٠] ) ميثم التمار ، كمال السيد : ص١٩
[٢١] ) ميثم التمار ، الشؤون الفكرية والثقافية للروضة الكاظمية المقدسة : ص٣٠
[٢٢] ) التقية في فقه أهل البيت ، محمد علي المعلم : ص٦١
[٢٣] ) ميثم التمار ، الشؤون الفكرية والثقافية للروضة الكاظمية : ص١٥
[٢٤] ) الكافي ، محمد يعقوب الكليني : ص٢٢٠
[٢٥] ) الاختصاص ، الشيخ المفيد : ص٦١
[٢٦] ) الكافي ، محمد يعقوب الكليني : ص٢٥٣
[٢٧] ) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري : ص٥٤
[٢٨] ) تحف العقول ، الحسن علي الحراني : ص٨٧
[٢٩] ) رجال الكشي ، محمد الحسن الطوسي : ص٨٢
[٣٠] ) ميثم التمار ، كمال السيد : ص١٦
[٣١] ) في محراب كربلاء حوادث الكوفة ، حسين كوراني : ص٤٠٣
[٣٢] ) ميثم التمار شهيد الحق والولاء ، محمد حسين المظفر : ص٢٣
[٣٣] ) ميثم التمار ، الشؤون الفكرية والثقافية للروضة الكاظمية : ص١٨
[٣٤] ) سورة فاطر ، الآية : ٢٨
[٣٥] ) بحار الأنوار ، المجلسي : ص٣٨٣

المراجع والمصادر

أولاً :- المراجع :


- القرآن الكريم .

ثانياً :- المصادر :

- ميثم التمار ، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في الروضة الكاظمية المقدسة ، ١٤٣٢هـ ، الأمانة العامة للروضة الكاظمية المقدسة .
- أصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه ، محمد هادي الأميني ، ١٩٩٢م ، دار الكتاب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- ميثم التمار ، كمال السيد ، ٢٠٠٠م ، مؤسسة أنصاريان للنشر والتوزيع ، قم المقدسة ، إيران .
- ميثم التمار شهيد الحق والولاء ، محمد حسين المظفر ، ١٩٦٥م ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، العراق .
- في محراب كربلاء حوادث الكوفة ، حسين كوراني ، ٢٠٠٧م ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- تاريخ الكوفة ، حسين أحمد النجفي ، ١٩٨٧م ، دار الأضواء للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- الاحتجاج ، أحمد علي الطبرسي ، ١٣٨٠هـ ، منشورات الشريف الرضي ، طهران ، إيران .
- عقائدنا ، طارق محمد علي ، ٢٠٠٩م ، دار البذرة للنشر ، النجف الأشرف ، العراق .
- المناقب ، الموفق أحمد الخوارزمي ، ١٤١١هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، إيران .
- كنز الفوائد ، محمد علي الكراجكي ، ١٩٨٥م ، دار الأضواء للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

الإمام علي منتهى الكمال البشري ، عباس علي الموسوي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

رجال حول علي بن أبي طالب ، سعيد رشيد زميزم ، ٢٠٠٧م ، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

أمالي الصدوق ، محمد بن علي الصدوق ، ٢٠٠٩م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

ينابيع المودة ، سليمان إبراهيم القندوزي ، ١٩٩٧م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

التقية في فقه أهل البيت ، محمد علي المعلم ، ١٤١٨هـ ، مطبعة بهمن ، طهران ، إيران .

الكافي ، محمد يعقوب الكليني ، ١٤٠٧ هـ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، إيران

الاختصاص ، الشيخ المفيد محمد البغدادي العكبري ، ١٩٩٣م ، دار ردمك للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .

ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ١٤١٢هـ ، مؤسسة دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، قم المقدسة ، إيران .

تحف العقول عن آل الرسول ، الحسن علي الحراني ، ٢٠٠٢م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان .

رجال الكشي ، محمد الحسن الطوسي ، ١٤٢٧هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، إيران .

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، محمد باقر المجلسي ، ١٤٢٠هـ ، مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية ، قم المقدسة ، إيران .

# الكوفة من زاوية نظر الرحالة والمستشرقين

دينا فؤاد جواد
باحثة ومبلغة دينية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين رافع المؤمنين وواضع الكافرين الذي أنعم ومن علينا بالهداية إلى طريق الحق وأفضل الصلاة وأحسن التسليم على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الغر الميامين.

أما بعد...

عندما بدأت بحثي في ٢٣/١/٢٠١٨ وأنا في جوار أمير المؤمنين أستلهم من فيض اجوائه الربانية أنفاسها استنشقها في طيب لها عقلي وأنير بها طريقي لأبدأ بها بحثي،فمن هذه الألطاف العلوية استلهمت عنونا لبحثي وهو الكوفة من زاوية نظر الرحالة والمستشرقين.

وقد ابتدأت البحث بتعريف الكوفة والرحالة والإستشراق في اللغة والإصطلاح باعتبار أنها العنوان والموضوع الرئيسي لبحثي.

ثم تطرقت بعد ذلك إلى ذكر نبذة عن الإستشراق وتاريخه والتعريف بأسماء وألقاب وجنسيات الرحالة والمستشرقين الذين سيكون محور بحثي عما قالوه حول مدينة الكوفة من زاوية نظرهم ملاحظة في ذلك التسلسل الزمني لزيارتهم للكوفة او كلامهم عنها.

وبعد ذلك بدات بطرح كل ماتناولوه هؤلاء الرحالة والمستشرقين بصورة مقتضبة،فبدأت أولا بذكر وقت تأسيس الكوفة وأسمائها والسبب في تسميتها بالكوفة وموقعها ووصفها بحسب هؤلاء وأهم معالمها والذي يتمثل بمسجد الكوفة والمرتبط بقتل امير المؤمنين (عليه السلام) واتخاذها عاصمة للخلافة.

هدف البحث

ان هدف البحث ايجاد رؤية مميزة من قبل الرحالة والمستشرقين لمدينة الكوفة واثبات عراقتها واصالتها في جذور التاريخ الاسلامي والتعريف بمعالمها التاريخية

صعوبات البحث

١-قلة المصادر التي تتكلم عن مدينة الكوفة.

٢-قيام بعض المستشرقين بنقل معلومات زائفة عن هذه المدينة وبالتالي استثناءها من البحث مما يقلل من عدد المستشرقين المذكورين في البحث.

٣-المساحة المسموح بها لكتابة هذا البحث لا تتناسب مع هكذا موضوع مما دعاني الى اقتضاب المادة الى ادنى حد.

الكوفة لغة:(الرملة الحمراء المستديرة. والكوفة اسم مدينة من مدن العراق)"١"،والكوفة (كوف: كوف الأديم : قطعة عن اللحياني ، ككيفه ، وكوف الشيء نحاه، وكوفه: جمعه. والتكوف: التجمع. والكوفة: الرملة المجتمعة)."٢"

الرحالة لغة:(رحالة: مؤنث رحال .كثير الترحال في البلاد، والهاء للمبالغة:-سجل الرحالة ما رآه وشاهده)."٣"

والرحالة اصطلاحا: هي الرحلات البرية والبحرية التي قام بها الراحلة المسلمون، وقد تنوعت بتنوع اغراضها، ومن تلك الأغراض: التجارة أو طلب العلم او الحج، ومن أهم دواعيها الكشف وحب إستطلاع المجهول)."٤"

الاستشراق لغة:(مصدر من الفعل السداسي؛ استشراق اصله:(ش ر ق)،والالف والسين والتاء اذا سبقت الفعل الثلاثي افادت الطلب، وعلى هذا فاستشرق :اي طلب الشرق)."٥"

والاستشراق (مصدر الفعل استشرق أي اتجه الى الشرق وتزيا بزي أهله في لغته)"٦"

الاستشراق إصطلاحا :(دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب بوجه خاص-للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخا، ونظما، وثروات، وإمكانات)."٧"

نبذة عن الاستشراق

لقد بدأ تاريخ الاستشراق بعد أن فشل الأوروبيون في حروبهم التي شنوها على دول العالم الإسلامي بتحريض من رهبانهم، (فالمعروف أن أول من قام بعملية الاستشراق كانوا رهبانا خاضعين لسلطة الكنيسة الكاثوليكية في الغرب)"٨"،وكان الهدف من هذه

العملية الطعن في كل ما يتعلق بالإسلام وذلك (لرغبة البابا في بسط نفوذه على الكنائس الشرقية)"[٩] ،وأيضا رغبة الحكام انذاك في السيطرة على ثروات الشرق الهائلة.

مصطلح الاستشراق يرجع إلى العصور القديمة (إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه)."[١٠]

و(الاستشراق بالطبع نظام دراسي بناه علماء ينتمون إلى جنسيات مختلفة) "[١١] ،والمستشرقون وان كانوا ينتمون إلى جنسيات وديانات مختلفة، ولكن عملهم في مجال واحد وهو(ميادين الدراسات الشرقية من علوم وآداب خاصة بالعالم العربي والإسلامي والصين والفرس والهند)."[١٢]

وقد قام بعض المستشرقين بإقامة الحواجز بين بلادهم والبلاد الإسلامية من خلال وصف أن الدين الإسلامي يشكل خطرا عليهم من خلال تشويه صورته أمام بلدانهم، في حين قام البعض الآخر بالتقريب بين بلدانهم وبلدان المسلمين من خلال(وصف طبيعة الأشياء التي يشترك بها البشر، والمجتمعات، والثقافات، وأقاموا اتصالا وتعلموا من بعضهم البعض)."[١٣]

أسماء وجنسيات الرحالة والمستشرقين الذين ذكروا مدينة الكوفة في كتاباتهم

١-الرحالة الصيني دو هوان

وهو رحالة صيني (أسر في الشرق خلال معركة نهر طلاس سنة ٧٥١م وكان هذا الرحالة ابن شقيق دويو العالم الصيني المشهور في أسرة هوان)."[١٤]

ولقد حمل دو هوان إلى مدينة الكوفة عاصمة الخلافة العباسية ، وقد احاطه حاكم المدينة بالرعاية الكاملة، وتنقل في البلاد اثنا عشر عاما، ثم خرج منها إلى مدينة كانتون بواسطة سفينة تجارية عن طريق خليج البصرة في عام ٧٦٢م،وقد سجل دو هوان كل تحركاته وتنقلاته في هذه الرحلة في كتاب أسماه سجلات الترحال.

٢-الرحالة الأوربي اليهودي الرابي بنيامين التطيلي

وهو أول من وصل إلى الصين من الرحالة والمستشرقين مارا بالشرق الأوسط،(بدأ بنيامين رحلته في حدود سنة ١١٦٥م الموافقة لسنة ٥٦١هـ،وكان يهدف في الأساس إلى زيارة العالم الإسلامي زيارة تعرف ومعرفة، باعتبار أن العالم الإسلامي هو الملجأ

والملاذ ليهود سائر اوروبا في العصور الوسطى الذين كان الأوروبيون يعاملونهم معاملة دونها بكثير معاملة الانعام)."[١٥]

زار في أثناء رحلته أوروبا والشرق الأوسط واسيا الوسطى وافريقيا الشمالية فوضع كتابا عن هذه الرحلة الذي يصف العالم وصفا دقيقا في القرن الثاني عشر الميلادي، وقد أسماه رحلة الرابي بنيامين التطيلي.

٣-الرحالة العربي الاندلسي ابن جبير (٥٨٢هـ-١١٤٥م) (٦١٥هـ-١٢١٧م)

وهو محمد بن أحمد بن جبير الكناني البلنسي الشاطبي(وهو اديب ناثر وناظم ولد ببلنسة سنة ٥٤٠هـ ، رحل إلى الشرق لأداء فريضة الحج ،ثم رحل ثانية إلى المشرق وعاد الى المغرب، ورحل ثالثة وجاور مكة والقدس وتوفي بالاسكندرية سنة ٦١٤هـ)،"[١٦]،له العديد من الاثار ومنها رحلة ابن جبير.

٤-سلطان تابنده شاه

(وهو السلطان حسين تابنده الملقب فضل الله الكنابادي المولود في بيدخل ١٢٣٢ وهو ابن محمد حسن)"[١٧]

٥-الراحلة العربي ابن بطوطة (٧٠٣هـ-١٣٠٤م)- (٧٩٩هـ-١٣٧٧م)

هو محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، وهو شاعر ولد بطنجة في المغرب الأقصى، وخرج منها في سنة ٧٢٥ه وبدأ أسفاره نحو المشرق (فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وجاوة وبلاد التتر واواسط افريقيا)."[١٨]

كانت له علاقة واتصال مع كثير من الملوك والأمراء الذين كان يمدحهم في اشعاره، ويحصل على أموال وهبات مقابل تلك الأشعار يستعين بها على اسفاره إلى المشرق. توفي في مراكش. وله العديد من الآثار التي ترجمت إلى عدة لغات.

٦-جان أوتر

وهو رحالة سويدي صاحب كتاب العراق والخليج العربي في رحلة جان أوتر، حيث تمثل هذه الرحلة السجل المعاصر الوحيد للمؤرخين والباحثين عن احداث العراق والخليج العربي وايران في الفترة ما بين ١٧٤٣-١٧٣٦

٧-الرحالة الألماني نيبور

كارستن نيبور وهو رحالة ألماني مختص بعلوم الفلك والجغرافية واللغات الشرقية (اوفده ملك الدنمارك فريدرك الخامس عام ١١٧٥هـ - ١٧٤٤م على رأس بعثة الى الشرق الاوسط وبالاخص شبه الجزيرة العربية لدراسة احوال المنطقة جغرافيا وسياسيا واجتماعيا واثريا صدر له كتاب بعنوان وصف بلاد العرب الذي نشره بعد عشر سنوات من انتهاء رحلته سنة ١١٨٦هـ -١٧٧٢م)"[١٩]"، زار العراق في القرن الثامن عشر وكتب كتابا عن هذه الرحلة.

٨ -المستشرق اوليفييه (١٧٩٤-١٧٩٦)

وهو(رحاله فرنسي تجول في عدد من أقاليم الدولة العثمانية، بما فيها مصر فضلا عن زيارته فارس وقد قام برحلاته في السنوات الست الأولى من الثورة الفرنسية، أي من ١٧٩٣ حتى سنة

١٧٩٧)."[٢٠]" وكان سبب الرحلة؛ تكليف المجلس التنفيذي المؤقت انذاك للثورة الفرنسية اوليفييه يقوم برحلة إلى بلاد الدولة العثمانية والفارسية؛ وذلك لأجل اكتساب الخبرات من العلوم والمعارف والعلاقات والتجارة الى غير ذلك؛ لحداثة الدولة الفرنسية وانتقال الحكم من الملكية إلى الجمهورية.

زار اوليفييه اثناء رحلته العراق مرتين الأولى عند عودنه من تركيا وسوريا، والثانية عند رجوعه من إيران عائدا إلى فرنسا، فكتب عنه في كتاباته.

٩-المنشي البغدادي

وهو إيراني الأصل(سمى نفسه السيد محمد بن أحمد الحسيني المنشئ البغدادي، من موظفي المقيمية البريطانية ببغداد، بقي فيها إلى سنة ١٢٣٥ه-١٨٢٠م،وعرف بالسيد محمد اغا الفارسي، إلا أنه دعا نفسه في اول رحلته بما ذكرت)."[٢١]"

لقد كان المنشي في أثناء رحلته يدون كل ما يراه، ولا يعتمد على ما يسمعه، ودوّن كل ما شاهده في رحلته في كتاب اسماه رحلة المنشي البغدادي الى العراق، وكان هذا الكتاب بحق جامع للعديد من المطالب.

١٠- الرحالة الانكليزي لوفتس (١٢٣٦هـ -١٨٢٠ م) – (١٢٧٥هـ - ١٨٥٨م)

وليم بن كنت لوفتس وهو(من علماء الأثار الشرقية وقد أشرف على إحدى بعثتها وكتب عنها سياحة تنقيب في كلده والسوس من ١٨٤٩ الى ١٨٥٢)"[٢٢]"،أتى مع بعثة بريطانية في عام ١٨٤٩م الى الحدود العراقية الايرانية ،وأخذ يتجول معها لرؤية المعالم الأثرية في النجف والكوفة عن كثب.

١١- الرحالة الامريكي جون بيترز

وهو رحالة امريكي (ولد في نيويورك ستي سنة ١٢٦٨ه-١٨٥٢م وتوفي فيها سنة ١٣٣٩هـ-١٩٢١م)"[٢٣]"،تخصص بدراسة علم الآثار في جامعة بنسلفانيا، وتولى التنقيب في مدينة نفر الواقعة في وسط العراق قرب الحلة،زار الكوفة في عام ١٨٩٠م لدراسة أثارها.

١٢- المستشرق لويس ماسنيون (١٨٨٣-١٩٦٢) :

وهو المستشرق الفرنسي المسيو لويس فرديناند ماسنيون ، وهو بروفسور متخصص في دراسة الآثار والخطط والبلدان في البلاد العربية ومنها العراق، صاحب كتاب خطط الكوفة الشهير.

ولقد اهتدى ما سينون خلال بحثه في الحضارات الإسلامية إلى (الأماكن المندرسة من مساجد وقصور وأديرة ومقابر وقنوات وكانت مدينة الكوفة إحدى الحواضر الإسلامية التي نالت اهتمامه، فكتب كتابه الشهير خطط الكوفة)."[٢٤]"

١٣-المستشرق لوريمر

جون غوردن لوريمر وهو مستشرق بريطاني، عمل موظفا في الهند في زمن الاستعمار، وتولى عدة مناصب مهمة في الهند التي كانت تابعة انذاك للحكومة البريطانية، وتولى منصب القنصل العام في بغداد سنة١٩١١م لكفائته في العمل.

ويعد من أبرز المؤرخين والجغرافيين الذين وصفوا منطقة الخليج العربي في مطلع القرن العشرين، وذلك من خلال كتابه الذي عد موسوعة وافية والذي أسماه بدليل الخليج. (ولد في عام ١٨٧٠م وتوفي أثر احدث عارض في مدينة بوشهر الفارسية عام ١٩١٤م)"[٢٥]"

١٤-الفريق سر المرهولدين

وهو(قائد الفيلق البريطاني السادس أبان الحرب العالمية الأولى في معارك دارت في ألمانيا وفرنسا)"[٢٦]"، ولقد عين قائدا عاما للقوات البريطانية في العراق في ١٩١٩،واصبح قائد الحركات العسكرية البريطانية في العراق في ثورة العشرين.

١٥-المستشرق البريطاني ديوات ١٣٤٧هـ -١٩٢٨م

(وهو باحث بريطاني قضى ستة عشر عاما في مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)ينقب عن عقائد الشيعة وتقاليدهم الاجتماعية، زار العتبات المقدسة في العراق عام١٣٤٧ه-١٩٢٨م)."[٢٧]"

وقد ألف كتابا عن ذلك أسماه المعتقد الشيعي تاريخ الإسلام في فارس والعراق.

١٦-المستشرق كي لسترنج ١٨٥٤-١٩٣٣

وهو مستشرق انجليزي صاحب كتاب بلدان الخلافة الشرقية والذي تناول فيه(بشكل خاص صفة العراق والجزيرة وإيران واقاليم آسيا الوسطى منذ أيام الفتح الإسلامي حتى ايام تيمور والذي يعد من الأعمال التي هي غاية في الاهمية)."[٢٨]"

١٧-فريا ستارك ١٩٣٧م

وهي رحالة بريطانية أبصرت النور في فرنسا ونشأت في إيطاليا والتحقت بالحرب العالمية الأولى كممرضة على الجبهة النمساوية، لها ولعا خفيا وفضولا نحو المعرفة والاكتشاف قادها الى تعلم اللغة العربية وهي في الثامنة والعشرين من عمرها، وتخرجت من مدرسة اللغات الشرقية وقرأت القران الكريم)."[٢٩]"

وتعد من أشهر الرحالات الغربيات اللاتي جئن لدراسة الشرق الأوسط في الربع الأول من القرن العشرين، فبدأت رحلتها إلى الشرق في العام ١٩٢٨م،وأرخت كل شاهدته خلال رحلاتها في الكتب والمقالات العديدة.

١٨-البارون كارادي فو ١٨٦٧-١٩٥٣

وهو مستشرق فرنسي متعصب، كان من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية.

١٩-الليدي دراور

وهي أثيل ستيفانا درور باحثة ومستشرقة بريطانية، رافقت زوجها السير درور (الذي عمل مستشارا في وزارة العدل العراقية بين ١٩٢٢- ١٩٤٦ حيث تعرفت إلى هذا البلد وشعبه العريق وتعلقت به)."[٣٠]

وقد تجولت أثناء إقامتها في العراق، وقامت باستطلاع انحائه من الشمال الى الجنوب، وقد ألفت كتابا عن رحلتها هذه أطلقت عليه ضفاف دجلة والفرات.

٢٠-المستشرقان جاك ونيكول كاليبو ١٩٧٣م

وهما زوجان بلجيكيان عملا(في مجال الأفلام الوثائقية السينمائية، قرار أن ينطلقا في رحلة إلى الشرق الأوسط لتسليط الضوء على أرض الأديان السماوية والمعتقدات)."[٣١]

وقد قاما بتصوير فيلم في مدينة اور جنوب العراق والموصل وغيرها من مناطق شمال العراق بعد موافقة وزارة الاعلام على التصوير.

تأسيس الكوفة

تحدث المستشرق الانكليزي كي لسترنج عن وقت تأسيس الكوفة في حديثه:(لما فتح المسلمون العراق في خلال النصف الأول من المئة الأولى للهجرة (السابعة للميلاد)...ولرغبة العرب في مدن يسكنونها ويعسكرون فيها، أسسوا في زمن قصير مدنا ثلاثة: الكوفة والبصرة وواسط سرعان ما نمت وصارت أهم مدن هذا الإقليم الإسلامي الجديد وكانت الكوفة والبصرة بوجه خاص عاصمتي العراق الشقيقتين في ايام بني أمية)."[٣٢]

وذكر الفريق سر المرهولدين مدينة الكوفة في مذكراته:

(على الرغم من أنها ليست من العتبات المقدسة في بلاد الرافدين فالمدينة مؤسسة منذ سنة ٦٣٨ الميلادية أي بعد ثلاث سنوات من أستيلاء (المحمديين) على العراق)."[٣٣]

ومما قالاه جاك ونيكول كاليبو عن تأسيس الكوفة:

(تأسست الكوفة عام ٦٣٩م بأمر من الخليفة عمر من قبل عمر من قبل سعد ابن أبي وقاص وهو صحابي من أصحاب الرسول فكانت العاصمة العباسية الأولى)."[٣٤]

أسماء الكوفة

وذكر المستشرق البريطاني لوريمر(أن معنى أسمها هو "مدينة اكواخ البوص")"٣٥"

السبب في تسمية المدينة بالكوفة

ومما ذكره سلطان تابنده شاه حول ذلك:(قيل في وجه تسميتها بالكوفة أنها كانت مستديرة الشكل تقريبا، دورها متراصة مضمون بعضها إلى البعض الآخر. وقد ذكروا أن سعد بن أبي وقاص حين أراد بناءها قال لمن كان معه من العسكر تكوفوا في هذا الموضع اي اجتمعوا فيه فسميت بالكوفة وقيل انهم يسمون الرمل الاحمر بالكوفة واذ كانت فيها كثيرا فقد سموها بهذا الاسم)"٣٦"

وبين لويس ماسينيون أن تعدد أسماء الكوفة قبل الإسلام بسبب؛(تشبيك الجداول والأراضي الممسوحة منذ الأزمنة القديمة جدا، كما أن التسميات الإيرانية للتقسيمات الإدارية الساسانية، وكذلك الأسماء العربية لمحطات القوافل كانت تتخلل مراكز تجمع السكان الآراميين ومنازلهم.

وأذكر فقط الخورنق والدير الذي اعتقد بأنه الأخضير ذاته وصنين)"٣٧"

موقع الكوفة

يقول الرحالة الألماني نيبور:(تقع مدينة الكوفة الشهيرة، على بعد خمسة أرباع الميل من مشهد علي إلى الشمال الغربي في منطقة منخفضة وخصبة، ونجد هنا مجرى كري سعده أو بالاكوبار لكن المياه لا تصل إليه حاليا)."٣٨"

ومما جاء في حديث المستشرق الفرنسي اوليفييه عن موقع الكوفة: (وعلى بعد تسعة فراسخ جنوب الحلة، كانت تكون سابقا مدينة عربية تسمى الكوفة لم يبق منها سوى بعض اطلال، لقد كانت واقعة على قناة مستمدة من الفرات في أرض خصبة مزدهرة وهذه القناة هي اليوم بدون ماء ويسميها البدو كري سعدة انها البلاكوبا التي يقول اريان (مؤرخ يوناني من القرن الثاني، له تاريخ الاسكندر الكبير)بانها تتصل بهور كبير حتى الفرات وذلك على الضفة اليمنى من هذا النهر جنوب بابل)."٣٩"

وأما الرحالة الإنكليزي لوفتس فقد قال:(أن موقع الكوفة كان هو الموضع الذي نزل جبرئيل إلى الأرض فصلى لله عز وجل، ومنه انبثقت مياه الطوفان الطاغية على عهد

نوح (عليه السلام)فاستقل فلكه هربا منها، ويزعم العرب بالإضافة إلى ذلك أن الحية حينما اغوت حواء نفيت إلى هذا المكان عقوبة لها، ومن هذا نشأت فكرة اتصاف أهالي الكوفة بالمرح والخداع)."[٤٠]

وحدد المستشرق الفرنسي ماسينيون موقع المدينة في كتابه خطط الكوفة:(الكوفة تقع امام الحيرة حيث يوجد لسان الرمل الذي يقترب عموديا إلى الفتى بين سهل مسقى (وهو الملطاط الذي بين الجسر والجامع) من الجهة الشرقية وبطن (قطعة من الأرض القاحلة العميقة).

وقبل تأسيس الكوفة، كانت الحرية عاصمة اللخميين، محمية الفرس طيلة ثلاثة قرون ومع ذلك لم تكن سوى ثامن ثغور البادية ومحل لتبادل البضائع بين عمال الايرانيين ومأموريهم من جهة، وكبار-البدور-من الجهة الأخرى بصورة مستمرة، كما أنها كانت تجمع بين أهل المدن والقرى الآراميين الشديدي التنصر، وبين العشائر الصغيرة الأليفة من رعاة الغنم التي اعتادت على التردد هناك.

فالكوفة متقدمة نحو الشط اكثر من الحيرة ،وكانت تسيطر على الجسر الذي كان ينبغي أن يظل منصوبا على الدوام لأجل العبور إلى الطريق التجاري الكبير الذي كان يربط أهالي آسيا بأقصى اليمن)"[٤١]

ومما ذكره لوريمر عن موقع الكوفة في كتابه دليل الخليج العربي: (وربما كان موقع مدينة الحيرة على بعد ميلين او ثلاثة جنوبي مدينة الكوفة.

ويعتقد أن موقع معركة القادسية التي أدت إلى فتح العراق عام ١٦٣٥ على بعد ١٥ ميلا الى الغرب من الكوفة)"[٤٢]

وقال المستشرق الإنكليزي كي لسترنج عن موقع مدينة الكوفة من النجف:

(والنجف فيها مشهد علي الذي يكرمه الشيعة ويقدسونه، على نحو أربعة أيام أميال من غرب خرائب الكوفة وهي مدينة عامرة الى يومنا هذا والمتواتر لدى الشيعة على ما ذكر المستوفي ان الإمام عليا لما ضرب في جامع الكوفة وحضرها الوفاة أوصى بأن يوضع جثمانه على جمل ثم يطلق على رسله وحيثما يبرك تدفن جثته هناك، فعمل بهذه الوصية)."[٤٣]

وذكرت الليدي دارور(والكوفة اليوم، وعلى الرغم من بناها شأنها في تاريخ الاسلام، قصبة صغيرة. وهي ترتبط بالنجف بخط تراموای طوله ٧ أميال وتكره الخيول عبر الصحراء. وتتراءى القصبة على شيء من التفه بسبب قربها من المدينة النجف العظمى)."[٤٤]

اهمية مدينة الكوفة

ذكر سلطان تابنده شاه في رحلته:(هي مدينة تاريخية كانت من أهم المدن الإسلامية في القرنين الأول والثاني بناها سعد بن أبي وقاص في عصر الخليفة الثاني معسكرا للجيش الإسلامي لكي يكون قريبا من بلاد ايران. وأخذت بالاتساع شيئا فشيئا وازدادت سعة وعظمة حتى بلغت اوجها في عصر امير المؤمنين علي عليه السلام.

وقد بلغت مدينة الكوفة أوج أعمارها في عهد الإمام علي عليه السلام وكانت واسعة مترامية الأطراف.

وكانت الكوفة مدينة عامرة ومن أهم مدن العراق حينئذ كما كانت مهمة من الناحية العسكرية أيضا لأنها تتوسط الطريق بين الحجاز والشام وايران، فيمكن للجيش المستقر فيها ان يراقب جميع خطوط البلدان من هناك لكن أهميتها تضائلت بعد أن أحدثت مدن أخرى في أطرافها كبغداد وكربلاء والنجف.

وفي الكوفة كان استقرار الكثير من اجلة صحابة الأئمة عليهم السلام وفقهاؤهم وفيها ظهر الكثير من حواري علي عليه السلام والأئمة الأطهار كمالك وميثم التمار وربيع بن خثيم وأصبغ بن نباته وابي حمزة المثالي ومحمد ابن مسلم وزرارة ابن أعين ومحمد بن علي المعروف بمؤمن الطاق وحماد بن عيسى وصفوان بن مهران وغيرهم)"[٤٥]

وتكلم الرحالة ابن بطوطة عن أهمية الكوفة بقوله:(هي إحدى أمهات البلاد العراقية، المتميزة فيها بفضل مثوى الصحابة والتابعين ومنزل العلماء والصالحين، وحضرة علي بن أبي طالب امير

المؤمنين. إلا أن لخطاب قد استولى عليها بسبب أيدي العدوان التي امتدت إليها، فسادها من عرب خفاجة الماجورين لها، فإنهم يقطعون طريقها، ولا سور عليها)"[٤٦]

تحدث المستشرق الفرنسي ماسينيون عن أهمية الكوفة في كتابه خطط الكوفة:(الكوفة كانت مركزا مركزا مهما لحادث اجتماعي عظيم، وعاصمة لتأسيس الحضارة الإسلامية آنذاك، وهي اليوم عاصمة واسعة لمستقبل اللغة العربية وعلومها ولم تكن أختها البصرة ولا دمشق حتى ولا الفسطاط القيروان لتعرض لنا صورة واضحة رصينة، كالكوفة وذلك في التمصير وتثبيت القبائل الفاتحة المنتصرة، واستمرارها على حافة الصحراء ،في ريف مماس إلى لسان من الرمل اليابس النافذ في منطقة تروى بمياه شط عظيم (الفرات)وفي جزء من ذلك القطر الذي كان له مدينة زاهرة في الأزمنة الغابرة)."[٤٧]

يقول المستشرق لوريمر عن مدينة الكوفة(كانت الكوفة بعد تأسيسها عام ٦٣٨ الميلادية في العصور الإسلامية الأولى من بين أشهر المدن وكانت تشارك البصرة أثناء حكم بني أمية شرف كونها أحد العراقين بمعنى أنها كانت إحدى عاصمته العراق. ولكنها أضمحلت فيما بعد وتلاشت. ولا يزيد عمر المدينة الجديدة عن عشرين عاما)"[٤٨]

ذكر الفريق سر المرهولدين

(أهمية البلدة الرئيسية منبثقة عن أن عليا، مؤسس الطائفة الشيعية وابن عم النبي محمد قلت فيها سنة ٦٦١ الميلادية. وعلى الموضع الذي قتل فيه يقوم اليوم جامع كبير، وهو على بعد ميل ونصف الميل من المدينة الحالية وعلى طريق النجف الواقعة على بعد سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي)."[٤٩]

وقالت الليدي دارور أن الكوفة (ميناء نهري تقع على نهر الفرات السلسال وتكتنفها خمائل النخل العامرة والبساتين المتضوعة، ولها جسر جيد البناء. وتجري أمام المدينة سفائن كسفن الفايكنغ. والقوارب النهرية والمراكب وهي تحمل البضائع من كل نوع)"[٥٠]

وصف الكوفة

وصف الرحالة السويدي جان أوتر الكوفة بقوله:(وهذه المدينة مسورة بجدار، وتقع في أرض مستوية بإقليم النجف الذي يبعد نحو فرسخ واحد عن "الكوفة" التي هي الآن مدينة خربة تقع على الضفة الجنوبية لفرع نهر الفرات، وبنيت في عهد الخليفة الثاني "عمر"، وجددها "سعد"، واراضيها خصبة جدا، فهي تنتج التمور والقمح والقطن، وباختصار كل انواع الحبوب والفواكة)."[٥١]

اهم المعالم في مدينة الكوفة

ذكر الرحالة العربي ابن جبير بقوله:(مدينة الكوفة حرسها الله تعالى: هي مدينة كبيرة عتيقة البناء قد استولى الخراب على أكثرها فالغامر منها اكثر من العامر، ومن أسباب خرابها قبيلة خفاجة المجاورة لها فيه لاتزال تضر بها تعاقب الأيام والليالي محليا ومفنيا. وبناء هذه المدينة بالأجر خاصة، ولا سور لها، والجامع العتيق آخرها مما يلي شرقي البلدة، ولها عمارة تتصل به من جهة الشرق)"٥٢"

وصف ابن جبير مسجد الكوفة في كونه من أهم معالمها بقوله:(هو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة وفي سائر الجوانب بلاطان وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولاقصى عليها على الصفة التي ذكرناها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما أرى في الأرض مسجدا أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا.

ولهذا الجامع المكرم آثار كريمة فمنها بيت بازاء المحراب عن يمين المستقبل القبلة يقال انه كان مصلى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعليه ستر اسود صونا له ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه وعلى مقربة منه مما يلي الجانب الأيمن من القبلة محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي ذلك الموضع

ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف فالناس يصلون فيه باكين داعين.

وفي الزاوية من آخر هذا البلاط القبلي المتصل بآخر البلاط الغربي شبيه مسجد صغير محلق عليه ايضا بأعواد الساج هو موضع مفار التنور الذي كان آية لنوح عليه السلام وفي ظهره خارج المسجد بيته الذي كان فيه وفي ظهره بيت آخر يقال انه كان متعبد ادريس صلى الله عليه وسلم ويتصل بها فضاء متصل بالجدار القبلى من المسجد يقال أنه كان منشأ السفينة.

ومع آخر هذا الفضاء دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه والبيت الذي غسل فيه ويتصل به بيت يقال أنه كان بيت ابنة نوح صلى الله عليه وسلم فهذه الآثار الكريمة تلقيتها من ألسنة الأشياج من أهل البلد)"٥٣"

وذكر سلطان تابنده شاه أن من المعالم المهمة لمدينة الكوفة مسجد الكوفة الذي قال عنه:(وفيها المسجد الذي كان علي عليه السلام يصلي فيه والذي يدعى اليوم بمسجد الكوفة، وهو من المساجد الإسلامية المقدسة، التي يعتقد الشيعة أن المسافر إليه مخير فيه بين الصلاة تماما أو قصرا كما يفعل في المسجد الحرام والمدنية المنورة والحائر الحسيني، لكن علماء الدين غير راضين عن أهلها لأنهم لا يعملون بالولاية وبالعهد الذي يقطعونه على أنفسهم حتى اشتهر بينهم أن الكوفي لا يوفي واشتهر القبائل المتواجدة اليوم في الكوفة عشيرة بني حسن العظيمة عددا ونفوذا)"٥٤"

وقال تابنده شاه ايضا:(قرب مسلم بن عقيل الواقع في الجنوب الشرقي من المسجد غير منفصل عنه قبر هاني بن عروة وهو رجل من الشيعة استضاف مسلما (حين قدم إلى الكوفة موفدا من قبل ابي عبد الله الحسين عليه السلام) قتله ابن زياد ويقع قبره في الصحن الذي فيه مسلم، وفيه قبر المختار بن ابي عبيدة الثقفي الذي ثار للإمام الحسين عليه السلام وانتقم من قتلته الواقع في مزار مسلم.

وفيه دار علي عليه السلام وتقع في طرف القبلة جوار المسجد وتشتمل على مقطعين المقطع الأول توجد فيه غرفة واحدة تشبه الدهليز قيل أنها كانت مقام الحسنين ومكان غسل فيه الإمام علي عليه السلام وموضع صغير يتصل به كفن عليه السلام وكانت هذه الأماكن مثارا للحزن والألم وقد صلينا في كل موضع منها ركعتين.

والمقطع الثاني وهو ما يعرف اليوم بالمقطع الداخلي اصغر فسحة ويشتمل على غرفة صغيرة جدا. ويوجد إلى جواره داره عليه السلام منطقة وساعة وعميقة فيها بعض الآثار من بقايا بناء قديم قيل أنه قصر عبيد الله بن زياد)"٥٥"

ومما جاء في وصف ابن بطوطة للكوفة:(لا سور عليها، وبناؤها بالآجر، واسواقها حسان، وأكثر ما يباع فيها التمر والسمك.

وجامعها الأعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة، قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعا ووضع بعضها على بعض وأفرغت بالرصاص، وهي مفرطة الطول.

وأما قصر الأمارة بالكوفة الذي بناه سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-فلم يبق إلا أساسه.

والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق النخل الملتفة المتصل بعضها ببعض.

ورأيت بغربي جبانة للكوفة موضعا مسودا شديد السواد في بسيط ابيض، فأخبرت أنه قرب الشقي بن ملجم، وأن أهل الكوفة يأتون في كل سنة بالحطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة أيام، وعلى قرب منه قبة أخبرت أنها قبر المختار بن أبي عبيد)"٥٦"

وجاء في وصف المنشي البغدادي للكوفة:(تبعد عن النجف نحو فرسخ واحد. والآن ليس فيها من العمارات غير مسجد الكوفة، وباقيها خراب، ويمر نهر الهندية قريبا من الكوفة ثم يمضي إلى أرض عالية، ومن هناك حفروا له قناة، فصار يذهب الماء في تلك القناة، يجري منها الى مسافة حتى يظهر الى الخارج والماء الذي يخرج من القناة يقال له الفرع)"٥٧"

ذكر الرحالة الأمريكي جون بيترز عن معالم الكوفة عند زيارته لها:(أن الرحالة الذين جاءوا إليها في بداية القرن التاسع يشيرون إلى وجود الكثير من آثار البلدة العربية القديمة فيها لكنها لم يبق منها حينما زارها سوى بعض التلول والاساسيات لان طابوقها قد نقل كله للاستفادة منه في بناء ابنية النجف نفسها.

وقال أيضا أن هناك في غربي الكوفة نهرا مندرسا كبريء يسمى(كري سعدة)،ويروي الرافة التي تروي عن تسميته بهذا الأسم، وهي أن تاجرا غنيا من تجار البصرة كان قد أحب امرأة جميلة اسمها(سعدة)من أهالي المنطقة الكائنة ما بين هيت وعانة في شمال البلاد، وكانت هذه المرأة تهوى ضفاف الأنهر المظللة، فاشترطت عليه حينما خطبها من اهلها ان تنقل من البصرة في طريق النهر الذي يمر بالأماكن التي يجللها الظل، فما كان إلا أن يحفر لها هذا النهر ويغرس الأشجار على ضفاف)."٥٨"

(ويعتقد بيترز ان (كري سعدة)هو الجدول الكبير الذي حفره(نبوخذنصر) فمده من موقع يقرب من هيت إلى الخليج ليحي به مساحات شاسعة من الأرض الموات)."[٥٩]

عندما زارت الكاتبة الإنكليزية فريا ستترك الكوفة تكلمت عن معالم هذه البلدة ومنها قصر الأمارة وسبب تهديمه حيث قالت:(أن قصر الأمارة هدمه عبد الملك بن مروان الأموي لأنه بينما كان جالسا فيه ذات يوم سمع عجوزا من الأعراب يقول:(ستكون الخامس). وحينما سأل معا كان يقوله هذا أجابه:" عندما جئت لأول مرة إلى الكوفة رأيت رأس الحسين (عليه السلام)بين يدي قاتله عبيد الله هنا.

فذهبت وعدت ثانية إليها بعد مدة فشاهدت رأس عبيد الله في نفس المكان بين يدي المختار بن يوسف الذي قتله. وبعد ان خرجت منها وعدت مرة اخرى ألفيت رأس المختار بين يدي مصعب. ولذلك خرج بعد الملك من الكوفة وأمر بهدم قصر الأمارة الذي تشاهد خرائبه الآن بجنب دار الإمام)."[٦٠]

مسجد الكوفة وقتل الإمام علي (عليه السلام)

قال الرحالة الأوروبي الرابي اليهودي بنيامين التطيلي في رحلته إلى الكوفة:(الكوفة: يقيم بها نحو سبعة آلاف يهودي وفيها قبر يكنيه ملك يهوذا حوله كنيس لليهود، وفيها ايضا مسجد كبير للمسلمين، في رحبته مرقد الإمام علي بن ابي طالب صهر نبيهم محمد يحجونه للزيارة والتبرك)."[٦١]

وقال تابنده شاه عن مسجد الكوفة:(يوجد في مسجد الكوفة اثنا عشر مقاما يصلي في أغلب المقامات ركعتان وفي بعضها أربع ركعات صلاة مستحبة ثم يقرأ في كل مقام بالدعاء المخصوص به، وترتيب مقاماته كالآتي:

المقام الأول مقام إبراهيم، والثاني مقام الخضر، والثالث مقام حضرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه واله وسلم، والرابع مقام آدم عليه السلام، والخامس مقام جبرائيل عليه السلام، والسادس مقام السجاد عليه السلام، والسابع مقام نوح عليه السلام، والثامن المحارب الذي ضرب فيه أمير المؤمنين عليه السلام، والتاسع مقام لعب عليه السلام وهو موضع كان به باب تتصل بداره عليه

السلام او طريق الى داره الذي منه يأتي الى المسجد، والعاشر مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام، والحادي عشر دكة القضاء وهي موضع مرتفع عن الأرض كان الإمام علي عليه السلام يجلس عليها للقضاء بين الناس في الدواعي والخصوصيات، والثاني عشر هو بيت الطست)"[٦٢]

وجاء في كلام الراحلة السويدي جان أوتر عن مسجد الكوفة:(وفي "مسجد الكوفة" قتل "علي". ولم يبق منها اليوم سوى مسجد قديم وبيت هذا الخليفة)"[٦٣]

وأكد الرحالة الألماني نيبور في كلامه:(أبرز ما نجده فيها فهو المسجد الكبير حيث أقام علي، كما لم يتبق منها سوى الجدران الأربعة التي رسمتها مع الخارطة على اللوحة ( xlii )في الحرف (b ب) ويسمى الباب ١ باب الفيل، ورسمت قرب الرقم ٢ صرحا عميقا في الأفق وغير مرتفع، يبدوا وكأنه خزان مياه يسميه العرب السفينة.

وقد ذكر الدليل وهو من سكان مشهد علي يرافق الحجاج الفرس لرؤية الآثار ويدعي أنه من أبناء الكوفة القدامى أن سفينة نوح توقفت في هذا المكان ويطلق على الصرح الصغير المستدير قرب الرقم ٣ اسم السقاخانه وكانت المياه توزع هنا كما يدل ذلك على اسمه. لكن الصرح ليس بقديم، ونلاحظ فوق الباب حجرا كتب عليه بأحرف عربية كتلك المستعملة اليوم والتي لم تكن معروفة في زمن علي، وبني صرح صغير قرب الرقم ٤ حيث اعتاد الحسن والحسين آداء صلاتهما، ويلاحظ في الحائط الخلفي كوة في المكان الذي يزعمون أن موسى الكاظم كان يصلي فيه، وتدعى الأعمدة ٥،٦،٧ مقام سيدنا عيسى، مقام موسى، ومقام إبراهيم الخليل، ويعتقد المسلمون أن المسيح وموسى ومحمد صلوا في هذه الأمكنة)."[٦٤]

وقال ايضا:(أن السيدة عادلة خاتون، بنت أحمد باشا، وزوجة الوالي العثماني سليمان باشا، قد أسهمت في بناء مسجد الكوفة من الناحية الشمالية الغربية)"[٦٥]

وذكر المستشرق البريطاني ديوايت عن ابن جبرين:(أن في مسجد الكوفة محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي ذلك الموضع ضربه الشقي اللعين عبد الرحمن بن ملجم بالسيف فالناس يصلون فيه باكين داعين)."[٦٦]

ذكر المستشرق الفرنسي البارون كارادي فو (لا نعلم بالضبط اين دفن الإمام علي. أن الروايات التاريخية تقول بأنه قتل أمام الجامع الكبير في الكوفة، وقد نقل جثمانه إلى مسافة ما، إلى الحيرة، التي هي اليوم النجف)."[٦٧]

وذكرت الليدي دراور(وجامع الكوفة الكبير على بعد أكثر من ميل القصبة الحالية. أنه قائم في الصحراء، يحيط به جدار يجعله أشبه ما يكون بحصن. وفي الجدار أعمدة دائرية، وهي فيه على مسافات. وفي داخل الجدار ساحة كبيرة وفي وسطها المزار المشبك حيث استشهد علي.

وقيم المزار شيخ وديع، يضع في إصبعه خاتما بابليا ويزهوبه كثيرا. ولم يكن ليغلب على هذا القيم التعصب شأن غيره. فقد سمح لي بأن أقف على الباب الرئيس لأصور منها ما أشاء)"[٦٨]

الخلافة والكوفة

حكى الرحالة الصيني دو هوان في كتابه (جينج اكسنبح جي)،اي سجلات الترحال، عن الكوفة وعمرانها وازدهار الحكم العباسي في اوائل الخلافة العباسية:(فقال أن كل شئ ينتج على وجه البسيطة يجده المرء متوفرا في هذه المدينة وفي شوارعها وأزقتها وقد جمعت هذه المنتجات من كل مكان والسلع متوفرة ورخيصة والاسواق حافلة بأنواع المجوهرات والحلي الثمينة المختلة، وجميع الأسواق والشوارع تكتظ بقوافل الجمال والخيول والحمير والبغال المحملة بالبضائع ، وقال: أن الخمر محرمة في الإسلام، وموسيقى الطرب غير مسموح بها). "[٦٩]

تكلم المستشرق الفرنسي اوليفييه عن الكوفة في زمن الخلفاء بقوله:(لقد جعل الحكام الثلاثة الأوائل كما هو معلوم مقر إقامتهم كما جعلها الإمام علي (عليه السلام) في أواخر سنين حياته وكذلك الإمام الحسن (عليه السلام) خلفه، أما الأمويون الذين أتوا بعده فقد استقروا في الشام او في مدينة اخرى من مدن سوريا.

وبويع اول الحكام العباسيين في الكوفة وترك المنصور وهو الحاكم الثاني هذه المدينة، وأرسى أسس بغداد ولا ندري في أي حقبة خربت الكوفة، ومن المحتمل ان ذلك لم يحدث الا بعد استيلاء التتار على بغداد اذ يأتي ذكر الكوفة في عهد العباسيين مرارا)."[٧٠]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الأمة وآله الطيبين الطاهرين.

بعد إتمام البحث والاطلاع على الكثير من الكتب في مجال الرحلات والإستشراق، توصلت بإدراكي البسيط إلى قدم وعراقة هذه المدينة العظيمة، فنحن من خلال طرحنا للبحث لا نريد مجرد سرد الوقائع وتاريخها والأشخاص الذين قدموها والتعريف بهم، بل نريد أن ننهض بتاريخ هذه المدينة ونبين عراقتها في ظل التاريخ من خلال التدوين وإظهار ماهو مغيب من الماضي السحيق والتعريف به للحاضر.

فمن خلال هذا البحث بينا نظر الرحالة والمستشرقين الشرقيين منهم والغربيين الى مدينة احتلت حيزا كبيرا في التراث الإسلامي، وأن كان ذلك بصورة محدودة نظر لضيق مساحة البحث المسموحة.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

١) معجم المعاني الجامع/مروان العطية/مادة كوفة.

٢) لسان العرب/ابن منظور/ج١٣/حرف الكاف/مادة كوف.

٣) المعجم الوسيط/مجمع اللغة العربية/مادة رحالة.

٤) مفهوم الرحلات والرحالة المسلمون/منتدى ميراث الرسول-البوابة

٥) الاستشراق أهدافه ووسائله/محمد فتح الله الزيادي/ص١٧.

٦) الدعوة الى الإسلام مضامينها وميادينها/عبد الكريم الخطيب/ص١٠١.

٧) رؤية إسلامية للاستشراق/أحمد غراب/ص٧/بتصرف.

٨) المستشرقون ومشكلات الحضارة/عفاف سيد صبره/ص٣٤.

٩) المستشرقون والقرآن الكريم/محمد امين بني عامر/ص١٧/بتصرف.

١٠) المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه/رودي بارت/ص١٧.

١١) المستشرقون الناطقون بالانجليزية/عبد اللطيف الطيباوي/ص٨٦.

١٢) اهتمام المحدثين بنقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين واتباعهم/محمد لقمان السلفي/ص٤٢٩.

[١٣] المستشرقون/جان دي جاك واردنبرغ/ص١٦.
[١٤] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٥.
[١٥] ينظر/رحلة بنيامين التطلي/عبد الرحمن عبد الله الشيخ/ص٧.
[١٦] ينظر/النجف الأشرف كربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص١٩.
[١٧] الذريعة إلى تصانيف الشيعة/اغا بورك الطهراني/ج٢٤/حرف النون/ص١
[١٨] النجف الأشرف كربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص ٢٢
[١٩] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٣١
[٢٠] معرفة الشرق في العصر العثماني/اوليفييه/ص٨
[٢١] رحلة المنشي البغدادي إلى العراق/المنشئ البغدادي/ص٢٢
[٢٢] المستشرقون/نجيب العقيقي/ص٥٦٣
[٢٣] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ ص٤٢
[٢٤] الدراسات الاستشراقية رؤية وايضاح في المنهج/حسين عيسى الحكيم/ص١٧٠
[٢٥] ينظر/أركان البادية/ابراهيم عبد الكريم كريدية/ص٢١٣
[٢٦] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبدالسادة/ص١٤١
[٢٧] المرقد العلوي في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٨٨
[٢٨] ينظر/نفس المصدر/ص١٩٦
[٢٩] ينظر/البوابات الجنوبية لجزيرة العرب/فريا ستارك/ص٨
[٣٠] ينظر/النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص١٦٢
[٣١] نفس المصدر/ص١٩٥
[٣٢] بلدان الخلافة الشرقية/كي لسترنج/ص٤٢
[٣٣] المرقد العلوي في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٨٣
[٣٤] النجف الاشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص٢٠٢
[٣٥] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص١٣٩
[٣٦] نفس المصدر/ص٩٢
[٣٧] خطط الكوفة/لويس ماسينيون/ص٢٠
[٣٨] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٣٢
[٣٩] معرفة الشرق في العصر العثماني/اوليفييه/ص١٧٥
[٤٠] الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/ص٤٠
[٤١] خطط الكوفة/لويس ماسينيون/ص١٩-٢٠

[٤٢] ) الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص١٣٩
[٤٣]) معرفة الشرق في العصرالعثماني/ص١٢١
[٤٤]) النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/١٧٥
[٤٥]) ينظر/الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٩٢-٩٣
[٤٦]) النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص٢٦
[٤٧]) خطط الكوفة وشرح خريطتها/لويس ماسينيون/ص١٣-١٤
[٤٨]) الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم بعد السادة/ص١٣٩
[٤٩]) المرقد العلوي في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٨٣
[٥٠]) النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد /ص١٧٧
[٥١]) العراق والخليج العربي في رحلة جان أوتر/جان أوتر/ص٧٧
[٥٢]) رحلة ابن جبير/ابن جبير/ص١٦٦-١٦٧
[٥٣]) رحلة ابن جبير/ابن جبير/ص١٦٧-١٦٨
[٥٤]) ينظر/الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٩٣-٩٤
[٥٥]) ينظر/الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٩٦
[٥٦]) النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص٢٦-٢٧
[٥٧]) رحلة المنشي البغدادي إلى العراق/المنشئ البغدادي/ص٢٤
[٥٨]) الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٤٣
[٥٩]) موسوعة العتبات المقدسة/جعفر الخليلي/ج٦/ص٢٤٣
[٦٠]) النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص١٨٧
[٦١]) الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٨
[٦٢]) نفس المصدر/ص ٩٥-٩٦
[٦٣]) العراق والخليج العربي في رحلة جان أوتر/جان أوتر/ص٧٧
[٦٤]) الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٣٢
[٦٥]) الدراسات الإستشراقية رؤية وايضاح في المنهج/حسن عيسى الحكيم/ص١٧٦
[٦٦]) المرقد العلوي في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٨٩
[٦٧]) نفس المصدر/ص٤٤
[٦٨]) النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/ص١٧٦
[٦٩]) الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص٥
[٧٠]) المرقد العلوي في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/ص١١١

**المصادر**

١- الأمالي/الشيخ الطوسي/تح: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة/ الناشر: دار الثقافة/ط.١/ت.ط ١٤١٤ه/م.ط قم-إيران.

٢- الإستشراق اهدافه ووسائله/محمد فتح الله الزيادي/الناشر: دار قتيبة/ط.٢/ت.ط ٢٠٠٢م/م.ط دمشق-سوريا.

٣- أركان البادية/إبراهيم عبد الكريم كريدية/ الناشر:دار كريدية للطباعة والنشر والتوزيع/ط.٤/ت.ط ٢٠٠٢م/م.ط بيروت-لبنان.

٤- اهتمام المحدثين نقد الحديث سندا ومتنا ودحض مزاعم المستشرقين واتباعهم/محمد لقمان السلفي/الناشر: دار الداعي للنشر/ط.٢/ت.ط ١٤٢٠ه/م.ط الرياض-السعودية.

٥- البويات الجنوبية لجزيرة العرب/فريا ستارك/تر:وفاء الذهبي/الناشر: دار الكتب الوطنية/ط.١/ت.ط ٢٠١٣/م.ط ابو ظبي.

٦- بلدان الخلافة الشرقية/كي لسترنج/تر: بشير فرنسيس- كوركيس عواد/الناشر: مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

٧- خطط الكوفة/لويس ماسينيون/تر:تقي محمد المصعبي/تح: كامل سلمان الجبوري/الناشر: دار القارىء للطباعة والنشر والتوزيع/م.ط بيروت-لبنان.

٨- الدراسات الإستشراقية رؤية وإيضاح في المنهج/حسن عيسى الحكيم/الناشر: العارف للمطبوعات/ط.١/ت.ط ٢٠١٢م/م.ط النجف الأشرف-العراق.

٩- الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادينها/عبد الكريم الخطيب/الناشر: دار الكتاب العربي/ط.١.

١٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة/اغا بزرك الطهراني/الناشر: دار الاضواء.

١١- رؤية إسلامية للإستشراق/أحمد غراب/الناشر: المنتدى الإسلامي/ط.٢/ت.ط ١٤١١ه/م.ط لندن-بريطانيا.

١٢- رحلة ابن جبير/أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير/الناشر :المكتبة العربية/ت.ط ١٣٥٦ه-١٩٣٧م/م.ط بغداد-العراق.

١٣- رحلة بنيامين التطليلي/دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ/تر: عزرا حداد/الناشر: المجمع الثقافي/ط،.١/ت.ط ٢٠٠٢م/م.ط أبو ظبي الإمارات العربية العربية المتحدة.
١٤- رحلة المنشي البغدادي إلى العراق/محمد بن أحمد الحسيني المنشي البغدادي/تر: عباس العزاوي/الناشر: شركة الوراق للنشر/ط.١/ت.ط ٢٠٠٨م/م.ط بيروت-لبنان.
١٥- العراق والخليج العربي في رحلة جان أوتر/تر: خالد عبد اللطيف حسين/مراجعة: أنيس عبد الخالق محمود/الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ط.١/ت.ط ٢٠١٥م/م.ط بيروت-لبنان.
١٦- الكوفة في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/الناشر: مجمع الذخائر الإسلامية/ط.١/ت.ط ٢٠١٥م/م.ط قم-إيران.
١٧- لسان العرب/أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور/الناشر: دار صادر/ت.ط ٢٠٠٧م.
١٨- المستشرقون/نجيب العقيقي/الناشر: دار المعارف/ط.٣/ت.ط ١٩٦٤م/م.ط مصر.
١٩- المستشرقون/جان دي جاك واردنبرغ/تر: أنيس عبد الخالق محمود/الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ط.١/ت.ط ٢٠١٤م/م.ط بيروت-لبنان.
٢٠- المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه/رودي بارت/تر: مصطفى ماهر/الناشر: المركز القومي للترجمة/ت.ط ٢٠١١م/م.ط القاهرة-مصر.
٢١- مفهوم الرحلات والرحالة المسلمون/منتدى ميراث الرسول-البوابة-٢٠١٤/alresala٢.forumegypt.net.
٢٢- معرفة الشرق في العصر العثماني: الرحلة الفرنسية إلى العراق/اوليفييه/تر: يوسف حبي/الناشر: المركز الأكاديمي للأبحاث/ط.١/ت.ط ٢٠١٤م/م.ط بيروت-لبنان.
٢٣- ألمرقد العلوي في عيون الرحالة والمستشرقين/رسول كاظم عبد السادة/د.ط/د.ت.ط.

٢٤- موسوعة العتبات المقدسة/جعفر الخليلي/الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ط.٢/ت.ط ١٩٨٧م.
٢٥- معجم المعاني الجامع/مروان العطية/الناشر: مركز ايوان/ط.١/ت.ط ٢٠١٢م/م.ط مصر.
٢٦- معجم المعاني الوسيط/مجمع اللغة العربية/الناشر: مكتبة الشروق الدولية/ط.٤/ت.ط ٢٠٠٤م.
٢٧- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية/عبد اللطيف الطيباوي/تر: قاسم السامرائي-عبد الله بن عبد المحسن التركي/الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ط.١/ت.ط ١٩٩١م.
٢٨- المستشرقون والقرآن الكريم/محمد أمين بني عامر/الناشر: دار الأمل للنشر/ت.ط ١٤٣١ه-٢٠١٠م/م.ط اربد-الأردن.
٢٩- المستشرقون ومشكلات الحضارة/عفاف سيد صبره/الناشر: دار الفكر العربي/ط.٢/ت.ط ١٤١٧ه-١٩٩٧م/م.ط القاهرة-مصر.
٣٠- النجف الأشرف وكربلاء المقدسة في مذكرات الرحالة/صلاح السعيد/الناشر: دار الفرات للثقافة والاعلام/ط.١/ت.ط ١٤٣٧ه-٢٠١٦م/م.ط الحلة-العراق.